

حب وصراع .. في
قصة للأديبة العالمية "هان سوين"
وكتب أخرى

كتابي

مجلة شهرية للثقافة العالمية
صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



اطلب مع هذا العدد
هدية منفصلة فى ٣٢ صفحة

مجلة الصغار

للاولاد والبنات

الكتاب رقم ١٠٤

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة ١١١ ، القاهرة ــ تليفون ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ــ ٩٢ شارع قصر العينى، القاهرة ــ تليفون ٣١٨١٠

حب وصراع.. في كمبوديا

قصة طويلة للروائية العالمية "هان سيوين"
تنبأت فيها بالأحداث الحالية في المنطقة..!



THE FOUR FACES, BY : HAN SUYIN

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

كاتبة شرقية تقدم مثالا للرواية الحديثة

● الحب ، الجنس ، الجريمة ، الجاسوسية ، السياسة .. اهم العناصر التى يحلو للروائيين والقصصيين أن ينسجوا حولها أروع انتاجهم .. وعادة ، يكفى عنصر واحد أو عنصران من هذه ، للكاتب القدير ، كى ينتج قصة او رواية ناجحة . ولكن الرواية التى نلخصها لك على الصفحات التالية ، ضمت العناصر الخمسة جميعا ، وقد امتزج بعضها ببعض امتزاجا رائعا ، يشهد بالبراعة والمقدرة للمؤلفة ((هان سوين)) .. التى احاطت هذا المزيج باطارات من الاثارة ، ولفته بغلالات من الغموض المشوق ، ثم عرضت هذه الخلاصة من الابداع القصصى على مسرح من الاحداث الواقعية ، وفى منطقة من اكثر مناطق العالم حساسية فى أيامنا هذه .. فى جنوب شرقى آسيا .. وفى (كمبوديا) بالذات ..

ومن اقوى ما يبهرنا ـ فى كل هذا ـ أن المؤلفة استطاعت منذ سبع سنوات ان تتنبأ بالأحداث التى جرت اخيرا فى (كمبوديا) .. مما ينم عن فهم واع دقيق للمؤامرات السياسية التى تعبث بسلام وكيان (كمبوديا) ، وجنوب شرقى آسيا ، بل والعالم بأسره .. وهكذا استطاعت كاتبة شرقية ان تنتزع ميزة الابداع ـ فى هذا اللون من الروايات ـ من كتاب الغرب ، وان تتفوق عليهم تفوقا مذهلا . بل ان ((هان سوين)) امتازت على أولئك الكتاب بانها لم تتعرض لموضوعها من ناحية خيالية فحسب ـ مما يجعل الرواية مجرد اداة للتسلية ـ وانما هى تناولته على اضواء دراسات دقيقة وعميقة ، نفذت خلالها الى الاسلحة السرية فى الصراع الذى يشنه الاستعمار والراسمالية على الدول الافريقية والاسيوية .. فكشفت دور الشبكة الدقيقة ـ التى تشمل العالم بأسره ـ لتهريب المخدرات ، لتمويل حركات هدامة تتعاون مع الامبريالية بالوانها ، كالحركة السرية الفرنسية ، التى تحقد على ((ديجول)) لتسليمه باستقلال الجزائر ، والتى تحقد على امريكا ـ فى الوقت ذاته ـ لسعيها الذى لا ينقطع لكى تخلف فرنسا فى السيطرة على الهند الصينية .. وحركات بعض المبشرين الغربيين ، الذين يعملون لأهداف استعمارية فى الشرق ، تحت ستار الدين .. وحركات بعض الغربيين المتوغلين فى بعض الدول الاسيوية ، بزعم انهم اشتراكيون أو شيوعيون ، ينظمون حركات لمقاومة الاغراض الامبريالية ، وهم ـ فى الواقع ـ يخدمون غايات خاصة وامبريالية ..

.. عاشت احداث الصين والشرق الأقصى

● بقى أن تعرف ان « هان سوين » ولدت فى بكين ، من اب صينى عريق الاصل ، وام هولندية . وقد نشأت فى وطن ابيها ، ولم تتعلم الانجليزية الا بعد أن تجاوزت العاشرة من عمرها . وبعد اتمام دراستها الثانوية ، التحقت « هان » بجامعة صينية ، حتى اذا تخرجت ، قامت بجولة فى اوربا لمدة سنتين مع زوجها ، ثم عاد الزوجان الى الصين ـ فى سنة ١٩٣٨ ـ ولم يفارقاها عندما قامت الحرب الصينية اليابانية ، بل عاشا احداث هذه الحرب .. وكتبت « هان » ـ فى تلك الاثناء ـ سيرة حياتها ، بعنوان « شونكينج هى المقصد » !

ولقى زوج « هان » مصرعه فى الحرب الأهلية ـ فى الصين ـ فتفرغت الكاتبة لدراسة الطب فى جامعة لندن ، ثم عادت الى الصين ، حيث كتبت الرواية التى صنعت مجدها : « شىء متعدد الرواء » ـ التى اخرجت فى فيلم سينمائى عالمى باسم « روعة الحب » ، مثلته « جنيفر جونز و « وليم هولدن » ، وتدور احداثه اثناء حرب كوريا ـ وقد اختارتها « جمعية الكتاب » الانجليزية كاعظم رواية حب ، وككتاب تسجيلى فذ .. ثم اتبعتها برواية « .. والمطر شرابى » ، التى كانت بين مختارات « جمعية الكتاب » كذلك ، والتى دارت حول استقلال الملايو .. وفى سنة ١٩٥٦ ، اودعت « هان » مشاهداتها وانفعالاتها ـ فى حفلة تتويج ملك نيبال ـ رواية اسمتها « الجبل فى غضارة الشباب » .. وتوالى انتاجها ، وآخره الرواية التى نقدمها على الصفحات التالية : « اربعة وجوه » !

يوم الأحد :

● كانت اجهزة تكييف الهواء ـ فى قاعة المائدة بمطار (دوسوانج) ببانجكوك ـ مغلقة فى الصباح الباكر ، فأخذ هدير طائرات القتال النفاثة الأمريكية ينفذ الى داخلها .. وشعر « چيون » أن صراخ الطائرات ـ وهى تمرق فى الجو ـ يخرق أذنيه ، ويثير أعصابه ، ويفرض جوا بغيضا .. جو العنف الضرورى للحرب .

كان ثمة اربعون امريكيا — من رجال السلاح الجوى — يجلسون الى مائدة طويلة ، يمضغون الأكل ، بوجوه صخرية ، وعيون جامدة .. والى جانب « چيون » كان ضابط طيران سيامى — فى بزة عسكرية أمريكية — يقول لسائح المانى : « ان تايلاند قلعة ضد الشيوعية » !

ووضعت « شييلا مانلى » يديها على أذنيها ، فتطلع اليها والدها « تشارلز مانلى » قلقا ، فقالت : « هذه الضجة تدير راسى يا أبى ! » .. ونهضت مبتعدة ، فلاحقها أبوها بنظراته ، وقد أثقل قلبه تجاهلها اياه .. وسرعان ما أقبلت عليه زوجته « اليزا كراوفورد » ، فتمالك نفسه ، واسترد هدوءه المعهود ، كشخصية علمية ، ونهض فسحب مقعدا لها .. فقالت فى صوت عذب ، يوحى للرجال بأنها ما زالت تحتفظ بشبابها : « اين شييلا ؟.. أين الطفلة ؟ »

وكان « شوندرا داس » فى ساحة المطار ، يراقب جماعة من الرهبان البوذيين ، فى أرديتهم الصفراء ، وقد انصرفوا الى مشاهدة الطائرات وهى تمرق فى الهواء .. وما لبث أن انبعث صوت خلال المذياع : « المسافرون الى سييمرياب وبنوم بنه ! » ، فاتجه « شوندرا » نحو قاعة الطعام ، حيث نهض المسافرون ، وأخذوا يجمعون أمتعتهم ، ويتجهون الى خارج القاعة .. فتبعهم !

● ●

● نهض الكابتن « ليدريه » عن مقعده — وقد بلل العرق قميصه — وسار الى الطائرة ، وهو يشعر بالتعب ولما تبدأ الرحلة .. وكان يدرك أنهم لا يجدون طيارا مثله ، وان بدأ القلق يداخله ، اذ كان الاسيويون يتقدمون بسرعة ليحلوا محل الطيارين الأجانب . فماذا يفعل اذا سرحته الشركة يوما ما ؟..

وقال لنفسه : « هناك الكونغو ، أو لاوس ، أو الجزائر ..

ليتها لا تهدأ ، وان كنت أكره القسوة !.. ما احببتها ابدا ! »
.. وهناك حركة تهريب الأسلحة والمخدرات فى (لاوس) ..
انهـا لن تنقطع لفترة ، طالما ان ذلك « الجنرال » ــ الذى
تناصره « الديموقراطية » ــ يسيطر على مقاليد الحكم !

وتفقد « ليدريه » محركات ومؤشرات الطائرة ، ثم انطلق بها حتى آخر المدرج ، وأوقفها لحظة ريثما تستجمع المحركات قواها ، لترتفع فى الهـواء .. هذه اللحظة كانت ترده دائما ستة اعوام الى الخلف ، عندما هم بأن يقلع بطائرة ، فاذا بها تهـوى محطمة على أرض مطار (هانوى) ، فى تلك الحرب « القذرة » التى انتهت فى (ديان بيان فو) !.. لقد تحدث ــ ليـلة أمس ــ عن هواجس هــذه اللحظة ، الى الحسناء الشقراء التى جاءت طواعية الى سريره ، ولم تحاول أن تخفى رغبتها .. لا بد أنها بين ركاب الطائرة !.. ورجا مساعده أن يبحث عنها بين المسافرين ، فيدعوها الى قمرة القيادة .. وهو شرف لا يتاح الا لكبار الشخصيات !

وأقبلت « شييلا » ، فأشار الى المقعد الخالى بجواره .. وشملها بنظرة متفحصة سريعة .. كانت شقرتها حقيقية ، وكان شعرها حريريا ، وتحته وجه كأنما نحتت قسماته يد مهندس معمارى دقيق .. وعنـدما برزت من بين الغابات معابد (انجكور) ، أخذ يحدث الشقراء عن هذا الموقع الأثرى ، وقد غمره حب مفاجىء .. حب الفرنسى الذى انتزع هــذه الآثار من الغابات ليجعل منها أعجوبة العالم الثامنة ، التى يفد السياح من كافة أرجاء العالم لمشاهدتها !

● ●

● **كان** « چيون » قد راقب الشقراء ــ وهى تتجه الى قمرة القيادة ــ بنظرات تجاوزت ثيابها لتتغلغل فى أعماقها .. كانت دعوة « المؤتمـر الحيــادى للكتاب » الى الاجتماع فى

(كمبوديا) حجة لعودته الى (انجكور) ، التى ظل يحن اليها مذ زارها أول مرة - قبل عامين . وقد يكون المؤتمر - كغيره من اجتماعات الكتاب - عملا غير مثمر ، اذ أن مثل هذه الاجتماعات كثيرا ما تتحول الى استعراضات خطابية ، ومصادمات سياسية ، ومناسبات يلفها الضباب .. وتذكر « چيون » مؤتمرا عقد فى أوربا - منذ سنوات - تحول الى حملة سياسية ، بمهارة « موني مولتانى » ، وهو كاتب هندى لامع ، وطموح ، كان يجلس فى مقعد بأحد الصفوف امامه ، فى الطائرة .. كان « مولتانى » يريد من كل دولة أسيوية أن تلقى بنفسها فى أحضان الغرب ، وأن ترتبط معه باتفاقيات وبرامج عسكرية ، ولم يكن يكف عن الأسفار ، ليلقى محاضرات ويكتب مقالات عن « الخطر الشيوعى » .. ولا بد أن لوجوده فى « المؤتمر الحيادى » - فى كمبوديا المحايدة - معنى وأهمية ..

ولكن ، ما غاية المؤتمر ؟.. ان الدعوة لم تتضمن كلمة « السلام » ، التى يستخدمها اليساريون ، ولا كلمة « الحرية » التى يتشبث بها اليمينيون .. وعلى نقيض مؤتمرات « الحرية » ، كان المدعو لهذا المؤتمر يتكفل بكافة نفقات سفره واقامته .. وكان هذا مما يؤكد أنه « حيادى » !

وفى مقعد أمام « چيون » مباشرة ، جلس « شوندرا داس » .. كان من « الكتاب التقدميين » الهنود ، الذين لقيت كتبهم رواجا لما فيها من صدق « بروليتارى » ، وبراعة سياسية .. وبرغم شعره الابيض ، كان وجهه يشرق بنضارة مبعثها ايمانه ب « المجتمع الصالح » ، وتفاؤله الذى لا يتزعزع .. وعندما التقى « داس » و « مولتانى » - فى المطار - أشاح كل منهما عن الآخر ، وهو يبتسم فى رثاء وازدراء !.. وساءل « چيون » نفسه : كيف يجتمع الاثنان فى مؤتمر واحد ؟.. لم يكن « داس » يملك نفقات السفر والاقامة ، بينما كان

المعروف أن مؤسسات غربية تنفق على « مولتانى » .. أما « چيون » نفسه ، فكان له ميراث يجعله فوق الشبهات !

وما من سبيل لمعرفة أصحاب الفكر بين الكتاب ، فان « الحرب البـــاردة » أتاحت لقب « الكاتب » للصحفى ، والروائى ، والشاعر .. بل وللطابع على الآلة الكاتبـــة . وفى مهب الرياح الباردة والساخنة ، أصبح صناع الكلمة فرائس للكلمـــة ، وراحوا — فى ضراوة — يمزقون أنفسهم بحثا عن أنفسهم !.. فاذا بهم يضيعون فى متاهات « اللاشيء » ، واذا « التعبير عن النفس » يصبح مصطلحا أجوف غير ذى معنى !

وقال « چيون » لنفسه : اننا جميعا نتعثر فى سعينا الى عالم أفضل . ولكن بعض الكتاب التفتوا الى الماضى بحنين ، وبعضهم جمع ثروات باستغلال بلاغته لتبديد الملل ، أو اثارة النوازع الجنسية المكبوتة ، أو تعرية جراح الروح الانسانية والمبالغة فى تصويرها .. ولقد أراد « چيـــون » — ككاتب اسيوى — أن ينجو من هذه المتناقضات ، فأوحى لنفســه بأن يحرص على أن يتبع هوى عقله ، دون أن ينحاز لأى الفرقاء .. ولكن هذا المسلك منه ، كان فى حقيقته هروبا .. وكان يرجو أحيانا ، أن يخرج من المناقشات والمجادلات ببصيص يهديه وامثاله — ممن وقفوا حيارى بين صراع النظامين الاقتصاديين : الغربى والشرقى — الى طريق سوى مأمون . ولكنه لم يلبث ان كف عن البحث عن مثل هذا الطريق ، وآثر الا يختار جانبا ينحاز اليه ، وان أدرك أن هذا الوضع غير مرض ولا مثمر !

وانتزعته من أفكاره عودة الشقراء من قمرة القيادة ، فأخذ يتأملهـــا ، وهو يقول لنفســــه : « الواقع أننى لا أحب الشقراوات ! » .. كان فى هذه الفترة من حياته يجتاز مرحلة زهد ، وانصراف عن المتع الحسية .. وضــع مجرد ، مبهم ، كذلك الذى اختاره لنفسه فى ميدان الكلمة !

●●

● شعرت « ميبل ديسبير » بالألم يسرى فى ساقيها .. كانت تأبى أن تنصت لمن يعزو هذا الى ثقل حذاءيها ، فقد عودتها امها الانجليزية أن تبتاع أحذيتها من انجلترا .. وكانت « ميبل » حريصة على الا تبدو « أوراسية » ، فقد كانت ملامحها أوربيـة ، وما كان أحد يعرف أن اباها صينى من (بورما) ، وان كانت هذه الحقيقة قد وضعت العراقيل فى طريقها .. فان الشركات الأوربية ـ فى آسيا ـ كانت تريد سكرتيرات على المام بلغات اسيوية الى جانب الانجليزية ، وهذا ما لم يتيسر لها ، اذ كانت أمها تحرص على الا ترتبط بآسيا .. وكان الاسيويون ينظرون الى امثالها على أنهم موالون للاستعمار .. الى أن قابلتها « مارى فاوست » وفهمتها ، فعهدت اليها بعمل ينقذها من هذا الضياع .. أو اللا انتماء !.. واتخذتها سكرتيرة لها فى جهودها الثورية !

وما كانت « ميبل » قد قرأت لماركس قط ، ولكنها ـ ككل أهل آسيا ـ كانت تشعر بأنها جزء من حركة تغيير لا تنقطع .. **وسرعان ما أحبت « مارى فاوست » ، وأعجبت بها ، ومضت فى اعجابها الى درجة عبادتها كبطلة من الأبطال . ولم تكن « مارى » اسيوية ، ولكنها كانت أمريكية « فهمت » الاسيويين ، وعرفت آسيا كما لم يعرفها الكثيرون من أبنائها ، وآلت على نفسها أن تعد « ثورة آسيا » .. هكذا قالت لميبل ، وقد صدقتها « ميبل » ، فتولت نسخ كل ما كانت تكتب ، وتفانت فى تنفيذ تعليماتها !..** وكان « توماس ديسبير » ـ وهو من أم صينية وأب اسكتلندى ـ يعيب على زوجته هذا التفانى ، ويسخر من « ثورة مارى فاوست » . ولكنه لم يملك أن يعترض سفر زوجته الى المؤتمر .

وراحت « ميبل » تحلم بمقابلة كبار الكتاب فى المؤتمر ، وقد يكتشف أحدهم فيها ما يلهمه عملا يخلدها .. ومضت ـ فى أحلامها ـ تتصور لنفسها دورا فى « الثورة » .. لولا

« ماري » لما انفسح امامها هذا المستقبل ، فاى شيء تضن به من اجل « ماري » والثورة ؟.. لقد قالت لها ماري : « يجب أن تكوني مستعدة لأى شيء من أجل الثورة .. ولو لمضاجعة شخص راسمالي ! »

وكان « شوندرا داس » — فى هذه الأثنـــاء — يفكر فى مدى خوفه من « ماري فاوست » .. ان « ماري » اعتادت أن تخلف وراءها اعصابا محترقة ، وعواطف مهشمة ، وارواحا مذعورة .. وكان مجرد وجود « ميبل » فى الطائرة ، كفيلا بأن يثير قلق « داس » ، لا سيما أنه رأى « ماري » تودعها فى المطار ، وتلاحقها بتعليمات لا تنقطع .. ومع أنها لم تصعد الى الطائرة ، فان وجودها كان متمثلا فى سكرتيرتها ..

وســاءل « داس » نفســه : لماذا يرتبـك دائما امام « ماري » ؟.. لقد قضى شهورا حتى تبين أنها زائفة .. انها — بالتعبير السياسى الاسيوى — مجرد « انتهازية » .. ومع ذلك ، فقد كان امامها يشعر برهبة ، وخوف .. لقد كانت على النقيض من « مونى مولتانى » ، فهذا الأخير « رجعى » دون مواراة ، وقد عرف « داس » كيف يعامله ، وسينازله فى المؤتمـر !

وكان « مونى مولتانى » يفكر فيه ، هو الآخر .. كان — فى بزته الغالية ، السوداء ، التى لا يقر زملاؤه الهنود ارتداء مثلها — يجلس فى مقعده مستسلما لأحلام اليقظة .. كانت رؤية « داس » فى المطار ، قد هزته ، فراح يقول لنفسه ان من الحرى به — وهو الذى حصل على شهادة اتمام الثانوية من (كمبريدج) قبل ثلاثين سنة ، وتشبع بالثقافة الانجليزية — ان يمسك أعصابه ، والا يدع حملات « داس » تثيره !

●●

● **وقف** مسيو « بوليه » ــ مدير فندق (نسوبريم) فى أنجكور ــ يشرف بنفسه على فرش البساط الأحمر الجديد ، اذ كان صاحب السمو الأمير سيهانوك ــ عاهل كمبوديا ــ يقيم مأدبة عشاء فى الفندق ، لوفد تجارى صينى .. كما كان يعتزم اقامة مأدبة ــ فى الليلة التالية ــ لوفد أمريكى . فقد كان الحاكم الذكى حريصا على حفظ التوازن بين الكتلتين المتعاديتين ، صونا لحياد كمبوديا .. **كانت بلاده ترحب بكل من يرغب فى مساعدتها من الفريقين ، ولكن .. دون شروط أو التزامات أو انحياز . وكانت هذه السياسة تغضب أولئك الذين يعجزون عن أن يبتاعوا ــ بما يسمونه ((المعونة)) ــ قواعد عسكرية أو تحالفا ، ولكن الأمير سيهانوك اعتاد ان يقول : ((اننى افعل ما فيه خير بلادى وشعبى ، فهما عندى قبل كل اعتبار !))**

وقال الكابتن ليدريه ، وهو يتأمل ركاب طائرته الذين احتشدوا فى بهو الفندق : « جمهور عجيب من السياح ! » .. ثم لمح « شيلا » جالسة بين رجل نحيف ، وقور ، بادى الذكاء .. وامرأة طويلة ، أنيقة ، فى ثوب قصير عارى الصدر والذراعين .. وشعر « ليدريه » بتوتر ، لمقابلة والد الفتاة التى ضاجعها ، ولكن الفتاة أشارت اليه ، وقالت تعرفه بالرجل والمرأة : « والدى تشارلز مانلى .. وليزا كراوفورد ، مسز مانلى ! »

وشعر « ليدريه » بكراهية لوالد الفتاة ولزوجة أبيها ، لأول وهلة .. بينما أخذا هما يرمقانه ــ فى أدب ــ بنظرات متفحصة .. وحاول الطيار أن يحدثهما عن المعالم السياحية ، فأطلقت المرأة ضحكة خفيفة كالنغم ، وقالت : « ان زوجى خبير فى شؤون الدول المتخلفة » .. وقال الرجل : « ان انعقاد مؤتمر حيادى للكتاب أثار استغرابى ، فأردت حضوره ، عسى أن يساعدنى فى فهم السياسة الكمبودية ، وان لم يكن

هذا فى دائرة اختصاصى ، لا سيما اننى أمثل منظمة دولية » !

قال ليدريه : « لكل شىء هنا علاقة بالسياسة ، لا سيما الادب .. »

ونهضت « شييلا » الى مكتب استعلامات الفندق ، فلحق بها ليدريه ، وقال : « هل سأراك بعد الغداء ؟ .. سأكون فى حجرتى ، وسأطير الى (بنوم بنه) فى الرابعة مساء » .. كانت نفسه تحدثه بأن يضاجع الفتاة مرة أخرى .. وزوجة ابيها ايضا ، ليلقن الخبير « البورجوازى » درسا !

وأجابت الفتاة : « سأوافيك .. اذا كنت تريدنى حقا ! » .. واذهله تواضعها ، فشعر باستحياء ، وكأنها صفعته !

● ●

● راى « چيون » باب حجرته يفتح ، وتبدو خلاله الفتاة الشقراء .. وهتفت : « آسفة . اخطأت الحجرة ! » .. وكان يفرغ محتويات حقيبته ، فتوقف مرتقبا أن تنسحب ، وهو يدرك انها كاذبة .. ولكن شعورا بالوحشة ، أغراه بأن يبادلها بعض الحديث ، فدعاها الى الجلوس بجوار الشرفة ..

وقالت الفتاة : « لا يبدو عليك أنك كاتب ، فأنت موفور الملاحة والأناقة .. ترى من أين انت ؟ » .. وأجابها متكلفا لهجة مسرحية : « اننى من زمرة الرحالة ، ركاب الطائرات ، الذين يطوفون بالعالم ، ويكسبون عيشهم من الكتابة عنه ! .. وانت ؟ » .. وطوحت قدمها الى الأمام قائلة : **« اننى .. لا شىء ، ولا انتمى الى شىء .. أود ان ارتبط بمكان ما ، فلا افلح .. تعلمت فى سويسرا ، وتزوجت فى نيويورك ، وطلقت فى (رينو) ، وانا الآن اسافر مع أبى وزوجته .. ابى يدرس الدول المتخلفة مقابل مرتب ضخم .. وارافقه لأننى اصبت بانهيار عصبى . تشارلز يصطحبنى ، واليزا كراوفورد تصطحبه ! »**

ولذ له أسلوبها ولهجتها ، فسألها عن « اليزا » وهو يسوى ثيابه على مشاجب أحضرها معه .. كان منظما فى كل شىء ، حتى فى تفكيره . وكان هذا يروق له ، اذ انه يمكنه من مساعدة سواه .. واخذ يراقب نفسه ، ويراقب الفتاة فى فضول ، وكأنها حيوان حبيس فى قفص حياتها ذاتها .. مجرد مشاهدة ، دون ما تدخل ، اللهم الا اذا سألته الفتاة مونا .. وابتسم ، فقالت الفتاة : « لماذا تبتسم ؟.. الأن اليزا زوجة ابى ؟.. كانت امى شقيقتها ، وكانت اليزا تكرهها ، وانا اكره اليزا !.. انها محررة الأزياء المشهورة ، بمجلة « ماسكارا » ، وقد ابتكرت لمسة شرقية أضفتها على أزياء الغرب .. ان ابى أكاديمى جاء للبحث والدراسة ، أما هى فجاءت تقتنص روح (انجكور) .. وهناك مصور سيلحق بها ، يدعى بيتر !.. أما أنا ، فأضيع وقتى ، وأدمر حياتى ـ كما يقولون لى ـ واكره اليزا .. ! »

وراق لها اصغاؤه لحديثها ، فقالت : « انني ارتاح للكلام معك .. انني عادة لا احب محادثة الرجال .. لا احب سوى النوم معهم » !.. ولم يبد دهشة ، فقد توقع أن تقول هذا ، وان لم يدر مبررا لتوقعه .. كانت وحيدة ، تمضها الوحدة ، وتسحقها الوحشة .. وقال : « انك تعانين الوحدة فحسب .. ولكن ، لماذا تمارسين الجنس ؟ »

ـ وماذا فى الحياة سواه ؟ ان احسن الكتاب لا يجدون فى الحياة ما يكتبون عنه اليوم ، سوى الملل والضيق !

ونسى ما حوله ، وهو يفكر .. فى كل كتاب ، كان يخال انه توصل الى سر الحياة ، ثم لا يلبث أن يتبين أنه لم يصل الى شىء .. كان الحظ قد حباه بالمال ، والمال يمنح المرء الحرية ، والحرية لا تجعل المرء مسئولا عن شىء .. ولكن المال والحرية جعلاه ـ هو بالذات ـ حريصا .. فقد كان كثير الأسئلة ، وما لم يلتزم الحذر فقد يدمغ بأنه

« سياسي » ــ مثل « شوندرا داس » ــ فيفقد جمهوره !..
والمال والحرية مكناه ــ كذلك ــ من أن لا يستقر في مكان واحد ، ولا بين صنف واحد من الناس .. ولقد عرف كافة وجوه الحقيقة عن التبت ، والسويس ، والكونغو ، ولكنه آثر ألا ينحاز الى اى جانب ، والا يستند ــ في الجهر برأى ما ــ الا الى معرفته ، ومن ثم نجا من التيار الذى جرف كتابا غيره !

وعادت الشقراء تقول : « ان المرء لم يعد يؤمن بشيء ، فماذا بقى له ؟.. الجنس ، كما هو الحال معى .. أو السأم والخيبة ، أو السعى الى نهاية تقضى على كل شيء ؟ »

ــ لا اعتقد أن بوسعك أن تعزلى الجنس عن الأمور الأخرى ، كالملل .. ولا عن الشخصية ، والوسط ، والبيئة . ان بعض الناس يلوذون بالجنس ، لانه اقوى الروابط بين انسان وآخر ...

ــ بل هو خير طريقة لكى لا تضطر الى معرفة الناس .. فلست مضطرا الى الكلام وانت تمارسه ، ولا الى التظاهر بالحب .. وبمجرد ان ينتهى ، يشمئز كل من الطرفين من الآخر ، ويسهل عليه أن ينصرف !.. ان الفراش يحتضن المشكلات ، ولكنه لا يحلها ، بل يحجبها فتبدو وكأنها حلت !

وعجب « چيوان » اذ استدرجته الفتاة الى مناقشة دقيقة كهذه ، وهو لا يعرفها .. بل لا يعرف اسمها . وقال : « اننا في آسيا لا نشتغل بالجنس مثلكم ، لأن لدينا مشكلات اهم : البقاء ، الجوع ، المرض ، الأمية ، التطور الاجتماعى .. اننا نبحث عما يكفل لنا الوجبة التالية ، لا المتعة التالية .. اننا لا نشعر بأنفسنا احياء خلال ممارسة الجنس ، لأن احشاءنا تتلوى من الجوع . ولهذا فان الثورة في الهواء الذى نستنشقه ، فلا مجال للجنس كى نقتل الوقت ! »

ــ أما نحن ، في البلاد التى جئت منها ، فنذعر كل الذعر من الثورة ، ونعانى القلق من أن الاسيويين والافريقيين

يطالبون بما ننعم به ، ومن ثم نسمى مطالبتهم « شيوعية » ونصف حركاتهم بالعنف ، لا لشيء الا لنؤخر اليوم الذى يتساوون فيه معنا .. **وتدفع المال لانقاذ طفل جائع ، فى كوريا أو فيتنام او اى مكان ، لا لشيء إلا لنستبقى الجوع بعيدا عنا ، فلا نفكر فى عواقبه بالنسبة لغيرنا .. لم يعد لنا حب ولا عاطفة ، لأننا نقرأ عنهما ، ونراهما فى ((التليفزيون)) ، ونعرفهما بالكلمات قبل ان نشعر بهما .. لم يعد لنا الا الملل !**

وقال « جيون » لنفسه : « هذه مأساة الشباب فى كل مكان ، فى عصرنا هذا .. ولكنها لم تصل الينا بعد ــ فى آسيا ــ لأننا لا نعرف سوى أن علينا أن نسعى لتأمين قوت الغد قبل كل شيء » !.. واخذ يتأمل الفتاة : كانت ممشوقة القوام ، ذات عينين زرقاوين كعيون القطط السيامية .. وفى لب شبابها ذاته فوضى لا ترتبط بزمن ما ، وتدفع الذهن الى تشتت يماثلها .. أما هو ، فكان رجلا عادى الشكل ، فى اوسط العمر ، لم يتلوث بالشعور بأهمية ذاته !

وعرض عليها أن يستقلا سيارة الى معبد (انجكور) ، ويشاهدا نقوشه ، ثم يعودا فيتناولا الغداء معا .. وأثارها تجاهله رغبتها ، فقالت لتهز وعيه : ((**لن استطيع تناول الغداء معك ، فانا على موعد مع الكابتن ليدريه .. لأنام معه مرة اخرى ، بعد الظهر !))**

ولم يجب « جيون » ، بل أمسك بيدها ، وقادها الى السلم ، وهبطا معا .. من الآن يجب أن يمسك بيدها ، وأن يتولى بنفسه ارشادها الى حاجتها الحقيقية .. ولم يكن يبغى أن يتورط فى علاقة معها ، ولكنه آثر أن يرعاها ، ولينتظر ما تتطور اليه الأحداث !

●●

● **عبثا** حاول « مونى مولتـانى » أن يتصـل تليفونيا بـ « بد كيلتون » ، الذى قيل له فى بانجكوك أن عليه أن يقابله بأسرع ما يتسنى له .. كان قد التقى به مرة من قبل ، وكان هذا خليقا بان ييسر التظاهر بأن مقابلتهما الجديدة وليـدة المصادفة ، فقد كان يؤثر المصادفة فى كل أعماله ..

وهبط من حجرته ، الى مكتب استعلامات الفنـدق ، حيث اسـتقبله مسـتر « لى سوفان » ، الموكل بالمكتب .. وما أن شكا له « مولتانى » تعذر الاتصال تليفونيا بكيلتون ، حتى عنى بنفسه بالأمر ، وسرعان ما جاء الرد من « معهد الصيانة » .. وبأدب بالغ ، قال « لى سوفان » : « ان معهد الصيانة هو مكان اصـلاح التحف الأثرية .. انه بالمتحف » .

وسرعان ما كان « بد كيلتون » على الطـرف الآخر من الخط التليفـونى . ومع أنه لم يتعـرف على شخصية « مولتانى » ــ الذى كان يكلمه فى حذر بالغ ــ فقد وعد بأن يوافيه فى الفندق ..

وتحول « مولتانى » الى البهو ، فلمح « شوندرا داس » يتامل المعروضات فى نافذة زجاجيـة .. وتمتم محنقا : « جاسوس ! » ثم جلس الى احدى الموائد ، وهو مضطرب الأعصاب .. وخيل اليه أن شخصا غير مرئى يسأله ضاحكا : « ماذا جئت تفعل هنا ؟ » .. انه جاء ليصون السلام ، ولكن هذا السلام وهم وسراب .. فان حياد كمبوديا خطر !

وبعد فترة قصيرة ، اقبل « كيلتون » .. كان ضخم القامة ، عريض الوجه ، ضخم الفكين ، دائم المرح والكلام .. ولوح له مولتانى ، فأقبل كيلتون هاتفا : « أهلا بصديقنا القديم .. ماذا جاء بك ؟ » .. وتلفت حوله ، فلمح « شـوندرا داس » يتحدث الى « لى سوفان » ، فهمس بصوت خفيض : « غدا مساء ، ستلتقطك سيارة أجرة من هنا . اتفهمنى ؟ » .. ثم اشار لخادم كى يأتيهما بشراب ، وراح ــ بصوت عال ــ

يتحدث عن الثقافة .. ولكنه خلال كلامه ، كان يقول بصوت منخفض : « **انهم يراقبون حركات كل شخص هنا .. ليس الخميريون (الكمبوديون) وحدهم ، بل الفرنسيون أيضا ، فهم يكرهوننا .. كل رجال الأعمال الفرنسيين الذين غادروا فييتنام الجنوبية ، جاءوا الى هنا .. المفروض انهم حلفاؤنا ، ولكنهم يحاولون هدم امريكا .. والبلاد هنا محايدة كما تعلم ، فهى مفتوحة للجميع . لهذا يجب أن نهزها ، لتميل الى النظم الديموقراطية .. أن الحياد معناه زوالنا جميعا من جنوب شرقى آسيا** » !

وما لبث أن قال : « بالمناسبة ، احب أن أعهد اليك بشىء خاص سأسلمه لك غدا ، لتحفظه لى .. أستبقه معك ، ولا تتركه بعيدا عنك ، الى أن أدبر أمورى ! »

● ●

● كانت التمرينات الرياضية ، ومعالجة التغضنات وتيبس البشرة ، تشغل أكبر شطر من أوقات « اليزا كراوفورد » اليومية . فقد كانت حريصة على ألا تدع يد الزمن تغير من شكلها ، وأن تظل محتفظة بنضارتها ورشاقتها ، برغم تجاوزها الاربعين .. اذ أن النضارة والرشاقة ــ والمصور « بيتر آنستى » ــ كانت عناصر شهرتها كمحررة تطوف بأرجاء العالم ، لجمع المواد السياحية ، ولتقتبس من معالم كل بلد أزياء مبتكرة تروق للنساء فى رحلاتهن السياحية .. وهكذا كان تعاونها مع « بيتر » مصدر دخل متدفق ــ على كل منهما ــ من منظمات السياحة ، وصحافة الأزياء !.. لهذا جاءت مع زوجها .. ولقد كان « تشارلز » مهموما منفعلا ــ طيلة الأشهر الأخيرة ــ من أجل ابنته التعسة ، ولكن « اليزا » حرصت دائما على أن تظل بمنأى عن هذه القرابة ، لان الهموم تسبب التجاعيد وتذهب بنضارة الوجه !..

هكذا كانت « جاكلين » ــ أخت « اليزا » وزوجة « تشارلز » السابقة ــ تفعل !

.. لكم كانت ((اليــزا)) تعجب بجاكلين ، ولكم كانت تكرهها !.. وعندما شعرت ((جاكلين)) بأنها لم تعد قادرة على الاحتفاظ بشباب ساقيها ، تزوجت من ((تشــارلز)) ، وانجبت ((شيبيلا)) ، وبدات تسرف في الشراب ، وتتورط مع رجال آخرين .. ثم كان الطـــلاق ، والأقراص المنومة ، والانتحار !.. ثم تزوج « تشـــارلز » من « اليزا » ، التى تعلمت مما أصاب أختها درسا جعلها تنأى عن الحب والخمر ، فتالقت في دنيــا الأزياء .. وكان زواجا موفقــا ، فكل من الزوجين وفير الكسب ، وان كانت « شيبيلا » تستنزف أموال ابيها ، اذ أنه لم يكن يكف عن عرضــها على كبار الأطبـــاء النفسيين .. وكان « تشارلز » غبيا في حبه لابنته ، ولهذا أصر على أن يصطحبها الى (كمبوديا) ، وهو يوقن من عجزه عن أن يكبحها عن أن تسعى دائبة الى مضاجعة الرجالَ !..

ودوت طرقات على البـــاب ، فصـــاحت : « أدخـــل ! »

ولكن القادم لم يكن « تشارلز » .. واجفلت « اليزا » لرؤيته ، وهتفت : « أهذا انت ؟.. اخرج ! »

ــ اتحبين ان اخبر تشارلز بما أعرف .. عن جاكلين ؟

وبرغم ما اعتادته من مقاومة للانفعالات ، فقد بدأ وجهها يتغير .. وقال القادم : « ليس الأمر عسيرا .. أنها خدمة صغيرة اريدها منك .. اكراما للماضى ! »

● ●

● **عاد** « تشـارلز مانلى » الى حجرته محنقا .. لم تكن « شيبيلا » في حجرتها ، ولا كانت بين من حملهم « الأوتوبيس » لزيارة المعالم الاثرية .. لقد شاهد نظرة « فرانسوا ليدريه » اليها ، وراى نظرتها الجوفاء الشاردة اليه .. وكان يدرك

ما وراء ذلك ، فود أن يسير على غير هدى ، تحت الشمس ، فرارا من واقعه .. ان ((شييلا)) لا تدرى كم تسبب له من آلام ، منذ كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ، وغابت عن البيت ثلاثة ايام ، ثم وجدها فى فراش زميل له فى الخامسة والأربعين من عمره .. وراح عدد الرجال ينمو ، وهى تنمو .. ثم الزواج ، والطلاق ، والانهيار العصبى ، والأطباء النفسيون .. وفى عجز كان يراقبها فى جولته هذه .. ما اصطحبها الا ليراقبها .. فى القاهرة ، والهند ، وبانجكوك ، يدرس العلاقة بين الانتاج والدخل والمعونة الخارجية للأمم النامية .. ويراقب الرجال الذين كانت تتقلب « شييلا » على أسرتهم .. حتى خدم الفنادق !.. ولقد اضطر مرة ـ منذ سنتين ـ الى أن يضربها .. ولكنه عدل عن هذه السياسة ، لأن الفتاة مريضة ، وقد يضطرها العنف الى أن تبعد عنه نهائيا ، وتكف عن أن تعود اليه والارهاق يعلو أساريرها ، ونظرة الانسحاق فى عينيها ، فتحيط عنقه بذراعيها ، وتهتف كطفلة صغيرة : « ضمنى اليك يا أبى ! » ..

وفى تلك الأثناء ، اجتازت « اليزا » ردهة الفندق الى حجرة « شييلا » المقابلة لحجرتها .. لم تكن الفتاة هناك ، ولكن ثيابها كانت متناثرة فى كل مكان ، فى فوضى واهمال .. وكانت فى الحقيبة علبة « شيكولاتة » ، اخذتها « اليزا » ومضت .. وبعد لحظات ، عادت بعلبة اخرى ، تشبه التى اخذتها تماما ، فوضعتها مكانها !

● ●

● نفس الحلم الغريب الغامض ، كان يلاحق « چيون » باستمرار .. كان يتمثل نفسه نحيلا ، اسمر ، عاريا الا من مئزر حول ردفيه ، فى سهل احترقت خضرته .. وأدرك أن هذا نذير الموت ، ولكنه لم يجفل منه ، بل كان سعيدا به !

ولقـد عاوده الحلم ، وهو يتأمل آثار معبد (انجكور) الكبير ، مع « شيبلا » .. وتمنى أن يحدثها عن حلمه ، ولكن عدم اكتراثها بشيء صـده عن المحاولة ، فانهمك يشرح لها النقوش .. **وضايقه انصرافهاعن الاصـغاء ، لا سيما حين قالت : « ان الفن الهندى مختلف عن هذا .. انه أكثر تعبيرا عن الجنس » !.. الجنس مرة أخرى ؟ !.. وقال لنفسه : يجب الا أغضب .. انها أوربية ، والأوربيون لا يفقهون المسحة الدينية للفن الاسيوى ، بل يرون الناحية الجنسية فيه !**

وهدأ غضبه ، وعاوده التأثير الحزين لحلمه .. الموت ينتظره فى حقل محترق !.. وسار بالفتاة الى القاعة الكبرى ، حيث كانت النقوش تمثـل اثنتين وثلاثين جنة ، وسـبعا وثلاثين جحيما !.. لقد فتن هذا المنظر « جيبون » منـذ عامين ، وذكره بأن هـذا المعنى للذنب والعقاب كان يسود الغرب والشرق فى القرون الوسطى .. وقال للفتاة : « ان الجحيم ليس أبديا .. ففي البوذية ، تتاح للمرء فرصا كثيرة ليعود الى الحياة ، ويبـدأ من جديد ! » .. ولكنها هزت شعرها الذهبى ، كطفلة ملول ، وعادت تقول : **« لا شيء هنا يمت للجنس ! »**

وفى السيارة التى عادت بهما الى الفندق ، بدأت الدموع تنساب على خدى « شيبلا » .. وجلس « جيبون » صامتا ، اذ خشي أن يسالها عما بها ، فيفسد بسؤاله هذه العـلاقة الجديدة ، الغريبة !

● ●

● **على مائدة** قريبـة من مائدة « جيـون » ــ فى قاعة الطعام بالفندق ــ جلست اليزا وتشارلز ومولتانى و « برنار ريجيه » الامين الفرنسي للآثار .. ولم تكن « شيبلا » بينهم . وراح ريجيه يقول : **« ليس حياد كمبوديا خدعة شيوعية ،**

بل ان الحياد رغبة طبيعية لدى معظم الدول الاسيوية .. فالمبادىء الديموقراطية الغربية مبادىء مبهمة لا تكاد توجد .. حتى فى كثير من أرجاء أوربا .. والأمير هنا لا يستمرىء النذر والتهديدات الديموقراطية)) .

وصاح مولتانى : « ما من شىء يسمى « لا شيوعية » ، فالدولة اما موالية للشيوعية ، واما ضدها ! »

وادرات « اليزا » دفة الحديث ـ بلباقة ـ الى التاريخ والآثار ، فقال ريجيه : « اذهبى لزيارة « البايون » ، حيث الأبراج المتعددة الوجوه .. انه تحفة معمارية تجمع بين الخبل والسمو .. انه فكرة صيغت فى حجر .. فكرة ان ملك الآلهة سخط على الدنيا ، فتحولت الدنيا الى حجر .. الى صرح فخم ، أصم ، يمثل ـ فى الوقت ذاته ـ زهرة « لوتس » هائلة .. وهى الزهرة التى ترمز الى المحبة البوذية !.. فكرى يا سيدتى فى الجهد البشرى .. آلاف العمال اقتطعوا الأحجار الضخمة ونقلوها حوالى ستين ميلا .. والمهندسون والفنانون والبناءون الذين ظلوا نكرة مجهولين ، وماتوا ، وبقى عملهم ! »

قال تشارلز : ((كان عندهم ايمان .. فلم يشيدوا لانفسهم ، وانما شيدوا من أجل الخلود !)) .. وعقب مولتانى : ((كانوا يخلقون ثقافة ، وعلينا الآن أن نصونها من الشيوعية)) .. فقال ريجيه ساخرا : ((قد لا تبقى الانسانية لتنعم بهذه الحضارة ، بعد ظهور القنبلة الذرية)) !

وغادر « جيون » قاعة الطعام ، واذا به يلتقى فى الردهة بامرأة صغيرة الجسم ، لامعة العينين ، فى رداء كمبودى ، فهتف « سوميبون ! »

كانت امرأة نصف سيامية ، وربع كمبودية ، وربع فرنسية ، تجيد خمس لغات ، وذات ذكاء ونشاط عارمين ، أحبها « جيون » أيام مراهقتهما ، ولكن أمها كانت تعارض زواج ابنتها من آسيوى .. ثم هربت الفتاة مع « جورج

رولان » ـ وكان فرنسيا معــدما ـ ومالت الى تأليف الروايات ، فلقيت اقبالا من الناشرين ، وأصبحت من أشهر الكاتبات . . ومنذ قيام الحرب الباردة ، أخذ « جورج » يحوم حول المؤامرات والثورات ، حتى عهد اليه بمنصب الضابط الثقافى لهيئة « ميسو » ، وهى منظمة اقتصادية عسكرية ، تزعم أنها تحارب الشيوعية وتنشر الديموقراطية فى جنوب شرقى آسيا . . **وكان عمله يتمثل فى جمع الأغانى الشعبية الاسيوية !.. ولقد كانت ((سوميبون)) تكره هذه الهيئة ، بالرغم من أن أميرا من أقاربها كان عضوا فيها ، اذ كانت ترى أنها ذات أغراض معينة ، ولا يليق بالأمراء أن ينحازوا تماما لأى جانب .. ((بل يجب أن يسبحوا مع تيار التاريخ)) !**

والى جانب تأليف الروايات ، كان لسوميبون خمسة أطفال ، وعدد من العلاقات الغرامية ، ولكن شيئا من هذا لم يعكر هناءها الزوجى ..

وقالت سوميبون باسمة : « ليتك رأيتنا محشودين فى الطائرة الهليكوبتر ، التى حملتنا فى الصـباح : استارتى واوريون ـ ابنتانا الكبريان ـ وطفلنا الجـديد ، **ومارى فاوست التى تكره جورج ، والتى اصطحبت امتعة كثيرة وغادرتنا ـ عند الوصول للفنـدق ـ لتبحث عن كاتب من معارفها . لكم أتمنى أن يحـدث شىء مثير ، فان مؤتمرات الكتاب تكون كئيبة عادة !.. ان جورج مكلف بأن يكتب تقارير عمن يحضرون المؤتمر ، لسجلات منظمة ((ميسو)) .. كأنما يصـلح جورج لدور الجاسوس ، وهو لا يميـز بين كاتب وآخر !))**

وعلى الباب الزجاجى للمدخل ، وجد « چيون » اعلانا يدعو الراغبـين فى حضور المؤتمر ، الى تسجيل أسمائهم فى حجرة مدير الفندق .. وكان التوقيع : « يولونج سيراب ، سكرتير المؤتمر الحيادى للعاملين فى الثقافة ، ومؤلف وشاعر

وصحفى ومدير صحف عالميـــة الصيت » !.. والتفت « چيون » الى « سوميبون » يسألها عن الرجل ، فقالت : « انه من أبناء عمومتي .. رجل لطيف ، كان قائدا وسياسيا ، ثم أصبح راهبا بوذيا ، يتأمل ويخبر الناس بماضيهم .. ستسر استارتي وأوريون بمعرفة هـذا القريب ، لأنهما مشغوفتان بجمع الأسرار ، وتريدان أن تنشئا وكالة للتحريات السرية ! »

وافترقا ، على أن يلتقيا فى الساعة الرابعة .. وشعر « چيون » بابتهاج للقائه مع « سوميبون » ، ثم انصرف الى كتابة نقاط فى مفكرته . وعندما تذكر « شييلا » ، كتب :

« حالة انفصام فى الشخصية (شيزوفرانيا) . خلل كبير ومعوق فى العـلاقات العاطفية بالناس . مسلك شـاذ نحو الناس كافراد . تحب اسـتغلالهم أو اسـتغلال جزء من اجسامهم دون اعتبار لشخصياتهم . مجنونة فى دنيا المجانين . منطوية على نفسها ، ومغلقة دون الشمس والضوء » !

وخطر له أن « شييلا » كانت ــ فى تلك اللحظات ــ فى حجرة « ليدريه » فقال لنفسه بصوت عال : « غبية !.. لن أرتبط بها بأى رباط ! »

● ●

● فى الساعة الواحدة والنصف ، غادر « تشارلز مانلى » الفندق مع « برنار ريجيـه » ، وهما يتحدثان عن « ذلك الهندى الذى لا يطاق » .. وقال تشارلز : « آه ، مولتانى ؟.. لست أعرفه معرفة وثيقة . انه كاتب سياسى جاء للمؤتمر » .

ــ المؤتمر ؟!.. انه سيضم أغرب مجموعة ، ولكنه سيكون ملهاة ترضى الجميع ، فان غبطة « يولونج سيراب » حاذق .

وتحول يتحدث عن علاقة الفرنسـيين بكمبوديا . فان رجال الأعمال منهم لا يزالون يتحسرون على أيام الاستعمار ، وغيرهم قانعون بما يحققون من أرباح فى الوضع الحالى ..

والبلاد مضيافة ، ترحب بكل أجنبي .. « وهنـــاك أجانب متعبون .. هناك مثلا « كيلتون » .. رجل من طراز المبشرين الأمريكيين ، وهو صديق لمستر مولتاني ! »

واذ بلغا المتحف ، اصطحب خبير الآثار ضيفه الى مكتبه ، ليريه بعض الآثار التى اكتشفت أخيرا .. ولكن « تشارلز » شغل عنه ، اذ لمح ــ خلال النافذة ــ « شييلا » تهبط من سيارة أجرة استأنفت سيرها ، وبداخلها شخص لم يتبينه !

لم تكن الأمور قد سارت مع « شييلا » وفق ما اشتهت ، فعندما عاد « ليدريه » الى غرفته ، فوجىء بشخص يقتحمها عليها من الشرفة .. وسرعان ما تبين أنه « شوندرا داس » ، الذى اعتذر بانه كان هاربا من حجرته ، تجنبا للقــاء امرأة كانت تثقل على أعصابه . وساله ليدريه : « أجميلة هى ؟ »

ــ جميلة ؟.. انها شيطانة عبقرية ، كالأفعي .. تجمع بين « عفة » البيوريتان الأمريكيين ، وبين الخبرة بكل فنون اثارة الرجال .. وتفعل كل شيء باسم السياسة ، وفى انانية بالغة وهى تزعم أنه للصالح العام .. والناس يصدقونها ، ويثقون فيها ، حتى اذا انسحبوا ، راحوا يلعقون جراحهم !.. لم أكن ــ ولا كانت سكرتيرتها مسز ديسبير ــ نتوقعها قبــل المساء ، ولكنها هبطت فجأة ، ولم نؤد شيئا مما طلبته منا .. ولسوف تثور ، وما أقسى ثورتها !

وقبل أن يتمالك نفســه ، دوت على الباب طرقات .. وبدلا من « شييلا » ، رأى « ليدريه » امرأة طويلة ، برونزية الشعر ، جميلة الوجه ، تتجلى عليها معالم قوة الارادة .. ودون أن تحفل بالطيار أو تستأذنه ، أشارت الى « شوندرا » ، فتبعها وكأنه مسلوب الارادة .. وأغلقت « مارى فاوست » الباب خلفها بعنف ، فقال ليــدريه لنفسه : « يا لها من ماهرة ! » .. **ومع ذلك ، فقــد ظلت نفســه تحـدثه بأن**

« شوندرا » لم يكن ينشد الفرار منها ، بقدر ما كان يبغى التجسس عليه !

وأعد « ليدريه » حقيبته ، وسار الى السلم ، فأبصر « شيبلا » مقبلة .. وقال فى غضب : « لقد كنت فى انتظارك ! » .. وحدقت فى عينيه باصرار أشعره بأنها اختلفت عما كانت ليلة الامس ، وصباح اليوم ، فقال وقد رأى ان يتجنب التقاء جسديهما مرة أخرى : « اننى سأطير الى (بنوم بنه) فى الساعة الرابعة .. هل تشاطريننى الشراب فى مشرب الفندق ؟ » .. وهبطا الى المشرب ونفسه تحدثه بأنه قد يزداد فهما لها اذا جلسا يشربان . لكم كان يود أن يعرف حقيقتها ، ولكن كيف يعرف الانسان انسانا آخر ؟.. ان جلوسه الى « شيبلا » الآن ــ وهى فى كامل ثيابها ــ يثير ارتباكه أكثر مما أثاره نومها معه عارية !

ــ انك لا تحبنى ، ولست أحفل بهذا .. انك ضاجعتنى ، ولكنك لن تستطيع أن تتذكر ما جرى .. وهذا أفضل !

وبدت له كقطة تخدش ، بينما استرسلت تقول : « أظننى قد وقعت فى حب رجل .. رجل لم أضاجعه ، ولن أضاجعه .. رجل يريد أن يبصرنى بالحقيقة ! »

وشعر ليدريه بغيرة ، وبألم .. ونهض مستأذنا ليذهب الى المطار ، قائلا : « أتمنى لك كل سعادة ! » .. فقالت : « أتمنى أن تتحطم طائرتك ، ولا أراك ثانية » !

● ●

● **قال** « چيون » لسوميبون ، حين وافاها فى جناح الأسرة بالفندق ، فى الساعة الرابعة : « احترسى من مارى فاوست ! » .. فصاحت : « الأنها سألتك بعض النقود يوما ؟.. اننى أوثر أن أتعرض للغش تسع مرات ، على أن أغش شخصا آخر مرة واحدة ، وأمنع تطور قدر هذا الشخص

بهواجسي !.. ان العيش بقلب حذر ليس من الحيـــاة في شيء ! »

وحيت « آوريون » و « أســتارتي » الزائر بانحناءات رشيقة .. كانتا تتعاليان ــ في أدب ــ على الكبار ، اعتزازا بنفسيهما وعقليتهما .. وسرعان ما انطلقت السيارة بالأسرة وضيفها خلال منطقة مليئة بالأشجار التي راح الهواء يداعب أغصانها .. وبلغوا البروج ذات الوجوه الأربعة ، القائمة على السياج الخارجي لأطلال (انجكور ثوم) ، على مسيرة ميــل من (انجكور ڤات) .. تلك كانت مدينة الآثار التي يتوسطها صرح (البايون) العريق ..

وقالت أســتارتي : ((سيحدث انقـلاب يا أماه !)) ..
فصاحت سوميبون : ((هل تستمعين الى ماري فاوست ؟))
.. ولكن ((استارتي)) و ((اوريون)) اكدتا أن النبأ على كل لسان .. وقالت سوميبون لچيون : ((انهما اكثر المأما بحقائق الامور من منظمة (ميسو) !)) ..

وتجلى لهم (البايون) : تسعة وخمسون برجا ضخما ، تقف سامقة كزهور اللوتس ، كل منها يمثل أربعة وجوه ، ارتفاع كل وجه سبعة أمتــار .. ثمان عيون تتطلع الى كافة نقاط الأفق ، تحتوي الدنيـــا ببصرها ، لأن البصر ــ لدى البوذيين ــ هو الســيطرة ، والتملك ، والظفر بالخلود عن طريق اليقظة والوعي .. وهتفت « أوريون » ، وهم يتأملون الردهات المتوارية ، والأركان المظلمة : « مكان رائع لجريمة قتل ! » .. وشعر « چيون » بوخزة ألم قاسية ، وقد ذكرته لهجتها بعدم اكتراث « شيبيلا » .. وهتف قلبه : « ماذا فعلت بي يا شيبيلا ؟ »

وراحوا يتأملون نقـوش المعبـد الهـائل .. ثم قالت سوميبون ساخرة : « لماذا أقاموه يا چيون ؟ » .. كانت محاولة لملء الفراغ بنصب هائل من الأحجار ، أراد به الملك الرب أن

يؤكد وجوده ، فلم يفلح الا فى انتاج عمل جنونى ينذر بالموت . اذ يقال ان « الخميريين » شغلوا باقامة هذا النصب عن رعاية قنوات الرى ، فسطا الجفاف على جزء من حقولهم ، وعدا الفيضـان على جزء آخر ، واستشرت الكوليرا والطاعون فى السهل ، فكان فى ذلك خراب (انجكور) !.. ومع ذلك ، أصبح اهل كمبوديا اليوم يتطلعون الى الصرح بوصـفه من عمل الآلهة ، وليس من نتاج أجدادهم !.. ترى هل يحملق فيـه بشر ـ بعد حرب نووية ـ ويعزونه بدورهم الى قوى خالدة !

وقالت سوميبون : ((درس رهيب !.. كل الأنواع تنقرض نتيجة الافراط .. افرط ((الديناصور)) فى تحصين جسمه فتضاءل مخه وعقله !.. وهكذا نحن ، كلما افرطنا فى ابتكار القنابل ، تضاءلت ثقـة بعضنا ببعض !)) .. فقال چيون : ((قد لا ينتهى بنا هذا الى الحرب .. قد يحدث تجـديد شامل .. بعث !))

وشـعر « چيـون » بأن حيـاته تتجـدد ، وهو بجوار « سوميبون » .. وتأمل ـ بعين الخيال ـ جسد « شييلا » المباح ، ثم قال لنفسه : لن أمسه ، والا حطمت كل شيء !.. وكانت « سوميبون » ماضية فى حديثها : « يجب أن تعقد كل المؤتمرات فى صروح عتيقة مثل هذه .. لست أدرى ، ما الذى اعده العم « يولونج سيرابه » ؟.. أهذا المؤتمر من وحى الهام بوذي ، أو أن العم يخفى وراء انعقاده أمرا ؟ » .. وهنا صاح جورج : « لقد أصبحت ترتابين فى كل شيء ، وكل أمر ، على غرار مارى فاوست ! » .. فقالت سوميبون : « ليتك تأخذ بيد مارى فاوست يا چيون ، فما أقسى أن تكون فتاة جميلة مثلها ، فريسـة للخيبة والكبت ! » .. ولكن جورج قال : « انها مختلة العقل ، تنهشها نيران شهوة للتقدم والطموح .. لشخصيتها ! »

قالت سـوميبون : ((انك تظلمها ، فـكل امرأة تحب

نفســها ، وان تباينت درجات الحب .. ولكن مارى متوقدة الذكاء ، تريد أن تستغل فائض طاقتها الجنسية فى غير هذه النواحى .. ولقد رايت فتاة من قبيلها .. شيبيلا ماتلى ! »
.. واجفل « چيون » ، بينما واصلت سوميبون الحديث : « قابلتها فى بانجكوك .. وكان لقاء وجيزا . ولكنى أحبها . كانت لها مغــامرة مع امير سيامى . لن ادهش اذا اصبحت راهبة يوما ما . اما « مارى » ، فهى مشغولة باصلاح عيوب الدنيا ! »

وقال جورج : « انها تريد الدنيا وفق هواها .. الواقع ان الحرية الحقيقية فى دنيانا تقوم على رصيدك فى المصرف .. وساترك (ميسو) بمجرد ان استكمل المكتبة الجنسية ! »

وما لبثت « سوميبون » ان عادت تنصح « چيون » بأن ياخذ بيد مارى : « انها جميلة ، تحب ـ عن خطأ ـ نفسها فى صورة زعيمة سياسية . ولا بد ان فى حياتها أشــياء كثيرة حاولت ان لا تعرفها ، لأن فى تجاهلها دفاعا عن نفسها !.. ولو أنك وقعت فى هواها ، لعدت الى حب الحياة ، ولسعدت ! »

● ●

● فى اصيل اليوم ذاته ، وصلت طائرة من (بنوم بنه) .. وكانت « ليــدى آدا تيمبرليك » عليها ، فما ان بلغت الفندق ، حتى سألت مســتر « لى سوفان » عن صــديقها « تشــاندرا داس » .. وسرعان ما وافاها « داس » .

ووصل على الطائرة مستر ومسز « فوميكارو » ـ من اليابان ـ كذلك . وقال مستر فوميكارو لمستر « لى سوفان » ، وهو يحجز غرفة له ولزوجتــــه : « ان زوجتى عالمة فى الرياضيات وروائية .. اما انا ، فرجل أعمال وشاعر . وقد جئنــا لحضور المؤتمر » . واقبــل على مكتب الاستعلامات ـ اذ ذاك ـ رجل اوربى مليح ، يصحبه شاب صينى انيق ،

فقـال الأول : « اسمى بيتر آنستى . لا بد أن مسز مانلى حجزت لي حجرة » !.. ورحب به « لى سوفان » ، وقدم له سجل الفنـدق ، فكتب اسمه ، والى جواره : « الجنسية استرالى ــ المهنـة مصور » . وتقـدم الشاب المرافق له ، فكتب « تيوكون تيك ــ من اللايو ــ المهنة .. » ، والتفت الى بيتر ، فقال له هذا : « اكتب انك شاعر يا صغيرى ! » ..

وخصص لهما مستر « لى » حجرة ذات سريرين ، فقد شغل الطابقين الثانى والثالث ــ من الفنـدق ــ وفد من السيدات البوذيات يطوف بالعالم ، ووفد من الروم الكاثوليك يزور جنوب شرقى آسيا .. وهتف « تيو » اذ سمع بذلك : « السيدات البوذيات ؟.. ستكون عمتى بينهن ، وستشى لأبى باننى احضر مؤتمر الكتاب ، وتركت دراسة المحاسبة .. »

● ●

● بينما كان الأمير سيهانوك يكرم الوفد الصينى ، فى قاعة الفندق الكبرى ــ فى ذلك المساء ــ التقى « چيـون » بشيلا وابيها وزوجته ، فى مكتب مدير الفندق ، حيث كان الراغبون فى حضور المؤتمر يسجلون اسماءهم ..

وقالت شيلا : « من ادراكم بانه لا يوجد بين القادمين كتاب زائفون ؟ » .. فقال احد الكمبوديين : « اننا نؤثر أن نولى الجميع ثقتنا » .. وقال « داس » لجيون ، وقد حضر لتسجيل اسمه : « **لقد شهدت كثيراً من المؤتمرات ، ودائما كنت اجد الكتاب قلة ، والأغلبية من الصحفيين ، والأفاقين ، والعملاء السياسيين ، والجواسيس ، والحسان اللائى يحمن حول الكتاب .. ترى من الذين سيحضرون هذا المؤتمر ؟ ولماذا ؟.. ان السياسة تدخل فى نطاق الكتابة .. انها الحرب الباردة ! »**

واستطاع « جيون » أن يغـرى « شيلا » بأن تتسلل معه ، ليتناولا العشاء فى مطعم محلى بسوق البلدة !

وفى تلك الأثنـــاء ، كان الكاتب الانجليزى « آشــلى بازيلدون » يجلس مع سكـرتيرته « جوان واربيرتون » فى مشرب الفندق .. كان الرجل من القلائل الذين اثروا من الكتابة . وكان وجهه أشبه بقناع يصور الألم ، وان لم يدر احد حقيقة ما تحت هذا القناع . اما سكرتيرته ، فكان كل ما فيها يمثل الزهو الوقح الذي يتملك خليلة رجل مشهور .

يوم الاثنين :

● **فى الساعة** التاسعة صباحا ، كانت كبرى قاعات الفندق معدة للمؤتمر .. وكان « مولتانى » و « داس » من أوائل الحاضرين .. واقبلت « شيبيلا » مع أبيها ، فلم يهتز « چيون » لرؤيتها ، ثم بدأ ينبثق فى أعماقه تيار من الاغتباط ، أخـذ يزداد تدفقـــا ببطء !.. ودخلت « مارى فاوست » مع سكرتيرتها والفتى الصينى الجميل « تيو » ، الذى أصرت على أن يجلس بجوارها ..

ودخل القاعة رجلان وامرأة يمثلون كتاب رومانيا .. ثم تبعهم ثلاثة من الأمريكيين فى أقمصة قطنية ، ونعال (شباشب) هندية .. وما لبثت أن أقبلت سوميبون ، فجلست الى جوار « شيبيلا » ، بينما جلس زوجهـا بجوار كاتب باكسـتانى ، بادره قائلا : « اسمى أحمد فؤاد .. من لاهور » .

وصعد الى المنصة راهب بوذى ، فى مسوح اصفر ، وقد بدا راسه حليقا تماما ، فقال : ((مرحبا بكم سادتى وسيداتى ، فى المؤتمر الحيادى للكتاب)) .. ذلك كان ((بولونج سيراب)) ، المليونير ، النباتى ، البوذى التقى ، قريب الأميرة سوميبون .. وعاد رئيس المؤتمر يقول : ((مرحبـــا بكم فى بلادنا المحبة للسلام ، الايجابية الحياد .. فانتم تعرفون أن كمبوديا ــ تحت القيادة الحكيمة لأميرنا المبجل سيهانوك ــ تتبع طريقا مستقلا ،

يتسم بعدم الانحياز ، ويتفق مع قوميتها وكرامتها ... »

وتلفت « جيــون » حوله .. كان عدد الحضــور من الغربيين كبيرا ، ولا عجب فمعظم الكتاب الاسيويين لا تقوى مواردهم على نفقات الحضـــور .. ومع ذلك فقــد كان « مولتاني » و « داس » يمثلان اليمينيين واليساريين من الكتاب الهنود ، وكان هناك كاتب باكستاني ، وسوميبون ، والزوجان اليابانيــان .. كل هؤلاء كانوا أســيويين . وهمس داس : « وهناك تشارلز مانلى ، وآشلى بازيلدون ، وصديقتى ليدى آدا ، يمثلون « الكومنولث » .. كأن البريطانيين محايدون ! »

وقال رئيس المؤتمر : « امامى برقية من جمهورية الصين الشعبية ، جاء فيها : عسى أن تقــوى أواصر التضامن بين الشعوب المحبة للسلام ، وأن يستطيع المؤتمر بآرائه السليمة بصدد التعايش أن ينسف أكاذيب الامبرياليين .. »

وصاح مولتانى : « أحتج ! » .. فصاح داس : « اسكت ! » .. وقال الرئيس : « رســـالة أخرى ، من لجنـــة الحرية الثقافية : نأسف لعدم اشتراكنا ، اذ لم تقدم ضمانات لجدية وفاء الكتاب لمسئولياتهم ، فلم يستهجنوا الفظائع التى جرت فى المجر والتبت .. »

وصفق مولتانى ، فصاحت مارى فاوست : « وماذا عن انجولا ؟ » .. وهتف الرومانيون : « ولومومبا ؟ » .. وصاح داس : « والجــزائر ! » .. وعلا صوت الباكســتانى على الجميع : « والسويس ؟ » .. **ونهض تشارلز مانلى بوقار ، فتساءل عما اذا كانت هذه الاستعراضات تتمشى مع أهداف الاجتماع ، فشكره « يولونج سيراب » وأكد أنها معرقلة لتقدم العمل فى المؤتمر .. ثم استأنف قراءة الرسائل القادمة من ارجاء العالم ، ثم قال :**

« البقية صفحة ١٢٥ »

"پومبى"..

مدينة الترف والملذات المتحجرة!

للمؤرخ والمحقق الصحفى
"إيڤار ليسنر"

بين (بومبيى) و (هيروشيما)

فى الرابع والعشرين من اغسطس ، سنة ٧٩ ميلادية · توقف نبض مدينة (بومبيى) الرومانية ـ المجاورة لمدينة (نابولى) الايطالية الحالية ـ فماتت فجأة كل مظاهر الحيـاة فيها ، كما تموت حركة الساعة حين يفرغ زمبركها ..

فى صباح ذلك اليوم ـ منـذ حوالى تسعة عشر قرنا ـ فقـد بركان (فيزوف) صوابه ، وانفجر فى أعنف ثوران عرفه التـاريخ القديم ، وجعل ذلك اليوم المشئوم من معالم التاريخ ، وانزله منزلة لا تقل اهمية عما اكتسبه ـ فى عصرنا الحديث ـ ذلك اليوم الذى القيت فيه قنبلة (هيروشيما) .. وان كان هنــاك فارق هام بين المأساتين : فالمأساة التى صنعها الانسان ـ فى هيروشيما ـ محت كل شىء فى الوجود .. اما المأساة التى صنعتها الطبيعة ـ فى بومبيى ـ فقد ابقت كل شىء جامدا ، تحت طبقة من الحمم البركانية سمكهـا خمسة وعشرين مترا .. ابقت كل شىء ، ولكن بلا حياة ! .. أو ـ بمعنى آخر ـ ابقت كل معالم الحياة ، ولكن .. متحجرة !

وهكذا احتفظت لنا الطبيعـة ـ برغم قسـوتها ـ بمرجع رائع يتيح لنا الوقوف على اسلوب الحياة الرومانية ، خلال القرن الأول من ميلاد المسيح ، بكل دقائقها اليومية ..

واصدق واجدث سجل لمأساة (بومبيى) ، ولما ترويه معالمهـا المتحجرة عن حياة الرومان فى ذلك العصر ، هو هذا التحقيق الصحفى المصور الذى قام به صحفى درس علم الآثار وتخصص فيه ـ وهـو «ايفار ليسنر» ـ فاستطاع أن يترجم حديث المدينة المتحجرة ! .. على أننا سنقدم له بوصف عام ، تناهى الينا ـ عبر القرون ـ من شاب شهد المأساة وعاشها .. وببعض المعلومات العامة التى تيسر لنا ادراك قيمـة ما كتب المحقق الصحفى والمؤرخ : ايفـار ليسـنر Ivar Lissner .. و « ليســنر » من الشخصيات الفريدة فى عالم الصحافة .. فبعد أن درس القانون والتاريخ وعلم الاجناس فى أكبر الجامعات الالمانية ـ أخذ يطوف بمعظم بلدان العالم ، من كندا المسيسيبى ، الى افريقيا وآسـيا .. وخـلال رحلة استكشافية فى



ايفار ليسنر .. مات قبل ان يكتمل نشر تحقيقه !

منشوريا وآسيا الشمالية ، عثر على عدد من القبـــائل المجهولة ، فتوفر على دراستها بشغف وأمانة .. وقـــد اصـــدر عدة كتب عن رحلاته ، اهمها : « هكذا كان اجدادنا يحيون » ، و « القياصرة » ـ الذى بلغ ما طبع منه مليونين ونصف المليون من النسخ ! ـ كما تولى رئاسة تحرير مجلة « كريستال » الاسبوعية ..

لكن « ليسنر » بلغ القمة ـ فى تحقيقاته الاثرية والتاريخية ـ يوم قدم تحقيقا مفصلا رائعا ، عن حياة الرومان فى مدينة (بومبيى) .. وقدر لليسنر ان يكون هذا التحقيق هو آخر اعماله ، وان يوافيه الموت بغتة كما وافى بومبيى .. اذ داهمته نوبة قلبية فى ٤ سبتمبر ١٩٦٧ ، بعد يومين من نشر القسم الاول من التحقيق ، وقبل خمسة ايام من نشر القسم الثانى والأخير .. فمات فجأة وهو جالس الى مكتبه فى سويسرا ، وبين يديه مخطوط بعنوان .. « الجنة ! »

الموت ينطلق فجاة من البركان

● اشرق فجر اليوم الرابع والعشرين من اغسطس سنة ٧٩ ميلادية ، على مدينة (پومپيى) ، حاملا كل بوادر البهجة والبهاء اللذين يقترنان بأويقات الصباح فى صيف الجنوب الايطالى ..

لم يكن يخالج اهل المدينة ــ وعددهم ٢٠ ألف نسمة ــ اى شعور سوى البشر والتفاؤل ، وهم يسرحون أبصارهم فى البساتين والمروج التى كانت تحيط بمدينتهم ، وتحف بجبل (ڤيزوڤ) ، القائم على حوالى سبعة أميال من المدينة ..

واذ اخذت الشمس ترتفع فى السماء ، بدأ أصحاب الحوانيت يغلقون المصاريع الخشبية ، تأهبا لفترة الغداء .. وهى فترة راحة طويلة فى ايطاليا . وكفت الفتيات المتخلفات حول النافورة عن الثرثرة ، وحملن جرارهن الطويلة النحيلة ، عائدات الى البيوت .. ودفع أحد الخبازين واحدا وثمانين رغيفا داخل الفرن .. ووضع أحد رواد الحانة ثمن شرابه على المائدة ..

ولم يقدر للخباز ان يستخرج الأرغفة ــ وهى ترقد الى اليوم متفحمة ، فى متحف مدينة (نابولى) ! ــ ولا قدر لساقية الحانة الحسناء ان ترفع النقود عن المائدة !

.. ذلك لأن (پومپيى) ارتعشت فجاة ، ثم نفض بركان (ڤيزوڤ) عنه الخمول ، واطلق ــ فجاة ــ زئيرا صاخبا ، ولهبا متأججا ، ودخانا كثيفا حمل الموت الى كل حى .. حتى الطيور التى كانت تحلق فى السماء ، هوت الى الأرض ميتة !

واندفع آلاف من القوم الهاربين من المدينة ، مواصلين السفر بقية ذلك اليوم وطيلة ليله ، قبل أن يطمئنوا الى انهم أصبحوا خارج دائرة الموت ، التى راح (ڤيزوڤ) يرسمها حول نفسه !.. بينما بقى آلاف آخرون من سكان المدينة ،

لم يبرحوها ، لأسباب شرحتها أجسادهم للأجيال التالية : فهناك طائفة من المحزونين ، وجدت أجسامهم متحجرة حول مائدة جنائزية ! . . ووجد رجل ملقى فى الطريق ، وقد تحجرت قبضته على حفنة من الذهب ! . . وهناك أناس تلكأوا ليدفنوا ثرواتهم فى جوف الأرض ، ريثما يعودون بعد هدوء البركان ، فداهمهم الموت على حواف الحفر التى أحدثوها ! . . ولاذ آخرون ببيوتهم ، يحكمون أبوابها ضد ركامات الحمم والرماد البركانى ، فاذا الحمم والرماد تسد عليهم الأبواب والمنافذ ، فلا يملكون بعد ذلك فرارا !

الأمواج تمنع الأسطول من نجدة المدينة

● ولقد تناهى الينا الكثير ــ مما جرى فى الساعات الأخيرة لپومپيى ــ مما كتبه فتى فى الثامنة عشرة من عمره ، يدعى « جايوس پلينيوس » أو پلينى الصغير ــ وكان يعيش مع أمه فى (ميزينيوم) ، على الضفة الأخرى من خليج (ناپولى) ، ويعمل سكرتيرا لعمه « پلينى الكبير » ، الذى كان عالما فى الطبيعيات ، و « اميرالا » فى الأسطول الرومانى . .

ويروى الشاب كيف أن عمه رأى عمودا ضخما من الدخان ينطلق من (ڤيزوڤ) ، فأسرع بسفنه الى الضفة المقابلة ، ليساهم فى الانقاذ ، غير حافل بالأحجار والرماد التى كانت تهطل مدرارة . . وبلغ « پلينى الكبير » مرفأ (ستابييه) ، القريب من (پومپيى) ، ثم اشتد عنف الهزات الأرضية ، فتضاعف هياج أمواج البحر ، الى درجة لم تستطع السفن معها أن تواصل تقدمها . .

وظلت النيران والرماد والأحجار والدخان تنطلق من جوف البركان طيلة الليل . . واذ انتهت ليلة الأهوال ، اندفع أهل (ميزينيوم) ينشدون الفرار ، هم الآخرون . . وكان النهار قد طلع ، ولكن الظلام كان يزداد تكاثفا باطراد . . ونال

الاعياء من أم ((پليني الصغير)) كل منال ، فراحت تهيب بابنها ان ينجو بنفسه ويتركها لمصيرها .. ولكن الشاب ظل متشبثا بها ، تحت الرماد الذى كان يطبق على كل شيء ..

وفى (پومپيى) ، كانت حشود المذعورين تتدافع فى الطرق على غير هدى ، بينما كانت العربات ــ التى حملها الحمقى بأمتعتهم ، بدلا من أن ينجوا بحياتهم ــ تسد المسالك عليهم .. وما لبثت الريح أن تحولت ، فاذا بها تحمل من البركان عاصفة من غاز ساخن خانق ، لعله دخان الكبريت .. ونفذ الدخان الى رئتى « پلينى الكبير » ــ وقد أرسى سفنه عند (ستابييه) ــ فاذا به يسقط على الشاطىء ميتا .. وكان هذا فى (ستابييه) ، التى تبعد عن (پومپيى) قليلا ، فما بالك بالحال فى (پومپيى) ذاتها ؟

الطبيعة تسدل ستارا يصون المدينة قرونا

● **وكأنما** هز السماء ما كان يحدث على الأرض ، فاطلقت دموعها مطرا غزيرا ، اذا به يختلط بالرماد البركانى ، فينتجان عجينة كست كل شيء سقطت عليه بغشاء سرعان ما تيبس وتحجر ، وصان كل المخلوقات وكل الأمتعة والأثاثات والمبانى على مر القرون ..

وعندما هدأ البركان ــ بعد ثمان وعشرين ساعة ــ كانت (پومپيى) قد دفنت تحت أنقاض ومخلفات بركانية سميكة .. واجتاح مدينة (هيركولانيوم) القريبة ، سيل من الوحل الذى سرعان ما تجمد فوقها ، فغطاها بطبقة سمكها ستون قدما ..

هذه الأغطية التى بسطتها مخلفات البركان والطبيعة ، هى التى صانت لنا حقائق ما حدث .. فاذا (پومپيى) لم تمت موتا بطيئا ، وانما اغتيلت بسرعة خاطفة ، فى أوج جمالها وثرائها ..

ولقد نسى العالم (پومپيى) ومصيرها ردحا من الزمن ، فظلت أطلالها دفينة تحت أكوام من الرماد ، على شاطىء نهـر (سارنو) ، فى موقع أطلق عليه الناس اسم (لاشيڤيتا) ـ أى المدينة ـ وان لم يدروا أية مدينة هى !

وفى سنة ١٥٩٤ ، دعت الحاجة الى حفر نفق تحت كل الرماد ، لنقل مياه النهر الى الداخل ، واذا العمال يكشفون ـ اثناء الحفر ـ لوحتين حجريتين ، تحملان نقوشا كتابيـة .. ولما كانت أرض ايطاليا تطوى كثيرا من الآثار .. فان أحدا لم يحفل بهما .. الى أن قدر للمهندس الخاص لملك (ناپولى) أن يتفقد النفق ـ بعد قرن ونصف القرن ـ ففطن الى أهميـة الموقع ، واستعان بأربعة وعشرين عاملا على الحفر ، فى سـنة ١٧٤٨ ، وشاء الحظ أن تكون الحفرة الأولى مؤدية الى أكثر أحياء (پومپيى) القديمـة ازدحاما . **فلم تمض أيام ، حتى اكتشف « الكوبيرى » ـ وهو اسم المهندس ـ جدارا يحمل رسما بألوان زاهية .. كما عثر على أول جثة ، وكانت جثة الرجل الذى تحجرت قبضته على حفنة من الذهب !**

وازداد الاهتمام بالحفر . ولكن اهتمام « الكوبيرى » لم يكن موجها الى الناحية الأثرية ، بقدر ما كان موجها الى اظهار مدى الاستعانة بالبارود ، فى أعمال الحفر .

الحفر العلمى يتعثر قرنا كاملا

● وفى سنة ١٧٦٣ ، وفد على (پومپيى) ألمانى فى أوسط العمـر ، يدعى « ج . وينكلمان » ، من هـواة الآثار . ولكن المسيطرين على (پومپيى) ـ اذ ذاك ـ كانوا حريصين على الا يطلعوا غريبا عليها . بيد انه استطاع بالرشوة أن يتسلل الى متحف (ناپولى) ، فيدرس ما فيه من أشياء استخرجت من الموقع . ثم تمكن ـ بنفس الوسـيلة ـ من أن يتسلل الى الحفائر ..

وكان ما رآه ، بداية البحث الأثرى الحقيقى فى الموقع .. فلم تنقض سنوات أربع ، حتى كان « وينكلمان » قد ترجم الأشياء – التى شاهدها – الى تقرير مكتوب ، يسجل ستة قرون من الحياة فى المدينة التى اختفت قبل ذلك بثمانية عشر قرنا !

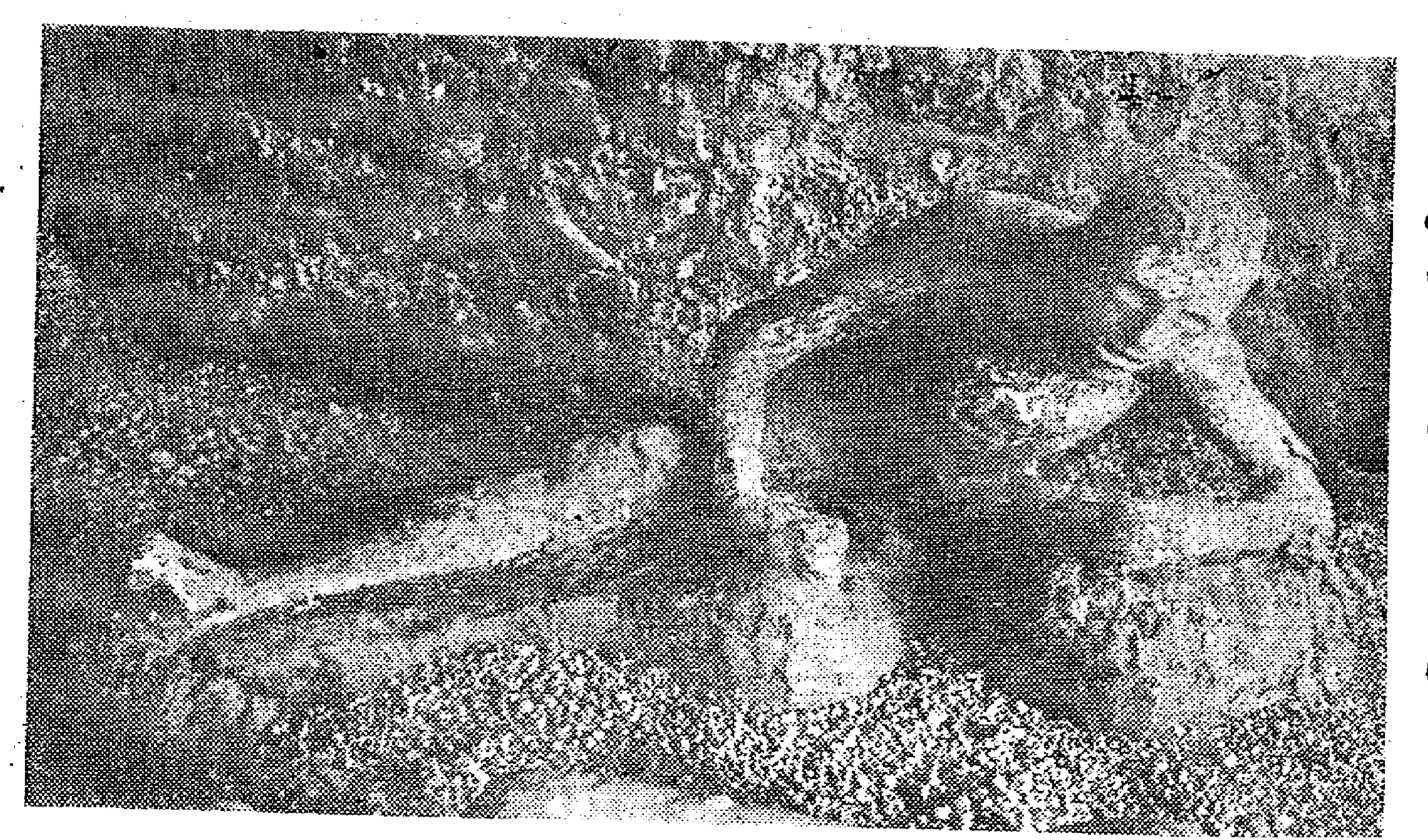
وقد أدى عمله الى ايضاح الطريق الى الحفريات المهمة ، التى أجريت – بعد ذلك – فى طرواده ، وكريت ، ونينوه ، وبابل ، ومصر .

بيد أن أحدا لم يحفل به ، فى ذلك الوقت .. وبالتالى ، لم يأبه أحد لقيمة موقع (بومبيى) ، وان استمرت هناك عمليات حفر مرتجلة ، لا تتبع أى أسلوب علمى ، ولا ما أشار به ((وينكمان)) فى تقريره ..

وبعد قرون من الزمن ، كانت هذه العمليات قد كشفت عن قاعة الاجتماعات الكبرى – التى كانت تتوسط المدينة – وعن الأسواق والمحاكم ، والمعابد .. ثم كشف الحفر عن مسرح المدينة ، وقاعة الموسيقى ، والملعب الرياضى – الذى كان يتسع لحوالى ٢٠٫٠٠٠ متفرج – وحديقة الحيوان والحمامات العامة ..

جهود لإعادة المدينة الى أوضاعها الأصلية

● على أن عمليات الحفر – برغم ما كشفت عنه – لم تكن تهدف الى التنقيب عن نواحى الحياة التى تلاشت ، بل كان كل ما تهدف اليه هو البحث عن تحف فنيـة تزيد من ثروة متحف (نابولى) ! .. الى أن ساق الله الى الموقع عالما آخر – وكان أول عالم يهتم به بعد « وينكلمان » – وهو الايطالى « جوسيبى فيوريللى » ، فاذا به يفطن الى ما للتحف التى استخرجت جزافا ، من قيمة أثرية وحضارية ، فطلب ايقاف



اغراء الطمع بأن يجمع ذهبه ومجوهراته ، ويحاول الفرار ، فانقضت عليه الحمم البركانية ، وتحجر ..
وتحجرت قبضته على حفنة من الذهب !.. وكانت جثته أول جثة اكتشفها « الكوبيرى » ، سنة ١٧٤٨ .

عمليات الحفر المرتجلة فورا .. ثم تولى تنظيم الجهود ، بحيث يسير الحفر من شارع الى شارع ، ومن مبنى الى مبنى ، بعناية ودقة علميتين .

ولم تعد التحف والآثار تحمل الى متحف (ناپولى) ، بل اصبح كل ما يتسنى العثــور عليه ، يوضع فى مكانه الطبيعى الذى كان يشغله قبل الكارثة .. فأعيد تركيب قطع الرخام و « الموزاييك » التى كانت تكسو أرض البيوت ، وأعيد لحــام بعض التماثيل والتحف التى تهشمت .. **وكانت عملية اعادة كل شيء الى ما كان عليه ، اشق وأصعب من عمليات الحفــر والتنقيب .. ولكن حوالى مائة شخص ــ من امهر العمــال الفنيين ــ توفروا عليها ، واورثوا ابناءهم بعدهم اساليبها .. ولا يزال الى اليوم من احفادهم من يسيرون على نهجهم ..**

وتوفر الحكومة الايطالية ثلاثة أرباع النفقات التى يتطلبها الكشف عن كافة دقائق مدينة (پومپيى) ، واصلاح المخلفات ، بحيث تبدو المدينة المتحجرة فى الوضع الذى كانت عليه عند وقوع النكبة .. أما الربع الباقى ــ من النفقات ــ فيستمــد من السياح الذين أخذوا يتدفقون على الموقع من كل مكان .. فان أعمال الصيانة التى تبذل ، جعلت خيال زائر المدينــة المتحجرة ينشط ــ وهو يجوس خلالها ــ فيتصور أن الحياة دبت فى حوانيتها وحاناتها ، وان الأصوات تنبعث من متاجرها وبيوتهــا ..

.. والآن وقد المنا المامة عاجلة بماساة ((پومپيى)) ــ كما رواها احد شهودها ــ وبما كان من مصــيرها ، وبتاريخها ، وبتطور الجهود التى كشفت عنها ، تعالوا نقرأ التحقيق الذى كتبه ((ايڤار ليسنر)) !

الحياة تسير .. برغم اخطار البركان !

● **لا يزال** (فيزوف) قابعا فى مكانه ، مطلا على خليج (نابولى) فى شموخ وسكون ، يغلفه ضباب اشبه بغلالة شفافة .. لكم يتناقض جماله الوادع هذا ، مع تاريخه الماسوى !.. وبالرغم من أن المصير الذى أوقعه (فيزوف) بمدينة (پومپيى) لا يزال ماثلا فى معالمها المتحجرة ، فإن الايطاليين لم يكفوا عن التعمير والبناء فى الهضاب المحيطة به .. ذلك لأنهم عرفوا طباع البركان والفوا أخطاره .. انه قد يقضى قرونا فى خمول ودعة ، ثم يتوالى ثورانه سنوات طويلة ، كما حدث بين سنتى ١٨٧٥ و ١٩٠٦ .. **وتتعاقب فترات الثورات وفترات الهدوء دون معدل او قاعدة ، ولكن الناس لا يستغنون عن الأراضى المحيطة به ، فهى من اجود اراضى ايطاليا واخصبها . اذ تتقبل الزراعة ثلاث دورات فى العام ، وتدر من المحصولات اوفرها واجودها .. فضلا عما تزخر به مياه الخليج الأزرق من خيرات لا تنضب !**

وفى احدى فترات غضب البركان ، لقيت (پومپيى) نهايتها الأليمة ..

بدات الفترة فى أوائل سنة ٦٣ ميلادية . ففى ظهيرة الخامس من فبراير ، حدث زلزال رهيب ، تداعت له الأرض .. وكان سكان (پومپيى) و (هيركولانوم) ــ القابعتين عند سفح البركان ــ يجلسون الى موائد الغداء مطمئنين ، فاذا الأرض تنشق فجأة فتبتلع الموائد والاثاث والجدران ، ومعبدى « چوپيتر » و « ابوللو » ، ومسرحى (پومپيى) ، وقصور الأغنياء وبيوت الفقراء .. والناس والماشية !.. وامتد الدمار حتى هضاب مدينة (نابولى) ..

وكانت روما آنذاك تحت حكم « نيرون » .. ولما كانت زوجته الحسناء « پوپيه سابينا » من (پومپيى) ، فقد أمر

القيصر باعادة بناء المدينة ـ وجاراتها التي تهدمت ـ في أسرع وقت .. وما لبث القوم أن نسوا الزلزال الفظيع الخاطف ، ولم يفطنوا الى أن الغازات والأبخرة كانت قد تراكمت في جوف (ڤيزوڤ) ـ القـابع بجلال خلف الكروم وأشجار الزيتون ـ وان الهزات الأرضية كانت نذيرا بأن ضغط الأبخرة والغازات يشتد ، بحثا عن منفذ ..

.. وتحجرت الحياة فجأة بكل مظاهرها !

● وفي عام ٧٩ تولى ڤسپازيان ـ المشهور بدمامته وبخله ـ الحكم خلفا لنيرون .. وفي العشرين من أغسطس ـ من ذلك العـام المشئوم ـ بدأ سـكان (يومبيى) و (هيركولانوم) و (ستابييه) يسمعون ضوضاء مكتومة تصدر عن (ڤيزوڤ) ، مصحوبة بهزات أرضـية متتالية ، استمرت يومين .. ولم يسـاور أحد الريب ، اذ كان (ڤيزوڤ) قد ظل هادئا حوالى ١٥ عاما ..

وهدأت الهزات الأرضية طيلة اليومين التاليين .. ثم ـ وفي ٢٤ اغسطس ـ دوى انفجار عنيف لا عهد لأحد به ، فاذا الضجيج يصم الآذان ، والأرض تتشقق ، وأعمدة اللهب تنطلق من جوف البركان لتطاول السماء ، والدخان يخيم على المنطقة كثيفا متتابعا دون ما نهاية ، والأحجار والصخور تملأ الجو ثم تعـود متساقطة كوابل من المطر ، مصحوبة برماد ـ أشـد سوادا من دياجير الليـل ـ وبحمم تتلظى بحرارة تتجاوز آلاف الدرجات ..

وتدافعت الغازات الخانقة ـ من جوف البركان ـ تخمد كل شيء ..

وتحجرت الحياة .. تحولت الى تماثيـل حجرية !.. وكانت ثمة ظاهرة غريبة ، تلك هي أن الحيـاة ـ بكافة مظاهرها اليـومية ـ قد توقفت فجأة ، وليس تدريجـا .. وكشفت



وجه شاب رياضى من الأشخاص الذين وجدوا متحجرين فى (بومبيى) وقد ظلت عيناه تحتفظان بنظرة الذعر الذى انتابه حين داهمت النكبة المدينة !

الحفريات عن مآس طريفة : لقد استطاع بعض السكان الهرب من المصير الفظيع ، بينما ضاقت السبل بآخرين فلاذوا بأقبية البيوت ، أو بالمقابر .. ومنهم من راحوا يصلون ، ومن وجدوا متشبثين بأموالهم ، محتضنين نفائسهم !

صور من أحداث اليوم المروع

● وتصور أحداث ذلك اليوم الرهيب ـ بالقدر الذى توفر لدينا من الكشوف الأثرية ، ومن دراسة الأنقاض

المتحجرة ـ مدى الذعر الذى انتاب الناس ، ومدى الأهوال التى تعرضوا لها ..

من هـذه الصور : ان ذلك اليوم بدا صحوا جميـلا فى صباحه ، فلجأ أحد مواطنى المدينة ـ وكان اسمه « لوشيوس هيرينيوس فلوروس » ـ الى قبو بيته ، وأخذ يتسلى بالعزف على قيثارته ، بينما كانت زوجته تروح وتغدو فى البيت ، تراقب العبيد وهم يقومون ببعض ترميمات فى المبنى ، والخدم وهم يعدون الطعام .. حتى اذا انتصف النهار ، بدأت تعد المائدة ، واذا الظلام يسود الكون دفعة واحدة ، وانهالت على سقوف البيوت ملايين من الأحجار ، بين صـغيرة دقيقة ، وكبيرة يصل وزنها الى ٢٠ كيلو جراما .. وامتلأ الجو برماد خانق . وهرع « لوشيوس » الى زوجته ، **بينما اندفع العبيد ـ من كافة أرجاء البيت ـ الى الباب الخارجى يبتغون الفرار .. ولكن الظلام والرماد والحرارة الفظيعة ردتهم الى داخل البيت ثانيـة .. حيث وافاهم الموت ـ مع سـيد البيت وزوجته ـ اختناقا !**

وفى بيت مؤلف للمسرحيات الشعرية » كشفت الحفريات عن أن الشاعر كان يقتنى كلبا للحراسة ، اذ ثبت الى جانب المدخل لوحة للتحذير منه .. وكانت هناك حانتان للخمور ملحقتين بالبيت ، تنـاثرت فيهما موائد ازدانت بالموزاييك الجميل .. ويبدو أن الشاعر ورواد حانتيه ، كانوا ـ فى ذلك اليوم ـ أسرع من غازات (فيزوف) الخانقة .. **فلم يبق فى البيت أحد ، سوى ابنتى الشاعر اللتين قبعتا فى انتظاره حتى داهمهما الموت فاستسلمتا فى دعة !**

ولقد بقيت كثير من البيوت كمعالم أثرية تتحدث عن حياة الرومان .. فعلى عتبة أحد البيوت ، لا تزال كلمة « مرحبا » منقوشة ، لتشهد بكرم أصحاب البيت .. ويبدو أنهم كانوا مفرطى الثراء ، اذ توحى الحفريات بأن ثراءهم هو الذى عاق

ربة البيت عن الفرار ، حين وقعت النكبة .. **والظاهر انها استغرقت وقتا فى جمع حليها ومجوهراتها ، ولم تكد تبلغ قاعة المائدة ، حتى انهار عليها السقف ، فماتت ومعها كنز من المجوهرات والأساور المصنوعة على شكل ثعابين ، والاقراط ، والخواتم المرصعة بأثمن الأحجار الكريمة ، والمرايا الفضية ، والعملات الذهبية !**

وهناك كنز آخر جمعه أصحابه ، ولكنهم تركوه ـ فى حلة نحاسية كبيرة ـ لينجوا بانفسهم فى آخر اللحظات .. واستطاعت الأسرة أن تهرب ، ولكن أربعا من النساء ـ يبدو انهن كن يستأجرن غرفا فى البيت ـ داهمهن الموت اختناقا ، بين مجوهراتهن ..

تموت الحسناء .. والمرآة فى يدها !

● **هذا** الحرص على الذهب والفضة والمجوهرات ، من اطرف الظواهر فى مأساة (پومپيى) .. ترى هل يمكن تبريره بمجرد غريزة تملك فطرية ساذجة ، دفعت النسوة والفتيات الى الانهماك فى جمع الحلى ، فى الوقت الذى كانت فيه مدينة بأسرها ، تبحث عن شمس أغسطس التى انطفأت فجأة ، فى منتصف النهار ؟

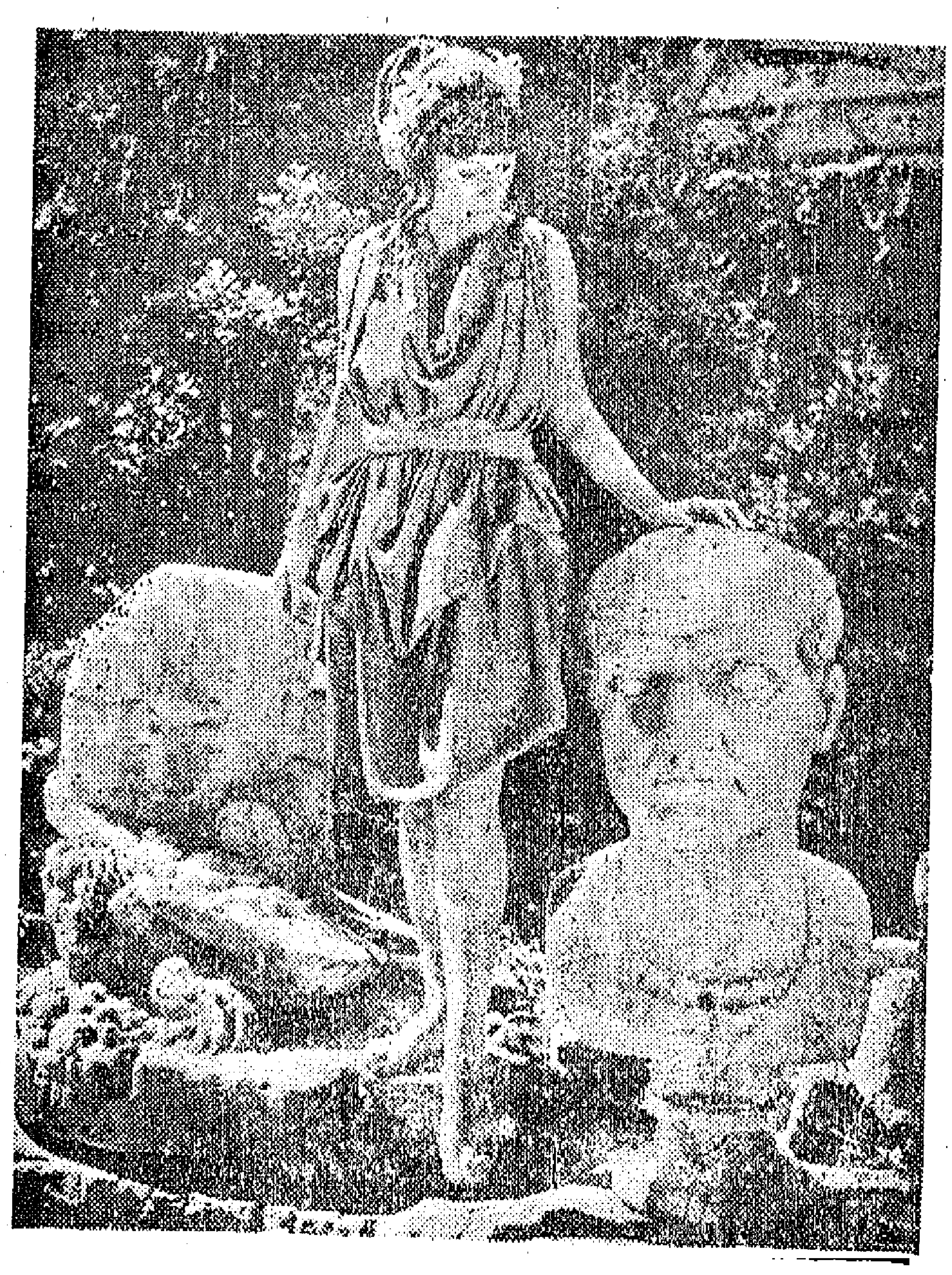
واذا صح هذا التبرير ، فبماذا نبرر ظاهرة تلك الفتاة التى وجدت ممسكة بمرآتها فى (ڤيلا الغوامض) ؟.. وهى (ڤيلا) فى احد أطراف (پومپيى) ، اكتسبت اسمها من الزخارف الغامضة ، المحفورة والبارزة فى كافة ارجائها .. **ترى أكانت الفتاة المسكينة تطمئن الى اكتمال زينتها ، عندما احاطت بها غازات (ڤيزوڤ) فاختنقت ؟**

وفى مبنى آخر ، وجد شاب مجهول ـ لم تكشف الحفريات عن معلومات عنه ـ وقد انزوى فى أحد اركان حجرة حبس فيها ، وتجمدت نظرته الأخيرة على خاتم حديدى فى أصبعه ، ازدان بصورة محفورة لوجه امرأة ..

واكثر غرابة من كل هذا ، أن فريقا من سكان (بومبيى) لاذوا بالمقابر فرارا من الموت والدمار !.. بل منهم من اختاروا أن يرقدوا فى قبور ، فلم يبرحوها ازاء تراكم الرماد البركانى والأتربة والأحجار .. وفى احد هذه القبور ، عثروا على امرأة تحجرت وهى تجلس القرفصاء ، وقد رفعت طفلها الرضيع الى اقصى ما تصل اليه ذراعاها .. رغبة فى انقاذه !

وفى (ڤيلا ديوميد) — فى الطرف الأقصى من حى المقابر — قصة اخرى .. فبعد الحمام والافطار ، فى صباح ذلك اليوم — وكان الصباح صحوا — ضم البيت اربعة وثلاثين شخصا ، انتشروا فى البيت والحديقة .. وكان صاحب البيت يمارس صناعة النبيذ ، وقد أعد تحت البيت كهفا لتخمير انتاجه .. فلما انقضت الكارثة ، راى ان ياوى واهل داره وضيوفه الى الكهف الذى كان مغلقا من كل جانب — عدا ثقوبات للتهوية فى السقف — ليعصمهم من الأحجار والغبار .. ثم خطر له ان يحكم اغلاق الباب الخارجى للدار ، فاسرع الى الحديقة مصطحبا احد خدمه .. وداهمه الموت عند المدخل ، وفى احدى يديه مفتاح الدار ، وفى الأخرى كيس به ست قطع من العملة الذهبية ، وثمانون قطعة فضية !.. أما افراد أسرته وخدمه وضيوفه ، فهلكوا فى الكهف بعد ذلك .. ووجدت زوجته محتضنة طفلها الصغير .. بينما وجدت ابنته الكبرى محتضنة مجوهرات خطبتها (الشبكة) !

وفى (ڤيـــلا مناندارى) — التى كان يمتلكها شخص امتزجت فى عروقه الدماء الافريقيـــة والرومانية — كشفت الحفريات عن أفظع مناظر الفوضى والاضطراب .. كان العبيد يعملون فى الطابق الأول .. والظاهر أن صاحب الدار — ويدعى « پوپايس ايروس » — كان قد أوصد عليهم الأبواب .. فلما بدأت الكارثة ، حاول العبيد الخروج ، ولم يجدوا سوى أن يحطموا الأبواب ، ثم اندفعوا وراء رئيسهم ، الذى حمـل



حسناء ايطالية في ملابس راقصات العهد الذى وقعت فيه كارثة (بومبيى) وهي تقف على بعض اطلال المدينة بجوار تمثال من التحف التى وجدت فيها

مصـــباحا ليبدد الظـلام .. وقد وجدت جثثهم العشر بين انقاض سلم الدار ، الذى انهار بهم .. **ووجد صاحب الدار فى ركن من فراشه ، وقد وضع الوسائد فوق راسه ، وكانه كان يحاول صد الغازات الخانقة .. وكان فى يده كيس ضم قطعتين ذهبيتين ، وتسعين قطعة فضية ، وثلاث عشرة قطعة برونزية !**

وقد كشفت الحفريات ـ فى هذه « الڤيلا » ـ عن نقوش سليمة ، بعضها محفور والبعض بارز ، لحصان طروادة يحوطه عدد من الناس ـ وقد ظلت الألوان البنية والصفراء والخضراء لهـذه اللوحة زاهيــة ـ ورسوم لعدد من قصص الملاحم الآغريقية .. كما عثر فى كهف « الڤيلا » على أكبر كنز من التحف الأثرية الفضـية .. مائة وخمس عشرة قطعــة ، استخرجت من الانقاض ـ فى سـنة ١٩٣٠ ـ ونقلت الى متحف (نابولى) ..

وفى مدرسة الألعاب الرياضية فى (پومپيى) ، وجدت جثة متحجرة لطبيب .. ماذا كان يفعل هناك ؟.. هل جاء ليقدم الاسعافات ؟ أو أنه كان يمارس واجب الرعاية الطبية للرياضيين ، عندما انقضت الكارثة ؟.. لقد وجدت احدى الأدوات بين أصابعه ، بينما وجدت ـ فى اليد الأخرى ـ زجاجة زيت ..

مذكرات ربات البيوت والفتيات العاشقات

● **وفى المساء** ، وفى الصباح المبـكر ، يحلو لنا أن نتصور شوارع (پومپيى) ، وقد خلت من السائحين والضجيج ، وارتدت الى ما كانت عليه فى عهد الرومانيين .. كانت الطرق الواسعة ، مثل شارع (ستابييه) ، ذات قناتين ، ولا تزال الثغرات ـ التى احدثتها عجلات المركبات ـ ظاهرة فى الأحجار التى رصفت بها .. اما الطرق الضيقة ، فكانت ذات اتجاه

واحد . ولا بد أن المركبات كانت تقوم على ارتفاع فوق عجلاتها ، اذ تعترض الشارع أحجار بارزة تحدد الأماكن المخصصة لعبور المشاة .. ولم يبق أثر للأشجار التى كانت تحف بأسوار الحدائق ، وتجعل الليمون الحلو والبرتقال وعناقيد العنب فى متناول المارة على الأرصفة .. وأن بقيت آثار للكتابة التى كانت على جدران البيوت ، تتضمن دعايات انتخابية للمرشحين لهيئات رئاسة المجالس البلدية ، التى عقدت قبيل الكارثة بقليل !

ومن أطرف الكتابات الأخرى ، مذكرات كتبتها ربات البيوت .. فكتبت احداهن : ((**٣٠ ابريل : رقدت الدجاجة على بيضها**)) !.. وكتبت أخرى انها بدأت العمل فى نسيج سجادة ، فى ٢٦ ديسمبر .. وذكرت ثالثة تاريخ ايلاجها الخيوط الذهبية فى نسيج ثوب كانت تعده لنفسها .. وكتبت فتاة بخط دقيق : ((**لو كنت تعرف سطوة الحب ، ولو انك كنت انسانا ، لاشفقت على ، ولما صددتنى** ...))

وتشهد الكلمات الأخيرة بما عرف عن (بومبيى) و (هيركولانوم) من أنهما كانتا من أرقى مراتع الحب !

ولم تؤت مدن أخرى فى العالم ما اوتيت هاتان المدينتان ــ حتى فى موتهما ــ من سحر على الأحياء .. فالذى يجوس خلال طرقاتهما ، يشعر بانه كالسائر فى نومه ، ولكنه يمشى على الزمن .. ويروى عن ((جوته)) ــ عندما زار نابولى وبومبيى ــ انه قال : ((اننا ننام جميعا على براكين)) !

ولا يشعر المرء بتاثير سحر الظواهر البركانية على الخيال البشرى ، بقدر ما يشعر به وهو يتسلق بركان (فيزوف) .

ويستطيع المرء ان يصل بالسيارة الى منتصف السفح ، اما بقية المسافة ، فيمكن اجتيازها ب « التليساج » .. أى المركبات التى تجرى على اسلاك .

المدينة القديمة اجمل تنسيقا من الجديدة !

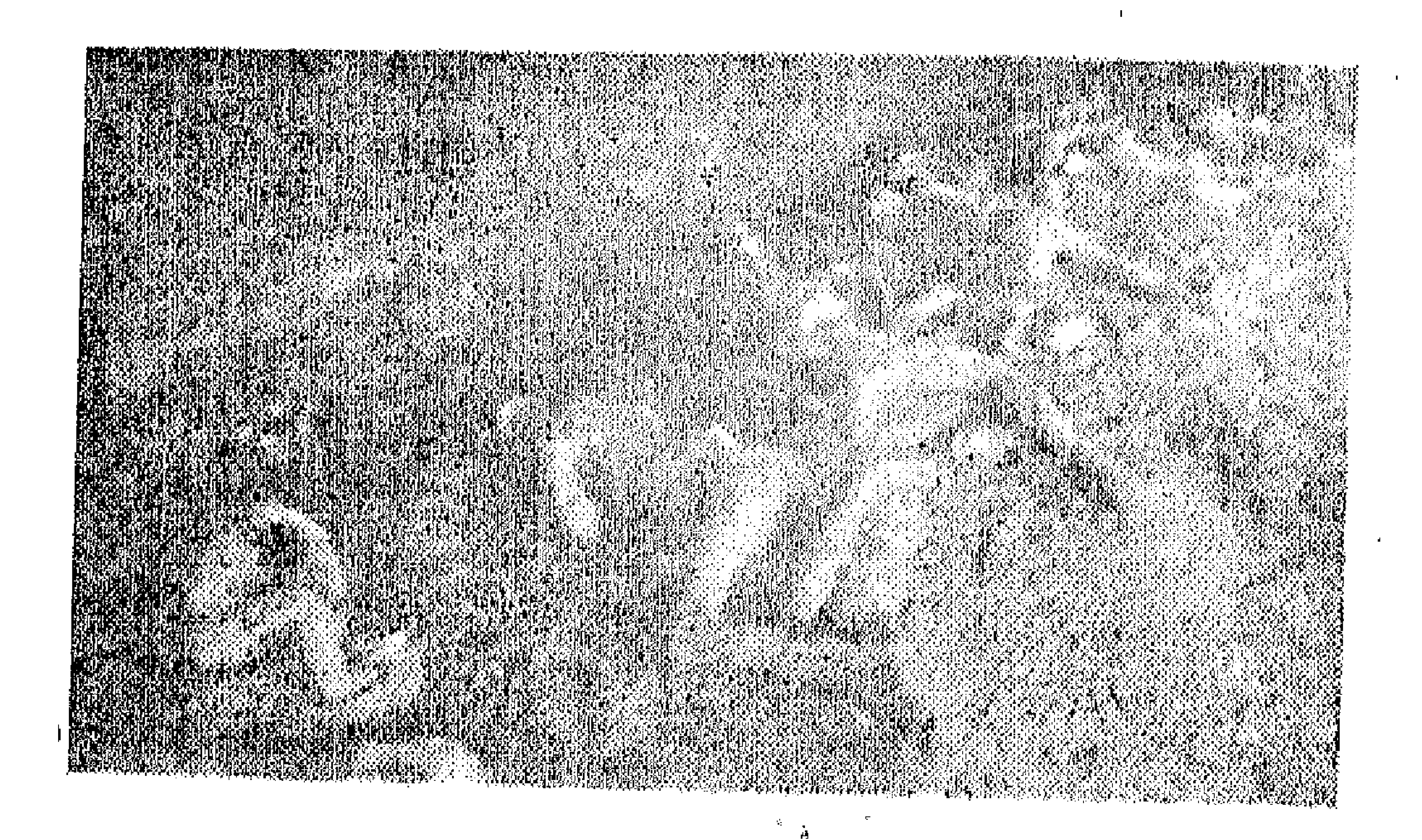
● وتدل الآثار التى خلفها ثوران سنة ٧٩ ، على طاقة لا تضارعها طاقة اية قنبلة هيدروجينية حديثة .. أما ثوران ابريل سنة ١٩٠٦ ، فقد بلغ فيه ارتفاع أعمدة الدخان ١٣ الف متر .. **ومع ذلك ، فان الأعشاب الخضراء تحف بفوهة البركان على الدوام ، ويعبق الجو بشذى الزهور ، وان تخللت الخضرة قناتان كبيرتان ، أحدثتهما الحمم المنصهرة التى نفثها البركان فى سنة ١٩٤٤** . وما من حذاء يقوى على حماية القدم من المواد البركانية المتجمدة .. ومع ذلك ، فان المرء يرى هناك اشجار الفاكهة والكروم !

ولقد حلقنا بالهليكوبتر فوق فوهة البركان ، فلم نر مكانا اكثر وحشة ورهبة منها .. وما من سبيل الى وصف لونها الذى تتخلله خيوط رفيعة من الدخان . ويروح السياح ويغدون على السفح ، وهم يتلكأون وكأنهم يرتقبون أمرا ما .. وفوق مواقع الماضى ، تقوم مدن من بيوت متواضعة ، يعمرها الفقراء والمتعطلون .. **ومن الجو ، بدت لنا مدينة (هيركولانوم) وكأنها مدينة حديثة : شوارع واسعة شقت باستقامة ، ولا تزال ظاهرة وهى تنحدر نحو البحر ، ويتقاطع بعضها مع بعض بزوايا قائمة .. يناقض هذا ما تجلى فى مدينة (ريسينا) الحديثة من اهمال شنيع ، وكأن أهلها لا يدركون أن تحت مساكنهم انقاض احق بالظهور من مدينتهم غير المنسقة !**

ولا يملك المرء ــ اذ يستجلى معالم (بومبيى) من الطائرة « الهليكوبتر » ــ سوى أن يرثى لما كانت عليه هذه المدينة فى الماضى من ازدهار ، ومن نشاط فى الأعمال ، ومن حركة دائبة للتعمير ــ اذ كان البناءون من العبيد لا يكفون عن البناء يوما ــ ومن ضجيج الأسواق .. فقد كانت فيها سوق



الصورتان ـ العليا والسفلى ـ تبينان جثث مدرس وتلاميذه ، وقد داهمهم الموت فجأة ، ثم هبطت عليهم الحمم والرماد البركانى ، فتجمدت جثثهم فى الوضع الذى ماتوا عليه !



للسجق ، لأن الحمامات الساخنة توقظ الشهية للأكل .. وسوق للسجاد الذى كان الشرق يصدره الى كافة أرجاء ايطاليا ..

مغامرات العشاق وحياة الليل فى (پومپيى)

● **ولقد** كانت (پومپيى) ـ على صغر مساحتها القديمة ـ ميناء تجاريا حافلا بالحركة ، وكانت تتألق ببنايات رائعة ، تحيط بها الحدائق ، وتزينها التماثيل واللوحات الفنية المحفورة والبارزة والمصنوعة من الفسيفساء الرائعة الألوان .. وكانت الثروات المتداولة بين أيدى سكانها تفوق الخيال . أما الحياة اليومية ، فلم تكن تقل فى مجالاتها عن الحياة الحديثة .. كان بها صناع الأحذية ، وتجار الأقمشة ، والمطاعم ، وصالونات الحلاقة ، وصناع الأسلحة ، والقصابون .. وتجار النبيذ ، بوجه خاص .. وقد نقشت على جدار احدى الحانات ، هذه العبارات :

« ما دمت قد ارتويت ، فهيا بنا الى الطريق ، وامسك اعنة الخيل ، ولكن لا تستخدم السوط .. واتجه بى سريعا الى قلب المدينة ، حيث تنتظرنى حبيبتى » !

وكانت فتيات (پومپيى) يقظات الوعى ، كما تشهد عبارات الشكوى التى كان يسجلها الشبان على الجدران ، وفى كل مكان .. وكم من قصص عن اقتحام البيوت ، واختطاف الحسان !

وكان الليل فى المدينة ، صورة للأوضاع الاجتماعية فيها .. اذ كان الأغنياء وذوو الميسرة يؤوبون الى بيوتهم الفخمة ، بينما كان الفقراء يلوذون بالظلام ، على حواف الطرق التى لم يكن ينيرها سوى مشاعل العبيد ، عندما يتقدمون مركبات الغوانى ، وهى تقلهن فى جولاتهن الليلية ..

وكانت الآلهة موضع تكريم واجلال فى (پومپيى) ، فى

وقت كانت الديانات الرومانية تلقى جحودا ونسيانا مطردين .. على أن الخرافات والسحر والشعوذة كانت تلقى رواجا ، الى جانب ذلك ..

العبيد يكدحون والسادة يبحثون عن الملذات

● وكان سكان (پومپيى) يمتازون بصفة مشتركة عن بقية المدن الأخرى : تلك هى أنهم كانوا يحبون الحياة بنهم .. نهم دفعهم الى تسمية مدينتهم بلقب : ((**لذة الحياة**)) !.. وكانت رغباتهم تتلخص فى جمع المال ، وتزيين الديار ، والاستمتاع بكل أنواع الملذات .. والى أقصى حد ممكن !

ومما كان يتيح لهم امكانية هذا الاستمتاع ، أن أعباء الأعمال كانت تقع على عاتق العبيد .. وقد كان بالمدينة عشرة آلاف منهم ، أى نصف عدد سكانها : يزرعون ، ويحصدون ، ويصنعون ، ويشيدون ويكافحون من أجل حياتهم التافهة فى نظر سادتهم المرفهين ، الذين كرسوا حياتهم للبحث عن لذة الحب .. وتقول عبارة محفورة على أحد المنازل ، وما أكثر هذه العبارات على منازل (پومپيى) : « الحياة لمن يحب ، والفناء لمن لا يعرف الحب » !

ولم يكن شغفهم بالجمال عامة يقل عن بحثهم الدائم عن الحب والملذات . لذلك كانت ديارهم وحدائقهم وميادينهم العامة تزخر بالتماثيل الرائعة ، واغلبها كان يصنع من الرخام ويترك على لونه الطبيعى ، أو يطلى بالألوان .. ومن أجمل التماثيل التى تم العثور عليها حديثا ، تمثال لأفروديت ــ ربة الجمال ــ من الرخام الأبيض ، تعلوه نقوش ذهبية فى مكان الحلى الحقيقية . ويعتبر هذا التمثال فريدا فى نوعه ، لأن منطقة البطن تزدان بنقوش زخرفية دقيقة ، تدل على ما كانت تتزين به المرأة آنذاك من وشم فى هذا الجزء من جسمها !

المساواة بين الرجل والمرأة فى الأعمال

● **وكانت** المرأة ـ فى مدينـــة الملذات المتحجرة ـ اكثر حريه من زميلاتها فى (روما) أو (أثينا) ، اذ كانت تتمتع



لوحة وجدت بين أطلال بيت الخباز « تيرينتيوس نيو » ، تمثله وزوجته . وكان الخباز يسخر حوالى اثنى عشر عبدا لادارة الرحى لطحن القمح .



شاب رياضى من (بومبيى) تحجر جثمانه وهو فى هذا الوضع ـ على سفح فيزوف ـ يحاول أن يتخلص من الحمم التى أحاطت به ، لينجو بحياته

بنفس الحقوق والامتيازات التى للرجل ، ما عدا حق الانتخاب . ولم تكن تكتفى بالسيطرة على قلب زوجها ، وانما كانت تدير شؤون المنزل ، وتدير تجارة الأسرة ، وتتولى تربية الأطفال . . وكانت الأرملة الثرية تقوم باستثمار الأموال ، وبتمويل أعمال تشييد المعابد والمبانى العامة . .

وقد وصل ثراء بعض النساء الى حد يثير الدهشة ! فقد كانت ((كوليا پاولينا)) ـ زوجة الامبراطور كاليجولا الفاتنة ـ

ترتدى مجوهرات تقدر قيمتها باربعين مليون ((سسترس)) ، اى ما يعادل الآن ٢٠٠ الف جنيه .. فى عهد كان فيه مبلغ خمسة وعشرين الف ((سسترس)) ـ اى ما يعادل الآن ١٢٥ جنيها ـ يمثل دخلا سنويا يكفى حاجات عائلة باكملها !

أما الفتيات ، فكن فى نفس أناقة الباريسيات ، وان صبغتهن الشمس اللافحة بسمرة تزيدهن فتنة . وكان على الفتاة أن تدرس اللغات المختلفة ، وعلم النفس ، والفنون الجميلة ، كما كانت تذهب الى حمام السباحة والمعبد والمسرح . ويقول أحد الشعراء محدثا فتيات عصره : « الى المسرح اذهبى ، فالعشاق تقابلينهم هناك » !.. وكان للفتاة ان تحتفظ بالزى الرومانى القصير حتى الزواج ، فاذا ما تزوجت ، ارتدت الثياب الطويلة !

وكان الشبان عموما ، يتسمون بالعاطفة الجامحة ، واعتاد البعض منهم تكوين فرق متمردة على القانون .. وما زالت بعض المنازل تحمل عبارات غريبة تشهد بمغامراتهم مثل : « استولينا على ما فى هذا المنزل وأشعلنا به النار » ، أو « اختطفنا تلك الجميلة التى كانت لها حكايات وحكايات » !

لكل انسان سعر ولأبطال الرياضة ((كل شىء)) !

● وكانت القيمة النقدية أو العينية للانسان تختلف باختلاف تركيبه الجسدى وأعماله . فكان القزم يساوى عشرة جياد ، أما المصارع فكان يساوى « كل شىء » أو « لا شىء » .. كل شىء طالما ظل منتصرا على خصومه وعلى منافسيه ، و « كل شىء » هنا تشمل أساسا عالم المرأة .. وما زالت جدران المنازل فى (پومپیی) تحمل عبارات مثل « تراس سيلادوس هو موضع فخر البنات » !.. ولم يكن المصارع « نازيكا » أقل من « تيراس » هذا شأنا ، فقد كان خير نجوم مدرسة المصارعة ، وانتصر فى ثمانى عشرة حلقة مصارعة على التوالى..

ومن اطرف واغرب ما كشفت عنــه الحفريات ــ فى احدى غرف ثكنات المصارعين ــ قصة ذلك المصارع الذى اســتغل انهماك الجميع فى حلبة المصارعة ، ليختلي بحبيبته الحسناء ، فداهمتهما كارثة البركان ، وتحجرا وهما متضاجعان ، وليس على الفتاة سوى عقد هائل من الحلي والمجوهرات !

واذا كان سكان (نابولى) والمنطقة المجاورة ــ حاليا ــ متطــرفين فى ايمانهم بالتفاؤل والتشــاؤم ، وبالغيبيات وبالخرافات ، فان هذا امتداد لما كان عليه أسلافهم القدماء . فقد كان سكان (پومپيى) يرددون التعاويذ التى تحميهم من الامراض ، ومن الأرواح الأرضــية الشريرة ، ومن الثــأر والافلاس .. وكانت نذر التشاؤم وسوء الطالع تملأ جداول بأكملها ، ومنها على سبيل المثال : « اذا تعثر انسان فى سيره ، فلابد له من أن يتوقف فورا ، ليعود من طريق آخر ، والا .. »

ومثلما ترتجف ارض البركان ــ حتى يومنــا هــذا ــ يرتجف البعض خوفا من المجهول ، وخوفا من ثوران قادم يجتاح كل شيء من جديد .. فما زال بركان (فيزوف) يهدد بالخطر ، وان بدا ساكنا . لكن الشمس لا تزال بنورها تسطع على نابولى ، وسورنتو ، وكاپرى ، واسكيا ، لتضفى عليها مزيدا من الضوء ، والسعادة ، والأمل .. وتجتذب كل يوم مزيدا من السائحين ، من كافة انحاء العالم !

بقيت بعض معــلومات طريفــة عن مجتمع (پومپيى) نوجزها فيما يلى :

● **كانت** (پومپيى) ذات موقع تجارى مهم ، اذ انها كانت مدخل سهل واسع ، خصيب . وكانت تضم ٢٠ الف نسمة . وقد اشتهرت بالتجارة مع الشرق .

● **كان** الأغنياء من أهل المدينة يقضون سهراتهم فى قاعة المائدة ، التى تتوسطها مائدة من الرخام ، تحيط بها أسرة

وثيرة من ثلاث جهات ، بحيث يعاقرون الشراب ، ويتسلون بالفواكه ، وقد اضطجعوا فى الأوضاع التى تريحهم .

● كان أهل المدينة يتخذون شعارهم قول الشاعر هوراس : « انعم بيومك فهو لن يلبث أن ينقضى » .. وقد جعلوا من « فينوس » الربة الراعية لمجتمعهم !

● فى المنطقة الرابعة ، يقوم « بيت المسرات » ، حيث كان الشباب يذهبون لطلب المتعة الرخيصة ولا تزال تزين جدرانه — الى اليوم — رسوم بالالوان لأوضاع مكشوفة . وهناك مدخلان للبيت ، أحدهما يفضى الى الطابق الاسفل ، حيث كانت الفتيات يجلسن فى انتظار الزائرين .. والآخر يفضى الى الطابق الأعلى مباشرة ، وكان يسلكه الرواد المعروفون ، والذين ينشدون جلسات مرحة قبل أن ينالوا غايتهم . ويلاحظ أن أهل (بومبيى) كانوا يسمون هذا البيت « بيت المسرات » ، فى حين كان الرومان يطلقون على أمثاله — فى المدن الأخرى — لقب « البيوت ذات الرائحة الخبيثة » !

اقرأ مزيدا من الحقائق عن ماساة (بومبيى) ، فى مقال لمدير الحفائر الأثرية فيها ، يقدمه لك « كتابى » على صفحة ١٧٣ من هذا العدد .

أعلام الأدب العالمي

جون آبدايك

أبشع من صوَر انحلال المجتمع الأمريكي المعاصر



اعداد وعرض : محمد مصطفى غنيم

ازواج وزوجات !

لم تحدث رواية من الضجة فى امريكا ـ فى السنوات الاخيرة ـ ما احدثته رواية « ازواج وزوجات » التى عمد فيها مؤلفها ـ الروائى والشاعر الامريكى المعاصر « جون آبدايك » ـ الى تعرية المجتمع الامريكى ، ليكشف ما تحت مظاهر المدنية والحضارة من انحلال فاق الانحلال الذى اودى بالامبراطورية الرومانية فى الماضى !

و « جون آبدايك » من الشخصيات الادبية الامريكية التى تواصل الصعود والتالق ، لا يقعدها نجاح عن مواصلة السعى الى نجاح اكبر .. وقد ظفر بعدة جوائز ادبية كبرى فى امريكا ، كما فاز بالجائزة الفرنسية لـ « احسن كتاب اجنبى » فى سنة ١٩٦٦ .

وقد زار « آبدايك » الجمهورية العربية المتحدة ، فى سنة ١٩٦٨ ، ونزل ضيفا على « جامعة فلسطين » ـ الجامعة الامريكية بالقاهرة ـ حيث القى عددا من المحاضرات على طلبتها ، كما عقد عددا من الندوات ، وقرا بعضا من اشعاره وانتاجه الادبى فى القاعة الشرقية بتلك الجامعة ، واتصل بعدد من الشخصيات الادبية العربية ..

وعن « آبدايك » وروايته « الازواج والزوجات » ، يقدم لك « كتابى » العرض المشوق التالى ..

البلدة التي تعكس صورة المجتمع الأمريكي

● بلدة يسودها الهدوء ، وتتردد فى جوها أصوات الطيور الجميلة وهى تغرد ، وترتفع فى ارجائها الأشجار وقد تشابكت أغصانها ، بينما برزت ـ على حافة البحر ـ تلك البيوت الخشبية ذات الأعمدة البيضاء التى بقيت من مخلفات

الثورة الأمريكية ولم تمحها بعد تماما سمات القرن العشرين الغريبة .. وأبراج الكنائس تشير للجميع لكى يتجهوا نحو حياة الفضيلة ، بينما تتلاشي قضبان السكك الحديدية فى الأفق الشمالى البعيد ، فى اتجاه مدينة (بوسطن) ، التى تقع على مسيرة حوالى ساعة ..

هذه هى (تاربوكس) .. المدينة الصغيرة التى تقع فى ولاية (ماساتشوستس) ، مسرح أحدث رواية للكاتب الأمريكى اللامع « جون آبدايك » JOHN UPDIKE . رواية « أزواج وزوجات » COUPLES ، **حيث تتكشف بدائية الديموقراطية الأمريكية بصورة عجيبة شاذة ، تتمثل فى علاقات أزواج وزوجات البلدة .. وفى شوارع الحى التجارى التى أطلق عليها أسماء « الأمل » و « الاحسان » و « القداسة » ، فى حين أن مجتمع البلدة لا يؤمن الا بالمال والجنس !**

وفى (تاربوكس) ــ كما فى غيرها من المجتمعات المماثلة فى امريكا ــ يتقبل القوم نعم الصحة والثروة والحكمة على أنها نعم طبيعية من حقهم ، بوصفهم أعضاء فى الطبقة الوسطى الأمريكية .. وكذلك نجد أن « تاربوكس » بلدة يسودها المرح والبهجة ، ففى أيام الأحد غالبا ما تجد جماعات من الأشخاص يتقاذفون الكرة أمام منازل الغير ، بينما تثرثر النسوة وهن يرقبن الأطفال فى لعبهم ولهوهم .. وفى قصر زوجين ــ من علية القوم ــ قد تجد مباراة للتنس ، تعقبها أقداح « الفودكا » فى قصر زوجين آخرين .. وللنساء نشاط فى ادارة دار الحضانة وروضة الأطفال ، كما أن لهن جمعيات ، منها جمعية الناخبات ..

الجنس يفرض سلطانه على المجتمع

● بلدة بديعة حقا ، أو هي تبدو كذلك !.. فتحت هذا المظهر الوادع البهيج ، كشف « آبدايك » عن واقع آخر .. **ازواج وزوجات البلدة قد انغمسوا في كتلة سوداء من الجنس المستباح ، والآلهة الطاهرة ــ البيوريتانية ــ قد لاذت بكنائس نصف مهجورة ، يعمرها رجال دين رضوا بالفشل والهزيمة ، وتنافسوا في عقد القداسات لرجال الأعمال ، وفي الحديث عن مسيح لا يحتمل قيامه ((يهبنا الأمن والسلامة الحاضرين ، بفائدة مركبة قدرها ٥ر٤ في المائة ، تضاف كل ثلاثة أشهر)) !** .. أجل ، ان اية امراة اتهمت بالزنا في التوراة ، تستطيع ان تعيش في أمان ، في (تاربوكس) ، حيث لا رجم بالأحجار ، وان سلقتها نسوة البلدة بنظرات حاسدة ! !

واذ فقد البروتستانتي الأمريكي حرارة اليقين ، فان أزواج (تاربوكس) وزوجاتها تحولوا ينشدون حرارة أخرى .. حرارة الجنس والحب المحرم !

ويكشف « آبدايك » ــ في غير مواربة ــ عن غايته .. عن صورة غريبة للمجتمع الأمريكي الذي أصابه الانحلال بدرجة لم يسبقها مثيل في التاريخ ، فغرق في أوحال الجنس ، لا تردعه أخلاق ، ولا مثاليات ، ولا ضمير .. ويبرر « آبدايك » تعريته لهذا الواقع بقوله : **((لقد كثر الحديث القاسي عن ان الحب والجنس أصبحا القاعدة الجديدة لمبادئنا الأخلاقية ، فأردت ان أوضح هذه القاعدة ، لأتساءل : هل هي شيء مرغوب فيه بالفعل ؟))**

وسلط « آبدايك » الأضواء على « القاعدة » ، فاذا كل زوج على علاقة آثمة بزوجة رجل آخر من اهل البلدة : فهذا « هارولد سميث » يضاجع « جانيت أبلباي » ، و « مارسيا سميث » تشاطر « فرانك أبلباي » فراشه .. و « أدى

كونستنتين » ينام مع « ايرين سالتز » ، بينما تنام زوجته مع « بن سالتز » .. زوج « ايرين » !

تبادل بين الأزواج والزوجات !.. أما المدعو « بييت هانيما » فلم تحبذ زوجته التبادل . وعوض « بييت » هذا بأن انطلق يرتوى من كل بيت بجرعة .. فضاجع « جورجين ثورن » ، و « بيا جويرين » ، و « كارول كونستنتين » ، و « فوكسى ويتمان » (التى كانت له معها قصة !)

ماض طيب تبخر .. ولكن تعويضه ممكن !

● وتتسم المشاهد الجنسية ، ولغة الأحاديث التى تصحبها ، بوضوح عجيب جرىء .. حتى بالنسبة لهذا العصر الجديد ، عصر الحرية المطلقة فى التعبير .. وقد اعتبر بعض النقاد رواية « أزواج وزوجات » بمثابة « پيتون پليس » أخرى .. وهى الرواية التى تعرضها « تليفزيونات » معظم دول العالم على حلقات .. ولكن « أزواج وزوجات » لا تشبهها – فى الواقع – اللهم الا فى أنها حظيت باستقبال مثير ، فلم تنقض أسابيع ثلاثة على صدورها ، حتى أثارت ضجة ، وأصبحت من أكثر الكتب رواجا فى أمريكا ، ودفعت احدى شركات (هوليوود) نصف مليون دولار لشراء حق انتاجها فى فيلم سينمائى !

وبرغم الضجة التى أثيرت ، فان « جون آبدايك » لم يفعل – فى روايته « أزواج وزوجات » – أكثر من انه عاد الى المجال الذى اتخذه لنفسه منذ خمسة عشر عاما ، عندما ظهر – لأول مرة – فى مجلة « ذى نيويوركر » ككاتب قصة قصيرة .. **فهو يؤمن بأن ماضى أمريكا كان يتسم بالجوهر الطيب والصلاح الشامل ، ثم قدر لهذا الماضى أن يتبخر الآن ، وذهبت معه الفضائل .. ولكن « آبدايك » لا يرى أن هذا الضياع الكامل نكبة ماحقة ، وانما يراه مرحلة من التجربة**

الأمريكية ودافعـا يجب أن يؤدى الى الكمال .. وقد كان الكاتب الشاعر يتوق الى ان يعبر عن ايمانه هذا ، ولعـله ـ وقد بلغ السادسة والثلاثين ـ وجد فى أزواج وزوجات (تاربوكس) ، المغرقين فى عبادة اللذة ، ذلك التعبير المتفجر الذى كان يفتقر اليه ..

رسالة الروائى : انذار لقومه قبل الانهيار !

● **ولقـــد** قوبلت روايات « آبدايك » الأربع الأولى ـ « السوق الخيرية فى ملجأ الفقراء » ، و « اهرب أيهـا الارنب ! » ، و « ســنتاور » أو « حيـــوان القنطور » (١) ، و « المزرعة » ـ باجماع من النقاد على امتداحها ، والتنبؤ بأنها خطوات نحو قصة أعظم شأنا .. لولا أن « آبدايك » كان شاعرا أكثر منه روائيا ، وكان يستمد قصصه من ذكريات صباه وأسرته ، دون أن يجرؤ على موضوعات أكبر .. وكأنما شاء « آبدايك » ـ بروايته « أزواج وزوجات » ـ أن يثبت جرأته ، فتناول موضوعا من واقع الحياة الأمريكية ، ومن أهم موضوعات الساعة .. **موضوع الضلال الذى ساد الحضارة الأمريكية ، حتى اصبح المجتمع الأمريكى اليوم شبيها بالمجتمع الرومانى عند انهيار الامبراطورية .. ((مع فارق واحد ، هو ان الرومان كانوا يحاولون الخـروج من جحيم الجنس واللذة ، فى حين اننا نحاول الانغماس فيه)) !..**

وفيما عدا ذلك ، فان أبطال القصـــة اتخذوا الجنس وممارسته ، عن طريق تبادل الأزواج والزوجات ـ كما فعل الرومان من قبل ـ ملهاتهم ، ومتعتهم ، وداءهم ، وعلاجهم ، وأملهم ، وخيبتهم ، وثأرهم ، ومخدرهم ، وسبيلهم الأوحد للفرار من الملل ، ووسيلتهم الوحيدة للتقارب والتعاطف ،

---

(١) كائن خرافى ورد ذكره فى الاساطير ، نصفه على شكل رجل ونصفه على شكل فرس !

ودرعهم الأوحد ضد الشعور بأن الموت قادم !.. وهكذا جعلوا الفسق وسيلة منشودة لينفذوا الى أعماق الجنس والمتعة ، أملا فى أن ينعموا بحياة غير ذات معنى .. غير أن السعى وراء اللذة ، لا يعنى — بالضرورة — الظفر بها ..

« نحن وحدنا .. لم يعد الله يحبنا » !

● **وفى ابداع ودقة** ، رسم « آبدايك » صورة أمريكا ، على لسان « بييت هانيما » — أحد أبطال الرواية — اذ يقول : **« ان امريكا اشبه بطفل غير محبوب ، ملطخ بالحلوى .. فالله لم يعد يحبنا .. انه يحب روسيا .. يحب أوغندا .. اما نحن ، فاشبه باطفال تتقلهم البدانة ، وتملأهم البثور والدمامل ، لا يكفون عن البكاء طلبا لمزيد من الحلوى » ! !**

ويعيش الأزواج والزوجات — فى (تاربوكس) — فى زمان ومكان يبدوان مكرسين خصيصا للمطلب الأوحد ، مطلب اللذة .. فالفراغ ، والسيارات الفخمة ، والجليسات اللاتى يرعين الأطفال فى غياب أهلهم .. كل هذه تتيح لهم القدرة على الحركة والانطلاق وراء أية متعة .. وليس من قيود تربط اى زوجين بما يسمى « مسئوليات الكبار » ، اللهم الا الأطفال .. وحتى الأطفال كانوا ينتقلون — أحيانا — من فراش الى آخر ، ليفسحوا المكان للكبار كى ينغمسوا فى طقوس عبادتهم الشيطانية !

وليست العواطف ، والأحاسيس الشاعرية ، هى العامل الرئيسى المؤدى الى هذه الطقوس القبلية المزرية ، التى قدر لها ان تلتهم بنيرانها حياة الأزواج والزوجات فى (تاربوكس) .. فقد كانوا — فى بداية القصة — مجرد جماعة من الأصدقاء يكثرون من اللقاءات والتزاور ، كما يحدث فى كثير من المدن الصغيرة .. فهم يجتمعون فى حفلات للشراب لا تنتهى ، ويقضون عطلاتهم فى لعب الورق والخوض فى سير الناس !

.. وبدأوا ينفذون الى مخادع بعضهم بعضا !

● **وكانت** أغلب ثرثرتهم وشائعاتهم تدور حول « بييت هانيما » .. رجل أحمر الشعر ، ممتلىء الجسم ، فى الخامسة والثلاثين من عمره ، مقاول تخصص فى بناء المنازل واصلاحها .. وبالرغم من أنه أب لابنتين ، فانه كان مغرقا فى الفسق .. على أن مغامراته الجنسية تكاد أن تكون من النتائج الفرعية لاضطرابه الروحى والنفسى ، ولعدم اكتراث زوجته بحقوقه الجنسية ، لعقد نفسية لديها ، ولاستعداد النساء المحيطات به للاستجابة لرغباته !

وما لبث الأزواج الآخرون أن حذوا حذو « هانيما » ، وبدأوا ينفذون الى مخادع بعضهم بعضا .. فريق بدافع الملل ، وفريق بدافع الانتقام .. وآخرون لأنهم لا يجدون شيئا محرما عليهم .. وغيرهم لأنهم ـ فى الماضى ـ عانوا من الحرمان!

ويبسط ((جناحيه)) فوق الجميع شخص آخر من شخصيات القصة هو ((فريدى ثورن)) .. الشيطان ، عابد الموت !.. انه طبيب اسنان ، لا ايمان له ولا مبدأ .. أشبه بضبع يلغ فى ((الحقائق القذرة)) .. وقد جعله المؤلف ((كاهن)) هذه العشيرة التى بدت كقطيع من الحيوانات يتجمع ويتلاصق فى العاصفة !.. فكانوا يتقاربون ولا يكادون يفترقون ، يدفعهم الى ذلك شعور نصفه الرغبة ونصفه خوف يكتمه كل منهم بين ضلوعه ولا يبوح به !.. واندمجوا فى عالمهم وحياتهم هذه ، حتى أن أحداث العالم الخارجى لم تعد تثيرهم .. فعندما تناهى اليهم مصرع « جون كنيدى » ، كان « فريدى » يعتزم اقامة سهرة ، ففكر فى الغائها ، ثم تراجع قائلا : « ولكنى اشتريت الخمور ! » ..

وأقيمت الحفلة ، وأسرفوا فى الشراب كعادتهم ، وفى الحديث والخوض فى سير الناس !

يقدم زوجته للشيطان .. ليخلصه من مازق !

● **وتصل** « فوكسى ويتمان » الى (تاربوكس) ، مع زوجها « كين » ، أخصائى الكيمياء الحيوية .. وبدا أن « فوكسى » هى الوحيدة ــ بين النساء ــ التى لا تخاف ما كان يسميه فريدى « رائحة الحب وأذاه » .. كانت السنوات السبع التى قضتها مع « كين » ــ المغرق فى عمله ــ دون انجاب ، قد أضعفت مناعتها .. ومع أنها حملت أخيرا ــ قبل وصولها ــ فقد تردت مع « بييت هانيما » فى الهوى !

وكان السعي الى مخادع الغير لدى ((هانيما)) ــ وحده ــ اشبه بضرورة محزنة .. لم يكن مدفوعا بالشهوة ، والفضول والملل فحسب ، كالآخرين .. بل كان يدفعه ، الى جانب هذه العوامل ، شعور مفزع بأن الوقت يجرى .. العمر يجزى ! فقد راى ــ فى صباه ــ مصرع أبويه فى حادث سيارة ، فلم يعد الموت مجرد ((لحظة مقبلة عندما يحين زمنها)) ، بل اصبح الموت هو ((الزمن)) ذاته . ومن ثم كان ((بييت)) يصارع الموت بأن يحاول جاهدا أن ((يثنى)) الزمن ويرده الى الماضى ..

وكانت زوجته « انجيلا » امرأة مستعصية المنال ، بالرغم من شعورها بحاجته وحنينه اليها .. اذ كان يرى الماضى فى اشراقة وجهها ، وهو ينشد الماضى فرارا من جريان الزمن .

وتمضى « فوكسى » مع « هانيما » الى آخر الشوط ، وتحمل منه بعد أن تضع ابنا من زوجها « كين ويتمان » ، فيتحول الآثمان فى ذعر الى « فريدى » ليساعدهما على التخلص من الجنين الجديد . **ويوافق الشيطان بشرط أن يتاح له قضاء ليلة مع ((انجيلا)) ، زوجة ((هانيما)) .. المراة الوحيدة فى الجماعة التى لم تقض قط ليلة مع غير زوجها !..** ولكنها تقبل فى هذه المرة ، ويلتقى فريدى وزوجته بهانيما وزوجته

فى كوخ ، تأوى فيه « جورجن » ــ زوجة فريدى ــ الى حجرة فى الطابق الأرضى ، مغلوبة على أمرها .. بينما تصعد « انجيلا » مع فريدى الى الطابق الأعلى .. بعد أن يكونوا جميعا قد أفرطوا فى الشراب !

« صفعة » من المؤلف يعتبرها « نهاية سعيدة » !

● **وتتوالى** بقية الطقوس الشيطانية شبه آلية .. فيتم اجهاض « فوكسى » .. ويطلق كل من « ويتمان » و « هانيما » زوجته .. ويتزوج الأخير من « فوكسى » ، ويبادران بالنزوح عن البلدة .. بينما يمضى بقية الأزواج والزوجات فى لعب « البريدج » !.. **ففى هدوء ، أخذ يحتل مكانهم ــ فى البلدة ــ جيل أصغر سنا ، يقرأ التمثيليات المسرحية ، ويستبقى الجنس فى مكانه ، ويتعاطى عقار « الهلوسة »** ..

وفى نهاية القصة ، يوجه (أبدايك) لطمة قوية لهذا المجتمع ، فى رمزية واضحة .. اذ تحترق كنيسة (تاربوكس) ، فتأتى النيران على كل ما فيها ، ولا يبقى منها سليما سوى الديك العتيق المصنوع من الصفيح ، الذى يعلو « دوار الريح » .. وقد قبع عاليا فوق بيت الله المنهار !

ويقول المؤلف : **« انها نهاية سعيدة .. فكل امرىء يظفر بما يريد »** !..

وتبقى الحقيقة الكامنة وراء الواقع ، وهى أن « الظفر » ينطوى على خيبة وفشل لا يقلان عما ينطوى عليه « عدم الظفر » !!

يستلهم ذكريات صباه مادة لقصصه

● والواقع أن « جون أبدايك » متعدد المواهب . ولعل أبرز ما يميزه عن كتاب الجيل الجديد ، هو أن أعماله تثير قدرا كبيرا من التعليقات والنقد ، فى الأوساط الأدبية . **على**

انه لا يكاد يوجد ـ بين النقـاد ـ من لم يمتـدح اسلوب ((آبدايك)) البلورى ، وسيطرته على عبارته .

وقد استطاع ((آبدايك)) ان يفوز ـ فى فترة قصيـرة نسبيا ـ بجوائز أدبية عديدة . فنال زمالة « جاجنهايم » فى الشعر لعـام ١٩٥٩ ، وظفـر بجائزة « ريتشارد وهيـلدا روزنتال » ـ لعام ١٩٦٠ ـ عن قصته : « السوق الخيرية فى ملجأ الفقراء » ، وبجائزة « الكتاب القومي » الأمريكية ـ لسنة ١٩٦٢ ـ فى القصة ، عن روايته « حيوان القنطور » .. كما حصل على الجائزة الفرنسية لأحسن كتاب أجنبى ـ لعام ١٩٦٦ ـ عن نفس الرواية ..

وتكاد كل قصصه ـ التى سبقت « أزواج وزوجات » ـ ان تكون مستلهمة من ذكريات صباه . وقد وصفت هـذه القصص بأنها هدية منه الى الأصدقاء والأسرة فى مسقط راسـه (شلنجتون) .. البـلدة الريفية الصـغيرة بولاية (بنسيلفانيا) ، التى ينتمى أكثر أهلها ـ وعددهم ٥٦٠٠ ـ الى أصل بولندى .

امه حطمت حبه .. واقنعته به فى الكتابة !

● وتتصف امه « ليندا جريس هوير آبدايك » بأنها على درجة طيبة من العلم .. وهى الأخرى كاتبة قصصية ، فقد نشرت أربع قصص فى مجلة ((ذى نيويوركر)) ، منذ أن فتح ابنها باب الاجتهاد فى القصة !.. وقد اعتادت أن تكره بلدة (شلنجتون) وكل ما يمت اليها ، حتى أنها لتعترف الآن ، بأن هذه الكراهيـة دفعتهـا الى أن تحطم علاقة غراميـة لابنها ـ عندما كان فى المدرسة الثانوية ـ لأن فتـاته كانت من (شلنجتون) !.. على أن تعدد نواحى النشاط التى شغل بها « جون » فى المدرسـة الثانوية ، سـاعده على مغالبة هذه الصـدمة .

وقد كان فقر الأسرة سببا من أسباب كراهية الأم لهذه البلدة ، اذ كان الفقر يعزلها عن المجتمع ، فكانت تعانى الوحشة .. وعندما كان ((جون)) فى الثالثة عشرة من عمره ، اضطر الفقر الأسرة الى الانتقال الى مزرعة جد ((جون)) ، على مسافة عشرة اميال من (شلنجتون) . وهناك ، أخذ والد « جون » ــ الذى يبلغ الآن الثامنة والستين من عمره ــ يعول الأسرة المؤلفة من خمسة أفراد ، على مرتب لم يكن يتجاوز ١٧٤٠ دولارا فى العام ، كان يتقاضاه مقابل تدريس الرياضيات فى المدارس الثانوية .. وهو دخل لم يمكن الأسرة من أن تنشىء حماما فى داخل المنزل ، فكان « جون » وأبوه يغتسلان فى المدرسة !.. ولم تدخل أنابيب الماء الى المنزل الريفى ــ الذى يضم غرفتين للنوم ــ الا بعد اثنى عشر عاما ! .. أى بعد تخرج « جون » فى الجامعة .

ويقول « ويسلى آبدايك » ، والد جون : « اننى لا أكاد أصدق الواقع ، كلما اغتسلت اليوم فى حمام البيت » !

رسام فى الخامسة .. وكاتب فى الثامنة !

● **واذا** كانت الأم تقتدى اليوم بابنها فى التأليف القصصى ، فان « جون آبدايك » بدأ حياته ككاتب بلكزة من أمه ، عندما جلس ذات يوم ــ وهو فى الثامنة من عمره ــ أمام آلتها الكاتبة ، ودق بأصابعه أول قصة له .. وقد جاء فيها : « كانت قبيلة (بوم بوم) تبدو رزينة جدا ، وهى تجلس حول النار فى كهفها ... » !

وبرغم هذه البداية المبكرة ، فان حياته الأدبية كانت قد تباطأت ثلاث سنوات ، وراء شغفه بالكاريكاتور والرسم .. وقد نشرت له احدى المدارس بعض رسومه ــ فى مجلة للأطفال ــ وهو فى الخامسة من عمره !

وكان من جراء الفقر الذى اناخ على « آل آبدايك » ، والعزلة التى فرضها عليهم ، أن نشأ « جون » وهو يشعر بأنه كان دائما مقصيا عن الطبقة الوسطى .. وفى احدى القصص الاثنتى عشرة التى استوحاها من صباه ، يتبلور جو البيت الذى نشأ فيه ، وتظهر معالم صورة واقعية للأسرة : أسنانهم المهملة ، وغذاؤهم المتواضع ، وأرضية الحجرات المستهلكة ، والقاعات المظلمة التى تسكنها الأرواح والأشباح !

تحدى الفقر فبرز على زملائه والتحق بالجامعة

● **على أن** « جون » كان مصمما على أن يقهر الفقر ، ويحطم العزلة .. فانصرف فى سنوات المراهقة ، الى المساهمة فى كافة نواحى النشاط المدرسى ــ بمدرسة (شلنجتون) الثانوية ــ بكل طاقاته .. أخذ يكتب كالشيطان ، ويرسم كالدرويش ، ويتقرب الى رفاقه فى الدراسة بطريقة ما زال يتبعها الى اليوم .. **فانتخب رئيسا للفصل ، ورئيسا لتحرير مجلة المدرسة « ذى شاتربوكس » ، التى أسهم فيها بعدد لا يحصى من الرسوم والمقالات والشعر الخفيف ..**

واتاح له تفوقه ــ بدرجات جيدة ــ الالتحاق بجامعة (هارفارد) ، اذ فاز بمنحة دراسية كاملة ، فى خريف ١٩٥٠ .

ووصل الى (هارفارد) وهو يحتضن ثلاث كراسات سميكة ، مليئة بقصائد شعرية ومقالات أجمعت على رفضها المجلات الأدبية .. على أنه مضى موفقا فى دراسته ــ طيلة السنوات الأربع التى قضاها فى الجامعة ــ فلم يعكر صفوه سوى فشله ثلاث مرات فى الظفر بعضوية ندوة « أرشيبالد ماكليش » الشعرية . غير أنه سكب طاقاته فى مجلة « ذى لامبون » الفكاهية ، التى كان الطلبة يصدرونها ، فساهم فيها بقلمه وريشته معا .

يتزوج اثناء الدراسة من فتاة تكبره

● وقدر لجون ــ فى نهــاية عامه الثانى بالجامعة ــ أن يلتقي بطالبة كانت تدرس الفنون الجميلة بكلية (رادكليف) ، وتدعى « ماري بنيتجتون » .. وكانت ابنــة قسيس من (شيكاغو) . ومع أنها كانت تكبره بعامين ، فانهما لم يلبثا ان تزوجا .. ثم تخرج « جون » فى قسم اللغة الانجليزية بالجامعة .

ولقد أحس « آبدايك » بان (هارفارد) سلبته ــ بصورة ما ــ بعض حيويته العجيبة التى لا سبيل الى تعويضها . وهو يقول بهذا الصدد : **« اننى اشعر بخجل غامض ازاء سنواتى فى هارفارد .. كانت هــذه السنوات خيــانة لسنوات دراستى الثانوية . اذ ان هارفارد جعلتنى انسانا متحضرا حقــا ، فى مقابل قدر كبير من العمل .. وهذا يؤلمنى بصورة ما ! »**

وما ان تخرج ، حتى قضى وزوجتــــه سنة فى كليـــة (رسكين) للرسم والفنون الجميلة ، بجامعة (اكسفورد) ــ فى انجلترا ــ لمجرد المتعة !.. ثم التحق بالعمل فى مجلة « ذى نيويوركر » . وتقول زوجته : **« كان يظن أن عليه ان يكون كاتبا فكاهيا فقط .. فلم يكن يعتقد انه كاتب جاد »** !

بيد أنه راح يترجم كل ما كانت تقع عليه عيناه ، فيحوله الى كلمات فياضة . كما حول موهبته كرسام الى ميــدان الكتابة ، فراح يرسم بقلمه وأسلوبه صورا دقيقة لما يراه أو يتخيله !

حنينه الى بلدته يلهمه انتاجا غزيرا

● وجاء انتاجه غزيرا فياضا ، فقد كتب حتى الآن ١٨٥ قصة قصيرة ، و ٢٣ مقالا ، و ٢٤ تحقيقا ، و ٢٣ قصيدة ،

نشر اكثرها فى مجلة « ذى نيويوركر » .. وتكشف تحقيقاته الصحفية الناقدة الرشيقة عن تمكن وفهم عميق وذكاء لماح..

وبعد أن انتقل «آبدايك» وزوجته مارى الى (ابسويتش) ـ فى عام ١٩٥٧ ـ وجد نفسه منساقا وراء خياله الذى اخذ يتجه الى مسقط راسه باكثر مما اعتاد فى اى وقت مضى .. **فكم من قصصه القصيــرة تدفقت من مستودع حنينه الى (شلنجتون) !.. وقد جمــع احدى عشرة منها فى كتــاب أسماه ((قصص اولينجر)) .. و (اولينجر) هو الرمز الذى اتخذه لشلنجتون . ورغم ان قصص ((آبدايك)) تتميز عن بعضها البعض ، فان لكل منها جذورا من الماضى .. فى كل منها لمحات من ماضيه وذكريات صباه وحياته الأولى ..**

ولقــد بدات (ابسويتش) ـ خلال السنوات القــلائل الماضية ـ تحتل مكانة (شلنجتون) فى خيال « جون آبدايك » ، فخلت قصصه القصيرة من موضوعات صباه ، وبدات ـ فى سنوات نضجه ـ تنطوى على دراسة وعمق .

الايمان بالله ينقذه من الهواجس والأزمات

● **ولكن** « آبدايك » يعــانى من هواجسه الخاصة.. وبرغم انه نشأ فى بيئة متدينة فانه يقول : « لا اريد أن أبدو فى صورة مفــكر دينى ، فاننى مجــرد نموذج شاحب ، يشق طريقه من كتاب الى كتاب ، ويحاول أن يستيقظ فى الصباح دون أن يشعر بألم فى اسنانه ! » .. وبينما كان يكتب روايته : « اهرب أيها الأرنب ! » غشيه شعور بأن الموت يرتقبه .. وعاش بضعة أشهر فى ازمة لم ينقذه منها سوى عودته للايمان بوجود الله !

وقد مرت أوقات عصيبة بجون ومارى آبدايك .. ولكن « مارى » كانت قديرة على علاج الأمور ، اذ انها امراة قوية

متحفظة . ويرى كثيرون من أصدقائهما أن « جون » لم يكن ليستطيع البقاء بدونها ..

ولكن .. هل توحي قصص « جون آبدايك » العديدة - عن التوتر في الحياة الزوجية - بتجارب مر بها شخصيا ؟

انه يقول ردا على هذا : « لقد مر زواجي بفترات من البعث والموت » مثل كثير من الزيجات الأخرى » !.. وفي هذا الرد الكافي !

وماري هي أقسى نقاد زوجها .. ويقول آبدايك : « لا أملك أن أذكر قصة واحدة من قصصي أحبتها ماري حقا .. وعندما قرأت روايتي « السوق الخيرية في ملجأ الفقراء » ، قالت لي : لماذا تريد أن تكتب عن كل هؤلاء العجائز ؟.. »

ويكرس جون ثلاث ساعات من وقتــه - كل يوم - للكتابة . وهو يشغل غرفة يسودها الاضطراب ، فوق أحد المطاعم ، على مقربة من متنزه بلدة « إبسويتش » .. أما في بيتــه ، فانه يرتدي بنطلونا فضفاضا ، و « بلوفر » طويل العنق ، ويعيش مع زوجته وأطفاله الأربعة « اليزابيث » ، و « مايكل » ، و « ديفيد » و « ميراندا » .. وفي الصباح من أيام الشتاء ، قد يخرج من بيته الأبيض اللون - ذي الثلاث عشرة غرفة - ليغترف بيده حفنة من الجليد ، فيقذف بها لافتة للمرور - عند منحنى الطريق - كتب عليها « قف ! » .. مجرد لوحة من لوحات المرور !.. أما في الصيف ، فانه يخرج أحيانا في الصباح الى الحديقة الصغيرة ، حيث يزرع بعض الخضر بيـديه .. وقد يخرج بسـيارته لينطلق الى شاطيء « كرين » ، فيسير هنـــاك وحده » أو يدفع كرات الجولف على طول الشاطيء ، اذا كان المد منخفضا !..



للكاتب والمحقق الأمريكي: الكسندر دوروزنسكى

LANDAU : L'HOMME QU'ON N'A PAS LAISSÉ MOURIR

PAR : ALEXANDER DOROZINSKI

صراع بين العلم والموت !

لم يتخذ الصراع بين العـلم الحـديث والظواهر الطبيعية من التحدى المحتدم ، الدرجة التى اتخذها فى قصة « ليو لانداو » .. ففى هذه القصة ، استطاع العلم ان ينتزع « لانداو » من بين براثن الموت ــ التى نشبت فى كيانه فعلا ــ اربع مرات فى شهر واحد .. ولكن الموت عاد للمرة الخامسة ، بعد ست سنوات .. وفى هذه المرة ، كانت له الغلبة !

انها ليست قصة خيالية ، بل هى قصة عالم ذائع الصيت ، كان يعيش فى (موسكو) ، حتى دهمته سيارة فى ٧ يناير سنة ١٩٦٢ ، وكان فى الستين من عمره . فبدات ــ منذ تلك اللحظة ــ حرب شنها اصدقاؤه ، فى سبيل استعادته من ظلمات الموت الى أضواء الحياة .. وسجل الطب الحديث ــ خلال هذه الحرب العجيبة ــ انتصـارات كالمعجزات .. ولكن اصدقاءه سـجلوا معجزة اروع .. تلك هى ان الوفاء لا يزال عنصرا قويا فعالا فى الحيـاة البشرية ، فى .. العصر الذى لا يعترف الا بالمادة !

ولقد حاول الصحفى الامريكى « الكسـندر دوروزنسكى » ان يصور احداث القصة ساعة بساعة ، مستعينا بمن ساهم فيها من اطباء وعلماء وأصدقاء ، وبلانداو نفسه ، بعد أن استرد صحته .. وسجل الصحفى ما حصل عليه فى كتاب اطلق عليـه : « لانداو .. الرجل الذى لم يتركوه يموت » !.. رابطا بين سيرة « لانداو » منذ الصغر ، والتطورات السياسية والعلمية فى الاتحـاد السوفييتى ، وكل ما له علاقة بالحادث الذى أصاب « لانداو » ، وبالصراع الذى دار من أجل انقاذه ، وهو العالم الفذ ، الفائز بجائزة نوبل للفيزياء .

حادث فى الطريق

● **استيقظت** (موسكو) فى السـابع من يناير ١٩٦٢ ، لتجد أن أمطار الليلة السالفة قد استحالت الى طبقة هشـة من الثلج ، تعلوها غلالة خفيفة من البرد ، مما جعل حـركة

المرور غاية فى البطء ، اذ راحت السيارات تسير بحذر ، ريثما تنشط فرق كسح الثلوج الى تنظيف الطرق .

لذلك رفض عامل « جراج » أكاديميـــة العـــلوم ، أن يستجيب للبروفيسور « لانداو » ، عندما طلب سيارة تقله فورا الى (دوبنا) ، مدينة الذرة السوفيتية ، الواقعة فى شمال العـاصمة .. رفض العـــامل برغم معرفتـــه مكانة « ليـــو دافيدوفيتش لانداو » . ولم يغضب العـالم الكبير ــ اذ كان يقدر حرص كل امرىء على مسئوليته ــ بل اتصل بزميلـــه « فلاديمير سوداكوف » ، عالم الطبيعيات ، فسرعان ما وافاه بسيارته « الفولجا » الرمادية .

وانطلقت الســـيارة بلانداو نحو (دوبنـــا) ، يقودها « سوداكوف » بنفســـه ــ فى حرص وحــذر ــ وقد جلست زوجته « فيرا » مع « لانداو » فى المقعد الخلفى ، وبينهما سلة مليئة بالبيض ..

وفجأة ، مرقت أمام السيارة فتاة تعبر الطريق ، لتلحق بحافلة (أوتوبيس) فى الجانب الآخر ، فحاول « سوداكوف » ان يتفاداها ، ولكن عجلة القيادة افلتت منه ، فجنحت السيارة الى يسار الطريق ، بينما كانت سيارة نقل مقبلة من الاتجاه العكسى . ولم يكن « اللورى » مسرعا ، ولكن الطريق كان زلقا من جراء الثلوج !

واستجاب « اللورى » اخيرا لمهارة سائقه وترقف ، ولكن .. بعد أن ارتطم ــ ارتطاما خفيفا ــ بالجانب الأيمن لسيارة « سوداكوف » ، حيث كان « لانداو » يجلس ..

ومع أن الصدمة كانت خفيفة ، فانها أخذت « لانداو » على

غرة ، فاذا بها تقذف بجسمه النحيل ارضا ، فانحشر بين باب السيارة وساقى « ڤيرا » .. فى حين أن المرأة وزوجها وسلة البيض لم يتزحزحوا من أماكنهم !

احدى عشرة اصابة فى جسد نحيل !

● **وقفز** « سوداكوف » وسائق « اللورى » لنجدة المصاب . وما أن فتحا باب السيارة ، حتى سقط « لانداو » على أرض الطريق بلا حراك ، وخيوط من الدم تسيل من اذنيه وجبينه .. وأن هى الا دقائق ، حتى كانت سيارة للاسعاف قد حملته وصديقيه ـ سوداكوف وزوجته ـ الى اقرب مستشفى ..

وأسرع طبيب الاستقبال يفحص الجثة التى صار اليها « لانداو » .. وما لبث أن هتف فى دهشة : « لا يزال قلبه ينبض ! » .. وما ان علم بشخصية المصاب ، حتى استدعى الدكتورة « نينا يجوروڤا » ، نائبة مدير المستشفى ، الذى كان متغيبا فى عطلته الأسبوعية ..

وانكبت « نينا » تفحص المصاب ، واذا التفاؤل ـ الذى أوحى به اليها زميلها ـ يتلاشى ، اذ كانت سنه وجسمه لا يقويان على مقاومة واحدة من اصاباته ، فما بالك وهى احدى عشرة :

- كسر تسعة ضلوع .
- ثقب بالقفص الصدرى .
- تسرب هوائى وانكماش كامل فى حجم الرئة اليسرى .
- نزيف وانكماش جزئى فى حجم الرئة اليمنى .
- تمزق فى أنسجة العانة وكسر فى عظامها .
- ثقوب فى الأحشاء المعوية أحدثتها عظام المنطقة العانية .
- كسر بعظمة الفخذ اليسرى .

- غيبــوبة تامة وتنفس سطحى وبطىء وغير منتظم ، نتيجة ما أصاب الرئتين .
- نبض واهن وغير منتظم .
- كسر بالجمجمة .
- خلل بالمراكز العصبية للمخ .

ورات الطبيبة ــ وهي آسفة ــ ان العالم الكبير لن يعيش .. « ما لم تحدث معجزة » !

استاذ .. وعمره ٢١ سنة !

● **والكن** حياة « لانداو » كانت مليئة بالمعجزات .. ولد فى مدينة (باكو) ــ عاصمة اذربيجان ــ فى ٢٢ يناير ١٩٠٨ . وقد أبدى ذكاء عبقريا منذ حداثته ، حتى انه أتم منهج الرياضة الخاص بالمرحلة الثانوية من الدراسة ، وهو فى السابعــة من عمره ! .. وأتم الدراسة الثانوية بأكملها فى الثالثة عشرة ! .. ونال « ليسانس العلوم » ــ من جامعة باكو ــ فى السادســة عشرة !.. و « دبلوم الرياضيات » من جامعة لنينجراد ، فى التاسعة عشرة ! .. وعين استاذا للطبيعيــات النووية بهــذه الجامعة ، وهو فى العام الواحد والعشرين من عمره !

ازاء هذه المعجزات ، اوفدته بلاده فى بعثات علميــة الى المانيا وانجلترا والنمسا .. وكانت أبحاثه فى الميكانيكا النووية وتفتيت الاشعاعات الدرية وغيرها قد سبقته ، واعدت له مكانا رفيعا بين أقطاب علماء أوربا ، فاشــترك معهم فى البحــوث والمناقشات والدراسات .. **ثم عاد الى الاتحــاد السوفييتى سنة ١٩٣١ ــ اى وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ــ ليتولى ادارة « معهد علوم الطبيعة » .. المركز الذى اعتمــد عليــه السوفييت فى خلق القوة الذرية لبلادهم ، وتطويرها ..**

ولم تكن عبقرية « لانداو » العلميــــة ، لتفوق طبيعتــه

البشرية .. كان انسانا رقيقا، مرهف الحس، شديد التواضع .. اذا صادق أخلص، واذا أحب كان مثال الوفاء .. وكانت المداعبة والنكتة اللاذعة هما صمام الأمان اذا احتدم النقاش بينه وبين زميل أو تلميذ .. كما انه لم يسمح لأى عوامل دينية أو سياسية أو اجتماعية بأن تقوم حائلا دون الارتباط بعلاقات انسانية صادقة .. ومن هنا كان تحمس أصدقائه لانتزاعه من الموت، عندما أصيب فى الحادث !

فتاة واحد صهرت خجله .. فتزوجها !

● **وكان** « لانداو » ـ كأستاذ ـ شديد الدقة فى اختيار تلاميذه، فلم يكن يقبل فى معهده سوى المتـازين، وبعد اختبارات قاسية ..

وكان ـ فى حجرات الدرس ـ يهجر المنصة، ليجلس بين التلاميذ، يشعرهم بالزمالة ؛ وان لم يترفق بمن يخطىء منهم ! .. وكان يحرص على مصادقتهم، والاستماع الى شؤونهم الخاصة، وارشادهم .. وكثيرا ما كان يقول لهم :

« لا تحدثوا فتياتكم عن علوم الطبيعة، فحديث كهـذا يحطم أعصاب أية فتاة . ولو انها فهمته لكان هذا أسوأ، لأنه سيحطم الصورة الرومانسية التى فى خيالهـا، ويضيع كل الفرص للوصول معها الى نهاية عاطفية .. »

ومن أغرب الأمور، انه لم يقبل فى معهده أية فتاة، برغم ايمانه بعبقرية بعض الاناث .. كذلك كانت حيـاته خلوا من المغامرات العاطفية، اذ كان يخجل من دعوة أية فتاة الى نزهة أو مسرح .. وكانت الفتاة الوحيدة التى حرص على علاقتـه بها، فتاة أوكرانية شقراء صارمة الملامح، زاملته أثناء دراسته الجامعية، وانتهت صداقتهما بالزواج سنة ١٩٤٢ .. تلك هى « كونكورديا ترنيتيفا » . التى اعتـاد أن يدللها باسم « كورا » .. وقد أنجبا ابنا وحيدا سمياه « ايجور » .

اكتشاف علمى اكسبه مكانة عالمية

● **وأبحاث** « لانداو » من أهم الأبحاث فى العلوم الحديثة . وتعتبر بحوثه التى أجراها على غاز « الهليوم » ــ بالذات ــ فتوحات .. وقد وفق خلالها الى استخلاص ما أطلق عليه « المادة الرابعة » . فمن المعلوم أن المواد ثلاث : صلبة ، وسائلة ، وغازية .. **ولكنه استخلص من غاز « الهليوم » مادة ليست لها خواص هذه الحالات الثلاث !**

ذلك ان غاز الهليوم ينتشر فى الغـــلاف الجـوى للكرة الأرضية بنسبة واحد الى مائتى ألف تقريبا .. وهو خفيف ، وراكد . كما أنه الغاز الوحيد الذى يتحول الى ســـائل عند تبريده . وقد كشف « لانداو » أنه يتحول الى سائل فائق السيولة ــ أى حالة ما فوق السيولة ــ عند برودة تقرب من الصفر المطلق .. أى أقصى درجة برودة يمكن قياسها ، وتعادل ٢٧٣ر١٦ مئوية تحت الصفر .

وكان العلماء ــ فى الماضى ــ يظنون ان اى نشاط نووى ، لابد أن يتوقف عند درجة الصفر المطلق او قريبا منها .. ولكن تجارب « لانداو » على غاز الهليوم ، اثبتت أن هــذا الغــاز لا يتجمد عند الصفر المطلق ، بل يتحول الى سائل خال من الجزيئات ، وبالتالى الى مادة ذات خاصية رابعة ، اصبحت معروفة علميا باسم « هليوم ٢ » .. وهو يمتاز بسيولة غير طبيعية ، ويخترق أى جسم دون أن يترك أثرا ، وله مقدرة على الحركة المزدوجة ، اذ أنه يحتوى على موجتين من الذبذبات ، تصدر عنهما موجة صوتية اذا ما اتحدتا فى الاتجاه ، ثم تتولد موجة ثانية ــ سرعتها ٢٥ مترا فى الثانية ــ عند تحول الغــاز الى حالة فوق السيولة عند درجة الصفر المطلق ..

المهم فى الأمر ، أن « هليوم ٢ » أصبح من الأساسيات فى

الأبحاث العلمية ، فهو يستخدم كوسيط مبرد فى « المنظمات المولدة للبرودة » ، بحيث ينظم عمليات توليد البرودة بسرعة تفوق سرعة العقول الاليكترونية .. كما أن الموصل الكهربائى المغناطيسى الذى يزن ٥٠٠ جراما ، يتيح ــ اذا دخل الهليوم فى تكوينه ــ حقولا مغناطيسية أقوى بكثير من التى يتيحها موصل عادى يزن ٢٠ طنا ..

٣٠ طبيبا أخصائيا حول سريره !

● **نعود** الى حادث السيارة ، واعتبار « لانداو » فى حالة احتضار ، أو على أبواب موت لا شك فيه ..

كان « سوداكوف » فى حالة نفسية وعاطفية سيئة ــ عقب الحادث ــ حتى خشى عليه زملاؤه أن ينتحر اذا توفى « لانداو » .. وقد هرع الى « معهد علوم الطبيعة » يحمل الخبر ، فلم يكد زملاء « لانداو » وتلاميذه يعلمون ، حتى أجمعوا على الا يدخروا جهدا فى سبيل انقاذه من الموت .. وسرعان ما امتلأت غرفة المصاب ــ فى المستشفى ــ بأكثر من ثلاثين طبيبا أخصائيا ، وقفوا حوله فى حيرة ازاء الاصابات البليغة والعديدة التى كانت تنذرهم بخطورة أية محاولة .. فمجرد محاولة اجراء الاسعافات الأولية لكسور العظام ــ مثلا ــ كانت كفيلة بأن تؤدى الى صدمة عصبية تودى بالمصاب نهائيا .

وبعد اجتماع طويل ــ برئاسة جراشنشكوف ، أمهر طبيب أعصاب سوفييتى ــ قرروا أن يتحدوا الموت .. واتفقوا على أن يبدأوا بعلاج كسور الجمجمة ، لتفادى تعرض المخ للتلف .. ذلك لأن تنفس الانسان لا يتم الا باشارات من المخ ، بعكس نبض القلب الذى يتم تلقائيا . لأن القلب كالمضخة .

وبينما كان الأطباء منصرفين للاستعداد للصراع مع الموت ، قسم زملاء « لانداو » وتلاميذه أنفسهم الى جماعات تتناوب

العمل ليل نهار ، لتأدية كل ما يتطلبـــه الموقف .. وأعدوا سيارات على أهبة الانطلاق فى اية لحظة !

الموت الأول .. ينهزم بعد دقيقتين !

● **كان** سكون الليل ساجيا عميقا ، عنـدما قام ثلاثة من امهر جراحى المخ والأعصاب ، بعملية جراحية استكشافيـــة لرأس « لانداو » .. حتى اذا اطمأنوا الى عدم وجود تجلـط دموى ولا نزيف فى المخ ، اخذ الأمل يقوى فى نفوسهم ويطـرد التوجس ..

لو أنه اجتاز مرحلة ما بعد الجراحة بسلام ، فان فرص الأمل تزداد أضعافا .

وأعيد « لانداو » الى حجرته .. وفجأة ــ وفى حــوالى الساعة الثالثة صباحا ــ شقت السكون الشامل صيحة يأس انبعثت من واحد من الساهرين على المصـــاب : « لم يعـد يتنفس ! .. القصبة الهوائية .. مات ! »

وفى لحظات بدأت أعراض الاختناق تتجلى ، وأخذ الدم الأسود ــ الخـــالى من الأوكسيجين ــ يتجمع ليصبغ وجه « لانداو » بزرقة داكنة .. وبدا أن النبض توقف ..

وبادر الجراح العـــالمي « فيودورف » الى فتح حنجرة « لانداو » ــ بحركة خاطفة ، ودون مخدر ــ واخرج القصبة الهوائية ، فاولج فيها انبوبة من « البلاستيك » ، اوصلهـــا بمضخة للتنفس الصناعى اخذ يضغط عليها دون توقف ..
واذا بصدر « لانداو » يرتفع ، وتصدر عنه شهقة عالية ، ثم يعود لون وجه المريض الى حالته الطبيعية رويدا ، اذ راح قلبه يمتص الدم المتجدد بنهم ..

ولم تستغرق العملية سوى دقيقتين ، انتصر خلالهمـــا العلم على الموت .. بعد الجولة الأولى !

عواصم العالم ترسل له الادوية

● **فى اليوم التالى** حضر أكثر من مائة طبيب اخصـــائى وعالم ـ بينهم من لم يكونوا على تعارف شخصى مع « لانداو » ـ وكلهم رغبة فى التعاون لانقاذ حياة الرجل الذى كان ـ فى تلك الأثناء ـ يتنفس صناعيا ، ويتغذى عن طريق الحقن ، ويتلقى عقاقير للوقاية من الالتهابات والمضاعفات .. فكان بجسمه ست انابيب : واحدة للتنفس ، وأخرى لامداده بالدم السليم ، وثالثة لاخراج الدم الفاسد ، وانبوبة بالمعدة ، واثنتان لامتصاص إفرازات الجسم الخارجية ..

وفى ٩ يناير ـ بعد الحادث بيومين ـ واجه الاخصائيون اصعب مشكلة .. كان ازدياد نزيف السائل النخاعى يسبب ضغطاً يهدد باتلاف الأوعية المخية .. وبعد مشاورات ، رأى الأطباء ضرورة حقن الجسم بعقار يجفف الســائل دون أن يجمده ، ويعرف باسم ((الأوريه)) .. ولكنهم اكتشفوا عدم وجود شىء منه فى موسكو !

واتصل مدير معهد الأبحاث العلمية بزميل له فى لندن ، فلم يجده .. واتصل بزميل آخر ، بادر بارسال شحنة منه ـ فى اليوم ذاته ـ مكتوب عليها « لانداو ـ موســكو » .. ولم تكن هناك طائرة متجهة الى موسكو مباشرة ، فحملت الطائرة المتجهة الى (وارسو) الطرد الثمين ، لتتلقاه منها طائرة خاصة أوفدتها الحكومة السوفيتية ، فوافت به الأطباء الملهوفين ..

وفى تلك الأثناء ، كان الأطباء قد استخدموا كميــة أخرى من العقار ـ عثروا عليها فى معهد الأبحاث بلنينجراد ـ وتوقف النزيف ..

وظهرت مشكلة جديدة : لاحظ الأطباء ان عقاقير المضادات الحيوية ، لم تأت بنتيجة فعالة ، لأن « لانداو » كان يكثر من استعمالها قبل الحـادث .. ومرة أخرى ، وجه أصـــدقاء

« لانداو » نداءات الى مختلف الدول ، فسرعان ما اخذت انواع أخرى من المضادات الحيوية تتدفق على مطار (موسكو) باسم « لانداو » ..

الموت الثاني .. يتراجع امام الطب !

● **وامكن** التغلب على التسمم الذى كاد يفتك بحياة « لانداو » ، ولكن الرجل ظل فى غيبوبة وضعف واعياء ..

وفى المساء ـ مساء ٩ يناير ذاته ـ استرعى انتباه الطبيب الذى كان منوطا بملاحظة « لانداو » ، أن نبضه الخافت ، غير المنتظم ، قد ازداد سرعة ثم .. توقف تماما ، كما توقف التنفس !

وسلم الأطباء لأول وهلة بان ((لانداو)) قد مات للمرة الثانية !

ولكنهم كانوا مصرين على مصارعة الموت ، فأسرعوا بتوصيل جهاز تنفس صناعي ـ كانوا قد استحضروه خصيصا من السويد ـ بالفتحة التي شقوها ، فى اليوم السابق ، فى حنجرة « لانداو » .. وكان الجهاز السويدى يمتاز بأنه يمتص السوائل التي قد تسد القصبة الهوائية ، بجانب اداء مهمته الرئيسية ..

وبعد دقائق حافلة بالتوتر .. عاد ((لانداو)) الى الحياة !

غير أن عملية تحويل « الأوكسيجين » فى الدم ، لم تعد تتم بطريقة طبيعية ، ثم توقفت تماما .. وكان تنظيمها ـ بامداد الرئة مباشرة بكميات من الأوكسيجين ـ من أشق الأمور ، نظرا لتمزق عدد من الأوعية الدموية داخل القفص الصدرى . **وزاد المشكلة تعقدا ، ان حرارة ((لانداو)) ارتفعت الى ٤١٫٩ مئوية ، نتيجة التهابات جراحه المعوية . وفطن الأطباء الي توقف المعدة والأمعاء تماما عن العمل ، فصار لزاما**

تغـذية « لانداو » بحقن البروتينـــات والسكريات فى الدم مباشرة !

لكن بطن المصاب أخذ ينتفخ تدريجـا ، وأصيب الجسم بتسمم .. فقد كان بحاجة الى مواد معدنية وأملاح . وأخذ الأطباء يحللون الدم كل ساعتين ، ويغيرونه بدم جديد باستمرار .. دم تطوع به عشرات من زملاء المريض وتلاميذه !

الموت الثالث .. ينهزم وينسحب !

● **وفى اليوم الرابع** ـ ١١ يناير ـ توقفت الكليتـــان عن العمل ، وأحدق الموت بالمصـاب من كل جانب .. والأطبـاء لا يكفون عن الاجتمـاع ، والتشـاور ، والاتفـاق على ما يمكن عمله ..

وبعد ظهر ذلك اليوم ، خرج الدكتور « جراشنشكوف » من حجرة « لانداو » منهارا ، فأسند جبينه الى أول جـدار صـادفه . وخفت اليـــه « نينا يجوروفا » ـ نائبـة مدير المستشفى ـ تسـأله ، فقال : « توقف النبض .. وانخفض الضغط الى الصفر .. وازرق الوجه ، وجمدت العينان .. انتهى ! »

وهكذا ، مات « لانداو » ـ فى اليوم الرابع للحادث ـ موتا لا خلاف فيه ، من حيث الأعراض الطبية !

ولكن العلم ـ منذ بداية الأربعينات من هذا القرن ـ لم يعد يأخذ أعراض الموت قضية مسلما بها ، لا سيما فى الاتحاد السوفيتى ، حيث أجريت بحوث عظيمة لاعادة الحياة عن طريق « تدليك القلب » .. وهى عملية يجب أن تتم خـلال سـبع دقائق على الأكثر ، من توقف القلب .. فهذه أقصى مدة تقاوم فيها خلايا المخ التلف المترتب على حرمانها من الدم الذى يمدها به القلب ..

لهذا أسرع الأطباء يشقون صدر « لانداو » ، وينهمكون فى تدليك قلبه ، بينما كانت عمليتا امداده بالدم السليم واخراج الدم الفاسد تسيران متواصلتين .. وقام طبيب بحقن الجسم بأقوى مادة منشطة لعضلات القلب ..

واخيرا .. اخيرا جدا ، بدأ القلب ينبض من جديد ..

وعاد « لانداو » الى الحياة .. مرة ثالثة !

عاد ، وفقا للأعراض العلمية فقط .. ولكنـــه ظل على فراشه حطاما منهارا ، فاقد الوعى ..

الموت الرابع .. لقى هزيمة المرات السابقة !

● **من (براغ)** ، أقبـــل الدكتـــور « زدينيك كونتز » التشيكى خصيصا .. ولكنه ـ بعد أن استعرض ما جرى ، وفحص المصاب ، واطلع على كافة التقـــارير ـ هز كتفيـــه ، وقال :

ـ من المستحيل ان يعيش !.. بل اننى لا أفهم كيف عاش الى الآن !

وعاد الى (براغ) .. ولكن اطباء ((لانداو)) واصدقاؤه أبوا أن يستسلموا لليأس .. حتى عندما انسدت فتحة المرىء تماما ، فى ١٤ ينـــاير .. كما انسدت بعض مســـالك اخرى وقنوات فى الجسم ، قبل ذلك !

ولكن اليـــأس راح يهاجمهم بقـــوة ، عندما ظل جسم « لانداو » ينتفخ ويمتلىء بالمياه المحتجزة فى داخله .. وسرعان ما التهبت الرئة ، وانسد فرعا القصبة الهوائية ، كما انســد المرىء من قبل ..

وفى هـــذه المرة ، مات ((لانداو)) موتا كامـــلا وفقـــا لكل الأعراض التى يعينها الطب للموت .. مات للمرة الرابعة !

ومع ذلك ، عاد المـــوت يتراجع من جـــديد ، أمام اصرار الأطباء وجهودهم التى لم يتطرق اليها وهن ..

وواصل الأطباء محاولاتهم ــ بعد أن غلبوا الموت ــ لعلاج الجسم المسجى فى غيبوبة مستمرة ..

جسم يعيش بالاجهزة والوسائل الصناعية

● **واقبل** يوم ٢٢ يناير .. عيد ميلاد « لانداو » الرابع والخمسون .. ولكن ، لم يكن هناك من يحتفل به ، أو يقيم له ضجيجا ..

كانت « كورا » ــ زوجة « لانداو » ــ فى مصح للأمراض العقلية ، بعد أن أصابتها نوبة هيستيرية ، حين رأت زوجها يعانى سكرات الموت الأول .. اذ كانت قد خفت الى المستشفى ، عقب وصول نبأ الحادث اليها ..

وكان « لانداو » نفسه لا يزال على قيد الحياة ولكنه فاقد الوعي تماما ، يعيش على جسم يتغذى صناعيا ، ويكاد كل عضو فيه يؤدى وظيفته باجهزة ووسائل صناعية !

ومع ذلك ، لم يشأ اليوم أن يمر بدون ضجيج .. فاذا مخ « لانداو » يعود للانتفاخ ، واذا اعراض « البولينا » تنذر بتسمم كلى للجسم ..

وراح الأطباء والاخصائيون يضاعفون الجهود ، ويعتصرون عقولهم وخلاصات العلم والتجارب ..

وعندما نجحوا أخيرا ــ وبعد عناء شديد ــ كانوا يلهثون فعلا !

ولكن ، ما أن تراجعت أعراض « البولينا » ، حتى أصيب « لانداو » ــ أو جسمه ، بمعنى أصح ــ بحمى الصفراء .. ومن جديد ، انبرى لها الأطباء ، حتى أخمدوها !

هكذا كان الموت يبحث عن كل موطن ضعف لينفذ منه .. ولكن الأطباء كانوا له بالمرصاد ..

غذاء من كافة ارجاء العالم

● وكان من الصعب علاج كل ما أصاب « لانداو » من كسور ، لذلك التحمت ساقه بطريقة غير سليمة ، فأصبحت أقصر من الأخرى بخمسة سنتيمترات .. ولكن الأطباء عالجوها فيما بعد !

وشيئا فشيئا ، بدأت أمعاء « لانداو » ومعدته تعود الى الحالة الطبيعية ، ولم يعد الأطباء يغذونه عن طريق الشرايين ، بل استخدموا انابيب تصل للمعدة مباشرة .. **وكان اخصائيو التغذية يعدون المواد اللازمة للجسم بدقة ، ويطحنونها ، ويحولونها الى سائل سهل الهضم .. ومن اجل « لانداو » استقدمت أفضل أنواع الخضر والفواكه من كافة ارجاء العالم ..**

على أن شبح الخطر لم يبتعد الا فى منتصف شهر فبراير تقريبا ، حين تم التحام معظم الكسور ، والتئام الجروح ، وعودة أعضاء الجسم الى وظائفها الطبيعية ، فيما عدا المخ .. فقد ظل « لانداو » فاقد الوعي ، يحملق فى الفضاء بعينين جامدتين ، زجاجيتين ، لا حياة فيهما ..

مصير عقل « لانداو » يثير خلافا !

● وكانت هذه أول حالة من نوعها بالنسبة لاخصائيي المخ والأعصاب .. واحتاروا فى تبريرها : أهناك جلطة فى جزء ما من المخ ؟ .. وهل ــ اذا وجدت ــ يمكن استئصالها دون ايذاء الخلايا المجاورة ؟ .. أو أن هناك نزيفا بسيطا فى عدة أماكن من المخ ؟ .. هل الخمول المسيطر على عقل « لانداو » مؤقت ، ومن الممكن أن يعود العقل لنشاطه ؟

ولم يكن عقل « لانداو » بالمسئولية الهينة .. كان من أهم وأذكى العقول فى الاتحاد السوفيتى ، لذلك رأى الاخصائيون

أن يشركوا معهم كبار جراحى المخ والأعصاب العالميين .. وفعلا دعى عدد منهم للحضور . وبعد أن فحصوا كافة البيانات ، واستمعوا إلى مالدى زملائهم السوفييت ، بدأوا يتدارسون الحالة ..

وفى ٢٧ فبراير ، عقدوا اجتماعا طويلا ، انقسمت فيه آراؤهم حول العلاج .. كان « وايلدر بنفيلد » ـ الاخصائى الكندى ـ يحبذ اجراء جراحة ، فى حين كان الاخصائيون السوفييت يخشون اية مغامرة قد تتلف خلايا عقل عرف بنبوغه الجبار ..

وقدر لكورا ـ زوجة « لانداو » ـ أن تسمع نقاشهم ، وهى تخف الى جوار زوجها ، بعد أن قضت فى مستشفى الأمراض العقلية شهرا .. وهالها ما سمعت عن مصير عقل زوجها ، فهرعت الى حجرته ، واحتضنت وجهه بين كفيها ، ومالت عليه باشفاق ، وهى تفكر مضطربة .. كانت فى فزع من أن يصاب عقله بتلف لو مسوه بمباضعهم !

معجزة تتحقق على يدى « كورا »

● وأوحى اليها شعور خفى ، أن زوجها قد عرفها بعد هذا الفراق الطويل ، وبعد كل المحن التى مرت به .. وارتجفت ، وهى تردد فى نفسها : « انه بكامل وعيه .. الا يعرفون ؟ »

وشرعت تحدثه بصوت خافت .. وخيل اليها أن عينيه بدأتا تعودان من التيه الذى كانتا تهيمان فيه ، بين الموت والحياة .. وعادت « كورا » تحتضن الوجه الحبيب بين كفيها ، وتناجيه .. وخيل اليها أن عينيه تبصرانها بادراك ..

ولم يبتسم ، ولا اختلجت اى من ملامحه ، ولكنها شعرت بكل يقينها انه يفهم ما كانت تقول ..

وقالت له : « أعرف أنك لا تستطيع الكلام ، لكنك عرفتنى .. اليس كذلك ؟.. اذا كنت تسمعنى وتتعرف على ، فاغمض عينيك ! »

وببطء شديد ، أغمض ((لانداو)) عينيه لأول مرة .. وخيل لكورا انها توشك ان تفقد الوعى .. وكررت التجربة وحدها ، ثم على مرأى من الممرضات ، وعلى مشهد من بعض المحيطين بحجرته من أصدقائه .. ولكن ، هل يصدقها الأخصائيون ، وهى التى غادرت مستشفى الأمراض العقلية منذ ساعات قلائل ؟

واسرعت اليهم ، فاذا بهم قد فضوا اجتماعهم . ولكنها لاحقت الدكتور « بنفيلد » الكندى ، حتى تمكنت من استدراجه الى سرير المريض .. وشهد التجربة . وتكلم بالانجليزية الى « لانداو » ـ الذى كان يجيدها ـ فبدر منه ما ينم عن الفهم .. وكذلك كانت الحال ، حين كلمه بالفرنسية ثم الألمانية !

وسرى الخبر فى (موسكو) بسرعة البرق : **((لانداو يرى ويفهم !))**

ولم يتردد الدكتور « بنفيلد » فى أن يتحول عن رأيه الأول ، وأن يؤيد وجهة نظر الأطباء السوفييت .

واخيرا .. استعاد قدرته على النطق

● واستمرت الجهود العلاجية متواصلة ، وصحة « لانداو » فى تقدم ، وعلامات الفهم والادراك تتجلى عليه باطراد . ولكنه ظل عاجزا عن النطق ـ برغم كل المحاولات ـ حتى ٨ ابريل ١٩٦٢ ، اذ نطق بأول كلمة منذ وقوع الحادث

.. كلمة واحدة ، ولكنها كانت « خبر اليوم » فى موسكو ..
فقد كانت المرضة تسقيه بعض الماء ، ثم سألته ان كان يريد مزيدا ، فهز رأسه ايجابا .. وقدمت له جرعة أخرى ، ثم قالت : « والآن ، حاول أن تقول شكرا ! » .. **وأخذت تكرر كلمة ((سباسيبا)) ـ اى شكرا بالروسية ـ امامه .. وكانت مفاجاة أذهلتها ، حين سمعته يقول بصوت خافت : ((سبا .. سي .. با)) !**

وتقول « كورا » أن الكلمات الأولى التى أخذ ينطق بها ـ بعد ذلك ـ كانت تبدو وكأنها تنبعث من بعيد ، بصوت غريب عليها .. كأنه قادم من عالم الموتى !

يتسلم ((جائزة نوبل)) فى المستشفى

● **وما لبث** « لانداو » ان استطاع أن يتناول غداءه بدون انابيب . وبدأت ذاكرته تعود تدريجيا ، والأطباء النفسيون يساعدونه على اجتياز المرحلة .. وشرع زملاؤه يحدثونه عن علوم الطبيعة ، ويعرضون عليه بعض المسائل .. **وكم كانت دهشتهم عندما تبينوا انه استخدم اسلوبا جديدا فى حلها !**

على أنه مل كل شيء ـ حتى العلوم ـ عندما طالت اقامته فى المستشفى .. بيد أن تقدم ابنه لامتحان القبول فى « معهد علوم الطبيعة » ، أثار اهتمامه بالعلوم من جديد ، فأخذ يساعد ابنه على الاستعداد للامتحان .. وما ان نجح « ايجور » ـ بتفوق ـ حتى عاد « لانداو » الى الملل وعدم **الاكتراث !**

ومرة اخرى ، تأججت جذوة النشاط لديه ، عندما تلقى فى اول نوفمبر ١٩٦٢ ، برقية من السويد بمنحه ((جائزة نوبل للطبيعة)) تقديرا لنظرياته السباقة ، ولاكتشافاته المتعلقة بغاز ((الهليوم)) .. ولكن ساقه كانت تحول دون سفره لتسلم

الجائزة .. ولأول مرة فى تاريخ جوائز « نوبل » ، أرسلت الجائزة الى حيث يوجد الفائز .. وقدمها اليه السفير السويدى ـ فى نفس اليوم المحدد لتسليم الجوائز ـ فى قاعة المحاضرات بمستشفى أكاديمية العلوم بموسكو ، حيث كان قد نقل قبل فترة ..

ومع أن الحضور كانوا يحبسون دموعهم اشفاقا عليه ، وهو يحاول الوقوف ، فانه لم يغفل بعض الفكاهات ـ وهو يلقى كلمته ـ وقد عاودته روح الفكاهة التى اشتهر بها !

.. وفى المرة الخامسة ، انتصر الموت !

● **ولم يقدر** للانداو أن يغادر المستشفى الا فى يناير ١٩٦٤ ، اى بعد عامين كاملين من الحادث الذى أماته أربع مرات !

وفى ٢٢ يناير ١٩٦٨ ، احتفل « لانداو » ببلوغه الستين ، واحتفل معه أصدقاؤه وتلاميذه وكافة الأوساط العلمية فى الاتحاد السوفييتى .

وكأنما راى القدر أن الظروف مناسبة لاسدال الستار الختامى : أربع انتصارات على الموت ((الأكلينيكى)) ـ اى كما تحدده الأعراض الطبية ـ وجائزة نوبل ، واهتمام واسع النطاق ببلوغه الستين ..

وفى أول ابريل ١٩٦٨ ، نقلت وكالات الأنباء نعى « لانداو .. عالم الطبيعة السوفييتى ، الذى تخصص فى الطبيعة النووية والأشعة الكونية ، وواحد من أعظم العلماء المعاصرين فى العالم » !

لقد عاود الموت محاولته للمرة الخامسة .. وانتصر فى هذه المرة !



SEXUAL LIFE IN ANCIENT GREECE

By HANS LICHT

الجنس والمسرح والدين لدى الاغريق

النوازع الجنسية للانســـان ، تضفى اضواء على معظم نواحى سلوكه وتصرفاته ، وعلى ما ينشيء من حضارات وثقافات ..
واستنادا الى هذه النظرية ، اتجه الباحث الاجتماعى « هانس ليشت » الى دراسة الجنس فى الحضارة الاغريقية القديمة ، باعتبار هذه الحضارة أم واصل الحضارات الغربيـــة .. وقد قدم اليك « كتابى » ـ فى العددين السابقين ـ فصولا من هذا البحث القيم ، الذى يجمع بين الفائدة الثقافية والتسلية ..
وعلى الصفحات التالية ، نقدم اليـك تلخيصا وافيـا للفصلين الاخيرين ، من القسم الاول من هذه الدراسة . وقد تناول فيهمـــا « ليشت » : الجنس والمسرح ، والجنس والدين عنـــد الاغـريق القـدامى ..

الجنس والمسرح والأدب

● **بعـد** أن أفضـــنا فى الحديث عن الجنس فى الحيـاة الاجتماعية لدى قدماء الاغريق ، وعن المكان الذى كان يحتله فى أعيادهم وحفلاتهم ، يصبح من الطبيعى والمنطقى أن ننتقل الى المسرح الاغريقى ، لنتبين أثر الجنس فيه ، ولندرس معالم الحياة فى المسرحيات بأنواعها ـــ من فكاهيـــة (كوميدية) وتراجيدية ـــ وفى التمثيل والشخصيات التى كانت تضطلع بالأدوار ..

مبتكر عشق الغلمان .. تلاحقه اللعنة !

● **لعـل** أول مسرحية تجتذب الاهتمام فى بحثنا هذا ، هى مسرحية « لايوس » ، التى نال بها الشـــاعر الاغريقى « أيسخلوس » الجـائزة الأولى ، فى « الأولمبيـــاد » الثـامن والسبعين ، سنة ٤٦٧ قبل الميلاد .

وتقوم هذه المسرحية على أساس من واقع افتتان الملك « لايوس » ـ الأب الحقيقي للشخصية الخالدة « أوديب » ـ بصبي جميل يدعى « خريسيبوس » .. وبلغ من هيامه انه خصى الصبي ـ بتر أعضاء ذكورته ـ لكى لا تذكره بحقيقة جنسه !

وهناك كثير من الباحثين والدارسين ، الذين يؤكدون بأن عشق « لايوس » للصبي « خريسيبوس » الجميل ـ ابن بيلوبس ـ كان العامل الحقيقي المتوارى ، الذى أدى بالملك التعس الى مصيره المأسوى .. **والواقع ان كثيرين من الاغريق كانوا ينظرون الى « لايوس » على أنه مبتكر عشق الغلمان . وقد استنزل « بيلوبس » لعنة بشعة ماحقة على الرجل الذى سلبه ابنه ، وعلى سلالته من بعده .. فظلت هذه اللعنة تلاحق « لايوس » حتى انتهت بوفاة « أوديب » ، الذى عاش حياة مليئة بالهموم والأحزان ، الى أن اعفته الآلهة من وزر الخطيئة !**

وهنا يجب الا ننزلق الى غلطة انساق اليها كثيرون ، فان لعنة « بيلوبس » لم تكن صادرة عن انكار لحب « لايوس » لابنه ـ أى حب ذكر لذكر ـ وانما كان مبعثها حنق الأب لأن « لايوس » سلبه ابنه وبتر ذكورته برغم ارادته .. **ومن ناحية اخرى ، لم يكن الشذوذ الجنسى والخصى هما السبب الأول للنقمة ، بقدر ما كان العنف الذى تم به الأمران .** فنحن نعرف أن الاغتصاب هو البداية للجماع منذ أقدم العصور البدائية ، ولكن العنف هو الذى اعتاد أن يثير غضب الرأى العام .. وكذلك نعرف أن بتر أعضاء الخصوبة ـ لدى الاناث والذكور على السواء ـ كان بين طقوس دينية تناقلتها الأزمان الى عهود غير بعيدة .. ولكن العنف فى ذلك هو مصدر النقمة !

اغتصب ابن سواه فدفع القدر ابنه للانتقام !

● **وهكذا** نستطيع أن نقول ان مأساة « ايسخلوس » وجدت غاية خاصة ، خلاف غايتها الظاهرة ، وهى أن « لايوس » حمل اللعنة نتيجة خروجه على ما كان متعارفا عليه فى مجتمعه ، أى : استخدامه العنف فيما كان يمكن أن يحققه بدون عنف . كما أن اللعنة انطوت على مفارقة ساخرة : **تلك هى انه كان محروما ممن كان يعتبره ـ فى شبابه ـ اغلى بهجة فى الحياة ، أى ابنه .. واذا ابن سواه ـ أى ((خريسيبوس)) ـ يصبح السبب فى أحداث ومصائب جعلته العوبة فى يد القدر .. ثم اذا يد الابن الذى كان محروما منه ـ يد ((أوديب)) ـ تصبح يد القتل التى ساقها القدر الغاضب للانتقام منه .. اى من ((لايوس)) جزاء استباحته ابنا لسواه ، ولد حرا لأب حر !**

وتبين مسرحية « المورميدون » لايسخلوس ، أن رابطة الحب القوى بين « آخيل » و « باتروكليدس » لم تكن سوى علاقة جنسية .. وان هذا اللون من العلاقات يرجع الى اجمل عصور ازدهار الحضارة اليونانية !

عشق الغلمان يوحى بمسرحيات عديدة

● **وفى** القصاصات التى تناهت الينا من مؤلفات « سوفوكليس » ، نجد أن حب الغلمان والفتيات كثيرا ما كان مصدر الهام للشاعر . ولا يجب أن نعجب لهذا ، فقد كان هذا الشاعر والمؤلف المسرحى العظيم آية فى الجمال والحسن فى صغره ، وكثيرا ما ظفر بتاج التفوق فى الرقص والموسيقى والألعاب الرياضية . وقد رأس الغلمان الراقصين ، فى احتفال الاغريق بالقتال المجيد فى (سلاميس) ، وكان يرقص

عاريا ، وهي يحمل قيثارة بين يديه .

وفى مقطوعة « عشاق آخيل » نرى بطل « الإلياذة » ــ اى آخيل ــ يظهر كصبى جميل ، حتى ليصفه سوفوكليس بأنه **« يلقى من عينيه نظرات تجـرح كالحراب »** !.. ثم نجـد « سوفوكليس » يصور « آخيل » عندما كبر ــ فى مسرحية اخرى ــ كعاشق للصبى الرقيق الناعم « ابن بريام » ، ولكنه يقتله خطأ ــ أثناء ممارسته الرياضة ــ فيحزن عليه حزن الاله « ابولو » على « هياسـنيثوس » ، الصبى الـذى كان كلفا به !

ولقـد اتخذ « يوريبيدس » ــ هو الآخر ــ قصـة « خريسيبوس » ، عشـيق « لايوس » الصبى ، موضوعا لاحدى مسرحياته .. وهى مسرحية تحمل اسم ذلك المشوق الجميل . **ومن الطريف أن « يوريبيدس » استمد الهامه من تجربة شخصية ، اذ انه هام بالفتى « أجاثون » بن « تيسامينوس » ، الذى كان اشد فتيان (أثينا) فتنة واثارة ، حتى لقد تيم به كثير من الشعراء والفلاسفة ، وخلد ذكره أفلاطون وارسطو طاليس ، وكان مثار غيرة بين سقراط والسبياديس !**

ومن اجل التقـرب الى « اجاثون » ، كتب يوريبيدس مسرحية « خريسيبوس » ، متمثلا نفسه فى « لايوس » ، وقاتنه ــ اجاثون ــ فى مكان « خريسيبوس » !

« الكوميديات » مليئة بالتعبيرات والمشاهد المكشوفة

● **واذا** تحولنا نحو المسرحيات الهزلية التى لم تصـل الينا كاملة ، فاننا نحب أن نبين أولا ، أن المسرحيات الهزلية الاغريقية كانت نتيجة الرغبة فى ارضاء الآلهة ومن فى عدادهم ، تحت تأثير نشوة الخمر .. أو بمعنى أدق ، **كانت نابعـة من العرفان بفضل الرب « ديونيسوس » ، ماحى الهموم وجالب**

الفرح !.. ومن ثم فهى تزخر بالمواقف الجنسية والتعبيرات المكشوفة الفاضحة ، مما يجعلها مرآة تعكس صورة « كاريكاتورية » لواقع الحياة !.. ونجد كثيرا منها يبنى على المفارقات الناشئة عن تعادل حب الزوجة وحب الغلمان فى حياة الرجل الاغريقى !

ولعل أطرف مثال لما تتضمنه المسرحيات الهزلية من وقاحة ، ما ورد فى تمثيلية لفيريكراتيس – لم يصل الى عهدنا سوى شذرات منها – اذ يقول : « **لقد أصبح السيباديس ، الذى لم يكن رجلا ، فيما مضى – على ما يبدو – زوجا لكل امرأة** » !

ولقد كان « يوپوليس » الاثينى ، من أحذق مؤلفى الكوميديا ، وبرز – بوجه خاص – أثناء حرب (البلوپونيز) . وقد فازت سبع – من حوالى أربع عشرة « كوميديا » وضعها – بالجوائز الأولى ، وأروعها « أوتوليكوس » التى قدمت فى العام الرابع من « الاولمبياد » التاسع والثمانين ، أى فى سنة ٤٢١ قبل الميلاد .. وكانت المسرحية تدور حول « أوتوليكوس » الذى قال « اكسينوفون » فى وصفه : « **ان جمال أوتوليكوس الصافى يحول الأنظار جميعا نحوه ، كما يجتذب العيون ضوء يمرق فى بهيم الليل . وما من أحد رآه ونجا من جرح اصاب فؤاده** » !!

وكان « أوتوليكوس » أثيرا بالحظوة لدى بطل رياضى مظفر ، اشتهر بماله وبذخه هو « كالياس » .. وقد أظهر « يوپوليس » – فى مسرحيته – غزام كالياس بالفتى فى صورة فاضحة !

كذلك عرضت ليوپوليس – فى سنة ٤٢٣ قبل الميلاد – مسرحية باسم « المتملقون » ، دارت حول الفتى الأثينى الجميل « ديموس » ، الذى كان يعرض نفسه للبيع ، وكان

يشكو ــ كما ورد فى المسرحية ــ من ان « الباب لا يستقر فى مكانه ابدا » . . اشارة الى كثرة من كانوا يترددون عليــه ، لينعموا بجماله !

صراع بين عجوز وشابة من الغانيات

● **ولقد** تبوأ « أريستوفينس » مكانة سامية فى تاريخ الشعر الاغريقى . ومن الطريف أن ننقل ــ فيما يلى ــ جزءا من حوار احدى مسرحياته ، لنتبين مدى الاغراق فى التعبيرات النابية . . ففى مشهد بين امرأتين من بائعات الهوى :

المرأة العجوز : لم لا يأتى الرجال ؟ . . لقد طال انتظارى ، وانا اقف خامــلة ، وقد تضمخت بالدهون ، واتشحت بثوب فى صفرة الكركم ، ورحت اترنم بلحن غرامى ، وآتى بحركات رياضية ، عسى أن أجتذب نظر واحد منهم ، أثناء مروره !

الفتاة الشابة : لقد سبقتنى أيتها العجوز ، ظنا منك أنك بغنائك تجتذبين حبيبى ! . . امضى فى غنائك ، وسأباريك فيه . . .

العجوز (تغنى) : ان شاء احد أن ينعم باللذة ، فلينعم معى ، لأن المعــرفة لا تتيسر للشــابات ، ولكنها تتــوفر للناضجات ! وهل تكون الشابة فى وفائى وصدق حبى ؟ . . ابدا ، بل انها تتنقل من واحد لآخر ، وتظل تطير ، وتطير ، وتطير ، وتطير . . ثم تطير ، من واحد لآخر !

الشابة : لا تحسدى الشابات ، فالمتعة فى اطرافهن اللينة ، وفى الثمار الناضجة على صدورهن . .

العجوز : غنى ما شئت أن تغنى ، فهم سيأتون لى أولا ؟

الشابة : اتقصدين انهم سيأتون . . لجنازتك ؟ أهذه نكتة جديدة ؟ . . وكيف يكون ثمة جديد لدى عجوز حيزبون ؟ !

وبعد حوار طويل على هذا النسق ، تتوارى المرأتان . .

فيقبل شاب متوج الرأس بالزهور ، وفى يده مشعل :

الشاب : ليتنى أنام مع الشابة ، ولا أنكب أولا بالعجوز !

وتثور العجوز ــ اذ كانت تسترق السمع والنظر ، من وراء النافذة ــ فتنذره بأنه جاء فى غير الأوقات التى يباح فيها الحضور ، وتهدده بدعوة العسس .. وتتظاهر بتنفيذ وعيدها فتدخل .. واذ ذاك تطل الفتاة من نافذتها ــ دون أن تكون قد فطنت لما جرى ــ وتغنى :

الشابة : من هنا تعال يا حبيبى !.. تعال الى أحضانى يا غرامى ، وكن شريك ليلتى !

الشاب : ها أنذا يا حبى ، فاهبطى سريعا ، وافتحى الباب .. وسأرتمى على الأرض ، وأعفر جبينى أمامك ! تعالى ، وسأنشد الراحة على صدرك !.. لقد وصفت لوعتى بما فيه الكفاية ، فاهبطى يا حبيبتى !.. افتحى الباب يا جميلة المحيا ، وعانقينى !

العجوز : لماذا تطرق بابى . هل تسعى الى ؟

الشاب : ليأخذنى الموت ان كنت قد طرقت بابك أو سعيت اليك !

وتفتح العجوز بابها ، وتشده من ذراعه قائلة : ((وحق افروديت لآخذنك ، شئت أو لم تشأ)) !

الشاب (يحاورها ، وهو يقاوم) : ولكنى أخاف حبيبك .

العجوز : من الذى تعنى ؟

الشاب : أمهر رسام .. **يزين الأوانى التى تدفن مع الموتى !**

العجوز : اننى أعرف ما تعنى . وأقسم بأفروديت أننى لن أدعك تنصرف !.. سأجرك الى الفراش جرا !..

الشاب : ولكنى لا أحب مضاجعة عجوز فانية مثلك ، ولن أفعل ..

ويستمر الحوار مليئا بالكنايات والتسوريات والتعبيرات المكشوفة .. ثم تظهر الفتاة على بابها ..

الشابة : الى أين تجرينه ؟

العجوز : انني أجذب زوجي الى داره .

الشابة : ما هذا بالقول الحكيم ، فهو ليس فى سن ملائمة لمضاجعتك .. انك أجدر بأن تكونى أمه ، لا زوجته !

ولا نرى أن نمضى طويلا ، بل نكتفى بهذا القــدر لبيان ما كانت تحفل به المسرحيات الهزلية الاغريقية من « أدب » مكشوف !

التراجيديا بين البطولة والاثارة الجنسية

● **وكان** مؤلفو « التراجيديا » من الاغريق القــدامى ، يجدون فى « البطولة » المحور المفضل لمسرحياتهم . ونادرا ما كان الحب والاثارة الجنســية من المحاور الرئيســية فى « التراجيديا اليونانية القــديمة » ، اذ أن القصص الغرامية ـ ذات النهايات المحزنة ـ لم تكن فى رأيهم جديرة بالسمو بمشاعر الناس .

ونستثنى من ذلك مسرحية ((**أجا ممنون**)) لايسخلوس ، التى تصور كيف دفعت الغيرة الجامحة زوجة ((**اجا ممنون**)) الخاطئة الى قتله . كما ان « سوفوكليس » استخدم الحب المتأجج بالرغبة فى مسرحيات عديدة ، ولكن كمحفز ثانوى . كما حدث فى حب « ميديا » لجاسون فى مسرحية « نســاء كولشيس » . **ولم يظهر هذا الحب كحافز رئيسى ، الا فى مسرحية واحدة ، هى ((فيــدرا)) التى كان محور احداثها اشتهاء ((فيدرا)) لابن زوجها !** ولقد ولى « يوريبيدس » وجهــه شــطر الاثارة الجنسية ، فتحول بالتراجيــديا عن الموضوعات البطولية الى نوع من المسرحيات البورجوازية ،

ذات النهاية غير السعيدة ، برغم احتفاظه بأسماء وشخصيات العهد البطولى !

وبفضل « يوريبيدس » ـ وكتاب التراجيديا الذين اعقبوه ـ طفت موضوعات الاثارة الجنسية على المسرح الاغريقى .. كما كان « يوريبيدس » أول من ادخل موضوعات الحب المحرم : كحب « كاناسى » لأخيها « مكاريوس » .. وحب « ميرها » لأبيها « سينيراس » !

الرجال يؤدون أدوار النساء على المسرح !

● ومن الجدير أن نلاحظ أن المسرح الاغريقى القديم ، كان يعتمد على الرجال وحدهم ، حتى أنهم كانوا يقومون بادوار النساء .. وفى بعض « الكوميديات » ـ التى كانت تتطلب ظهور نساء عاريات ـ **كان الممثل يرتدى زيا يلتصق بجسمه ، وقد صنع على شكل جسم المرأة ، مع الاستعانة بثديين وبطن مستعارة ، تظهر فيها الحلمتان والسرة !!** على أن هذا التقليد لم يلبث أن توارى رويدا ، مع تطور الحضارة الاغريقية ومرور الزمن .

بقى أن نذكر ـ فى هذا السياق ـ أنه لم يكن محرما على النساء والأطفال مشاهدة « الكوميديات » المثيرة ، المتضمنة لعبارات وحركات نابية .. وان كانت الزوجات المحترمات قد انصرفن عن هذا النوع من المسرحيات .

كذلك نذكر ان الاغريق القدامى ، كانوا يتناولون الجنس على أنه أمر واقع ، لا حاجة الى اسدال ستار من الغموض والتكتم عليه . بل انهم كانوا يخلعون عليه صفة دينية ، باعتباره ضرورة أولية للوجود !

والى جانب هذه الأنواع من المسرحيات ، أزدهر لدى الاغريق فن « الباليه » المستمد من الأساطير الدينية ..

وكانت الآلهة تظهر شبه عارية ، وفى أجمل آيات حسنها . وقد تبدو الاناث منها عارية تماما ، اذا هبت الريح ورفعت وشاحها !.. كما أن الريح قد تدفع الوشاح الى الالتصاق بالجسم فيكشف كل مفاتنه تحت غلالة تزيده اغراء . **وتحت ستار الأساطير الدينية ، كانت مشاهد الحب مع الحيوان تمثل على المسرح !..** وبينها مشاهد الزواج بين آدمى وحيوان ، كأن يكون الحيوان انسانا — فى الأصل — ثم انقلب حيوانا بفعل السحر أو غضب الآلهة !

كان الرقص عرضا لجمال الجسم ومفاتنه

● **وكان** الرقص — فى الأزمان الغابرة — يعتبر من المشاهد المسرحية .. لا الرقص الغربى المعهود — الذى يشترك فيه ذكر وانثى — وانما رقص كالذى نعرفه فى الشرق ، أو الرقص الجماعى الذى يشبه — فى أجزاء منه — التمثيل الصامت .. وهو التمثيل الذى يعتمد على الايحاء والحركة والاشارة ، مع الايقاع الموسيقى .. وكان الاغريق يستمتعون به كمصدر لرى ظمأهم الدائم الى الجمال ..

كذلك كانت الرقصات — التى تؤديها فتيات فاتنات الحسن — من اللوازم فى مآدب علية القوم ، وقد بلغت هذه الرقصات أبهى درجات الروعة ، فيما خلفه أهل (كريت) من آثار .

وكان الرقص — طيلة عهد الحضارة القديمة — عرضا لجمال الجسم ، ورشاقة الحركة . على اننا نقصر الحديث هنا ، على انواع الرقص التى تعتمد على الاثارة الجنسية ..
ولقد طالب « أفلاطون » بأن تضم حفلات الرقص الجنسين ، ليزداد كل منهما تعرفا الى الآخر .. على أن من المبالغة أن يزعم أحد انه كان يدعو الى رقص شبيه بالرقص الغربى .

وانما الأصح أنه كان يدعو الى أن تشـاهد الفتيات رقصات الشبان ، وأن يشاهد هؤلاء رقصاتهن ، برغم ما كانت تتطلبه بعض هذه الرقصات وتلك من عرى كامل .. أو أن يشترك الشبان والفتيات فى حلقة واحدة .. كما يبين الوصف الذى ورد فى « الالياذة » عن درع « آخيـل » .. وفى مثل هذه الحالات ، كان وجود الجنسين يعتبر ارضاء لربى الحب : « ديونيسوس » و « افروديت » ..

ولم يكن رقص الصبية الصغار عرايا ، بالأمر النادر فى اليونان القديمة .. وقد أشرنا الى هذا من قبل ، وذكرنا أنه كان نوعامن الاستمتاع بمشاهدة الجمال .

يفقد ابنة الملك .. لخلاعة رقصه !

● **ولعل** أقدم وصف للرقص الذى يعرض مفاتن الجسد ، هو ذاك الذى أورده « هيرودوت » . فقـد كانت للملك « كلييستينس » ــ عاهل (سيسيون) العظيم ــ ابنة باهرة الجمال ، تدعى (أجارستى) ، تنافس عليها الشبان من كافة ارجاء بلاد اليونان وايطاليا . فدعاهم الملك جميعا للاقامة فى بلاطه عاما ، ليختبرهم ويتبين أيهم أجدر بابنته .. واستطاع « هيپوكليدس » الأثينى أن يبرز عليهم جميعا بماله وجماله . ولكن الملك شاء أن يتيح الفرصة العادلة للجميع ، قبل البت فى الأمر ، فأقام مأدبة هائلة ، دعا بعدها المتنافسون الى أن يتبـاروا فى ابداء مواهبهم الموسيقية والاجتماعيـة . واذ شعشعت الخمر فى رأس « هيپوكليدس » ، قام بالرقص فى حركات أبدت أقصى مفاتن الخلاعة والاثارة ، مما اغضب الملك فأقصاه عن المتنافسين !

وكانت للاغريق رقصـات فاضحة ، تؤدى فى بعض المناسبات القومية ، كعيد « ارتيميس » . **ولعل أفضـح**

الرقصات جميعا ، كانت رقصة تسمى « كورداكس » ، تتالف من حركات مترنحة الى الأمام والى الخلف (كهزات الزار) ، مع سلسلة من ايماءات وتثنيات واختلاجات متعمدة ، لكشف مفاتن الجسم التى تتسم بالاثارة الجنسية .. فهى تعتبر تجسيدا لما يسميه علم النفس الحديث بالميول الاستعراضية ، مع فارق واحد : هو ان الاغريق كانوا يسمحون بعرضها فى مناسبات معدودة فحسب .. وكانوا يضفون عليها من « الرضاء الرسمى » ما يرتفع بها عن التبذل والغواية !.. أى أنها كانت تعرض ــ بموافقة السلطات المدنية والدينية ــ لابراز معالم الجمال ، وليس للاثارة الجنسية الرخيصة !

الغلمان فى مجالس الخمر !

● **على أن** هذا لا ينفى أن بعض الاغريق كانوا يبدون نوازع جنسية ، اذا ما عبث الشراب بعقولهم ، وذهب بتقديرهم للجمال ، من حيث هو جمال فحسب ..

وكانت هذه النوازع تظهر عارية ــ الى حد ما ــ فى مجالس الشراب .. فقد كانت العادة فى هذه المجالس ، أن يكلف صاحب الدار نخبة من أجمل العبيد الغلمان ، بتقديم الشراب الى الضيوف . ويروى لنا « لوسيان » ــ المؤرخ القديم ــ قصة غاية فى الطرافة ، عن مأدبة شراب ، فى بيت « اريستينيتوس » ، فيقول :

« ولا بد هنا أن أذكر ــ فى ايجاز عابر ــ حادثا بسيطا ، ساهم فى زيادة استمتاعى بالحفل . فقد شهدت غلاما جميلا من العبيد ، اتخذ مكانا خلف الفيلسوف « كليوديموس » كحامل للكأس .. واذ رحت أحدق فيه ، لاحظت أنه حين تقدم ليأخذ الكأس الفارغة من كليوديموس ، **داعب هذا اصابع الغلام خلسة ، ثم دفع الى يده قطعتين من النقود**

ـ دسهما مع الكاس ـ على ما لاح لي . وابتسم الغلام لمداعبة اصابعه ، ولكني احسبه لم يفطن الى قطعتي النقود ، فاذا بهما تسقطان وتتدحرجان على الارض .. وتضرج وجه الغلام ووجه الفيلسوف . وتساءل الحضور عمن يكون صاحب القطعتين ، ولكن الغلام أنكر أنهما وقعتا من يده ، كما تشاغل كليوديموس ، وكأنما لم تكن له بالأمر علاقة !.. وما لبث القوم أن انصرفوا عن الموضوع ، ليواصلوا الشراب ، وان كان هنـاك عدد ضئيل قد لاحظ ما حدث . واعتقـد أن « أريستينيتوس » كان من هؤلاء القلة ، اذ انتهز فرصة ما ـ بعد قليل ـ ليقصي الغلام عن القاعة ، ودعا الى مكانه فتى تجاوز السن الخطرة .. ومن ثم مر الحادث ـ بفضل لباقة صاحب الدار ـ ولو أنه افتضـح لأدى الى خزي كبير لكليوديموس .. اذ كان خليقا به ـ كفيلسوف ـ أن يقـدر على ضبط شهواته ! »

حمل الكؤوس شرف يناله ابن النبلاء !

● ويزعم بعض المؤرخين أن الفتيات كن يقدمن الشراب ويحملن الكؤوس في هذه الحفلات أحيانا . ولكن الذي يتعمق نفسية الاغريق ، جدير بأن ينبذ هذا الزعم . وكان الذي يحدث ـ في أحيـان نادرة جدا ، يكون فيها المضيف عظيم الاحتفاء بضيوفه ـ أن تدعى جارية الى القاعة عارية ، لتطوف على الحضور فتمـلأ كؤوسهم ، بينما تعزف ثلاث فتيـات أخريات شيئا من الموسيقى .. ولكن هـذه كانت من اندر الحالات !

يضاف الى هذا أن حمل الكؤوس وتقديم الشراب كانا من الأعمال التي يجلها الاغريق ويؤثرون الفتيان بها ، حتى أن بعض أبناء النبلاء ـ في العهود الاغريقية الاولى ـ كانوا

يقومون بهذه المهمة بانفسهم .. وقد ذكر « هوميروس » أن ابن الملك « منيلاوس » كان منهم .. وكذلك كان الشـاعر « يوريبيدس » في صباه .

وكان الاغريق يهتمون بمجالس الشراب اهتماما خاصا .. فالى جانب الرقص ، كانت تقدم الألعاب البهلوانية ، والأغاني ، من كل من الجنسين .. وكانت هذه المجالس تعقد في البيوت فقط !

الجنس والدين لدى الاغريق

● ترى الديانات السماوية ان المثـل الخلقي الأعلى للانسان ، هو انكار الجسد وكبح رغباته ، حتى أن التعاليم اليهودية والمسيحية توحي بأن هـذا هو سبيل السـعادة الأبدية في العالم الآخر ، حيث تدعو الملائكة – التي تصورها هذه التعاليم كمخلوقات بلا جنس – أبناء البشر الى الجزاء الأوفى . **ومن ثم يتعذر على المرء أن يتصور وجود علاقة بين الجنس والدين ، في حين أن هذه العلاقة موجودة ، ولكن في الأعماق اللاواعيـة .. وفي آيات ((التوراة)) أمثلة واضحة لذلك .**

والواقع ان الأفكار الجنسـية توجد في اطـواء قصص الخليقة وبداية الدنيا ، منذ أقدم الحضارات .. فكان الاغريق يسـمون السماء « أورانوس » ، وهو اسم يوحي بقـدرة السماء الاخصابية ، التي تخترق الأرض بالحرارة والرطوبة ، فتنبت الأرض كل شيء حي .. حتى ليقول ايسخلوس : « ان السماء الطـاهرة ترغب في أن تتغلغـل في الأرض ، والحب يستولى على الأرض فتتوق الى أن تتحد مع السماء .. » !

وينجم عن عنـاق السماء والأرض – أورانوس وجايا –

« التيتان » ، وهي أنواع عديدة من الظـــواهر السماوية والأرضية والبحرية .

هكذا ولدت الكراهية والعنف وسفك الدماء

● **وتتحدث** الأساطير الاغريقيـــة عن « السايكلوبات » ــ التى تمثل قدرات الطبيعة الجبارة ــ و « الهيكاتونشيرات » وهي عمالقة لكل منها مائة ذراع .. فتقول أن هذين النوعين من أبناء السماء ، ازدادا قوة وطغيانا ، فلم تجد السماء بدا ــ للتخلص منهما ــ من أن تلقى بهما الى الأرض .. ولكن الأرض غضبت لكرامة أمومتها فدعت ابناءها ليثأروا لها من أبيهم (السماء) .. **وهكذا تولدت الكراهية والنقمة من الحب الطاغي** .. غير أن الأبناء لم يجسروا على أن يرفعوا أيديهم بالأذى لأبيهم ، فيما عدا واحد ــ هو « كرونوس » ــ الذى تربص لأورانيوس ، **حتى اذا هبط ليعانق ((جايا)) كعادته كل ليلة ــ وهي ظاهرة هبوط الظل على الأرض ــ انقض عليه واجتث عضو التوالد لديه .. ومن قطرات الدم التى سقطت ، حملت الأرض لتضع ((ايرينيس)) و ((جبانت)) و ((ميليان)) .. اى الثار ، والعنف ، وسفك الدماء !**

ولا تقوم طبيعة آلهة الاغريق على فكرة خلقية ، وانما على فكرة جمالية . وكانت السعادة لديهم ، هي امكانية الاستمتاع بأكمل وأصفى وأنقى آيات الحسن والجمال والبهجة والسرور ــ حتى الثمـــالة ــ دون أن يعـــكر ذلك شيء من المرض أو الشيخوخة أو الموت . ولا بد من استيعاب هذه النظرية عن طبيعة آلهـــة الاغريق ، لنستعرض مغامراتهم ذات الطابع الجنسي دون ما تحيز .. كذلك يجب الا ننسى أن بلاد الاغريق كانت مقسمة الى مدن أو أقاليم صغيرة عديدة ، لكل منها قصصها المحلية ، التى قد تصادفنا ونحن نستمد مادة بحثنا .

« ابو الآلهة » : كانت له غراميات لا تحصى !

● ولنبدأ بأبي الآلهة والبشر « زيوس » ، الاله الأعلى للنور . ففي أعماق الأساطير العديدة عن زيجاته وغرامياته ، تكمن فكرة « الطل » أو رطوبة السماء التي تتغلغل في الأرض ، فتنبت كل حي .. وهي الفكرة التي أوردناها من قبل عن بدء الخليقة . والى جانبه هذا ، فان عددا من العائلات الاغريقية ذات الجاه والعراقة ، كانت تذهب ـ في تتبع أنسابها ـ الى اسناد أصلها اليه !.. **وتبدي الأساطير أن « زيوس » اتخذ عددا لا يحصى من اناث الآلهة والبشر زوجات وخليلات ، مما أوحى الى كثير من الشعراء والفنانين بفيض من الالهامات الحسية ، ومما اتخذ كاساس للغيرة المستمرة التجدد لدى زوجته واخته « هيرا » .. لا سيما حين رفع « زيوس » اليه الفتى الطروادي الجميل « جانيميد » ، مما اضفي تبريرا دينيا على حب الغلمان والصبية !**

واذا نظرنا الي مغامرات « زيوس » ـ على ضوء المبادىء الخلقية ـ فاننا نجد مبررات كثيرة لغيرة « هيرا » .. التي وصف الشعراء الأسطوريون زواجه منها بأنه كان مناسبة أفاضت الخير على الأرض ، وأنمت شجرة الحياة عليها .. ففي هذه المناسبة ، زينت « هيرا » جسدها بكل مفاتن الصبا والجمال ، ثم اقتربت من زوجها ، وهو يراقب القتال بين اليونانيين والطرواديين ـ من أعلى جبل أوليمب ـ فاذا بفتنتها تطغى عليه ، فينصرف عن كل شيء ، ليضمها في أحضانه !.. وعلى سرير من الزهور المجدولة ، تم الزواج بكل مظاهر الزواج البشري !

وكان ان غفل « زيوس » في أحضان « هيرا » عن سير المعركة .. فلم تمض كما كان ينبغي !

((زيوس)) يعاقب عروسه ليقهر عنادها !

● **ولكن** هذا الزواج الربانى لم يتم دون عواصف وزوابع .. وهى النتائج المنطقية لمعنى زواج الالهين ، بوصفهما القوتين المسيطرتين على الطبيعة .. ووفقا للظواهر الجوية ، فان الأمطار والعواصف تحدث عادة بعنف وفجائيـة .. وهكذا اتسم الصراع بين الزوجين الالهين بالعنف والمباغتة ، حتى انهى « زيوس » الصراع ــ كما ورد فى « الالياذة » ــ بقوله : « اجلسى ساكنة وأطيعى أوامرى ، والا فلن يقــوى كافة الخـالدين فى الأوليمب على حمـايتك ، اذا اقتربت وألقيت يدى الباطشتين عليك » !

واذ اصرت ((هيرا)) على العناد ، فان زوجها ((زيوس)) علقها فى الفضاء ، وقد ربط بكل قدم من قدميها سندان .. وقد فسر ((بروبس)) هـذا المنظر بان السـندانين يرمزان للأرض والبحر ، وان المشهد كله يرمز الى قدرة الاله الأعلى على استبقاء الهـواء وكل الوجود فى حالة معلقة ! ولما كانت « هيرا » وفية لزوجها ــ برغم كل هذا ــ فانها ترتقب من كافة الرجال المتزوجين الوفاء لزوجاتهم ، فى مقابل ذلك .. ومن ثم فقد أصبحت الربة الراعية للزواج .

شبكة لاصطياد الزوجة الخائنة وعشيقها

● **ونظرا لأن** النار قد هبطت الى الأرض ــ لأول مرة ــ من السماء ، فقد اعتبر الاغريق أن « هيفيستوس » ــ اله النار ــ ابن لزيوس وهيرا . ورأوا فى العرج الذى يتجلى فى مشيته رمز ارتعاش اللهب وتراقصه . ويفسر « هوميروبس » هذا بأن « هيفيستوس » انحاز لجانب أمه ــ أثنـاء شجار بينها وبين زوجها ــ **فامسك ((زيوس)) بقدم ابنه ، وطوح به**

من فوق (الأوليمب) .. واذ اصبحت ساقاه ضعيفتين ، فانه دعمهما بفتاتين صنعهما من الذهب « على صورة عذراوين فى نضارة الشباب » ، فاعتبرتا رمزا للحيوية والتوثب اللذين تمتاز بهما النار !

وتروى بعض الأســـاطير أن «هيفيستوس » تزوج من « أفروديت » . ولم يلبث آله الشمس « هليوس » أن أطلعه على أن زوجته افتتنت ـ فى غيابه ـ بالاله « آريس » النزق . فما كان من « هيفيستوس » الا أن صنع شبكة دقيقة لا ترى خيوطها عيون البشر ولا عيون الآلهة ، وثبتها ـ خلسة ـ الى فراش الزوجيـــة ، ثم أعلن أنه مســـافر . فلما تضـــاجع العاشقان ، أطبقت عليهما الشبكة وهما فى نشوة الهوى ، ولم يستطيعا حراكا حتى فاجأهما الزوج المغدور ، فدعا الآلهة جميعا ليشهدوا الخيانة الوضيعة ..

عذراء مسلحة تولد فى مخ « زيوس » !

● ولقد وقع « هيفيستوس » ـ بعــد ذلك ـ فى حب الربة « أثينا » ، التى تقول الأساطير أنها خرجت من رأس « زيوس » ، حين شقه « هيفيستوس » ببلطة .. ويصور « لوسيان » هذا الحادث ، فى « حوار الآلهـــة » ، تصويرا مشوقا ، نقتبس منه :

هـ . : لقد جئت مأمورا ، أحمل أرهف بلطة أمتلك ..

ز . : شق رأسى الى شطرين بضربة واحدة .. اقطع على الفور والا أغضبتنى ، وكم من مرة أغضبتنى !

هـ . : سأفعل ، ولكن على غير رغبة منى ، فمن يقــوى على المقاومة حين تأمر ! (يهوى بالبلطة) **ما هذا ؟ عذراء فى درع كامل ! كان فى رأسك شر عظيم يا زيوس ، فلا عجب أن كنت متوعك المزاج وأنت تنجب عذراء قوية كهذه ، تحت**

مخك ، وهي في درع كامل !.. انهـا تثب وترقص ، وتهـز درعها ، وتشحذ حربتها ، وتجمح في هياجها .. وأعجب من كل هذا أنها جميلة جدا ، وقد بلغت النضج في لحظات .. اتوسل اليك يا زيوس أن تزوجني منها !

ز . : انك تطلب المستحيل ، لأنها سترغب دائما في البقاء عذراء ..

ويصر « هيفيستوس » على رجائه ، فيجيبه « زيوس » .. ومنـذ ذلك الحين ، يطارد « هيفيستوس » أثينا ذات الدروع ، وهي تهرب منه .. وعندما تشتد رغبته ، يلفظ لقاحه على قدمها ، فتنفض « أثينا » اللقـاح مشمئزة ، وتمسحه بقطعة من الصوف ترمي بها الى الأرض ، لتصبح « اريكتونيوس » ، الذى تربيه « أثينا » في غفلة من الآلهة ، املا في أن تجعله من الخالدين !

الحب والجمال صنوان لا ينفصلان

● **والأساطير** الاغريقية التي من هذا القبيل كثيرة ، ولكنا نكتفي بالأمثلة التي أوردناها ، لبيان مدى علاقة الجنس بالدين عند الاغريق القدامى ..

كذلك حفلت الأساطير التي تناقلتهـا الأجيـال عن الاله « أبولو » ــ اله النـور والشمس ــ بقصص غرامه بالغلمان والفتيان ، مما يبين أن طبيعة عشق الجنس الواحد متغلغلة في الحضارة الاغريقية ..

ونخلص من جميع هذه الأساطير بأن الحب والجمال كانا لدى الاغريق صنوين لا ينفصلان .. وهكذا نراهم قد اتخذوا « أفروديت » ربة الحب وربة الربيع المشرق بأزهاره النضرة ووروده ورياحينه .. **وخلالهـا يستيقظ الحب ــ في مطلع الربيع ــ فتسعى خلال الغابات ، مزدانة بالزهور ، الى الحبيب**

.. ويبهر جمالها العاري حيوانات الغـــاب والجبل فتسير خلفها ، وتتزاوج في نشوة الحب .. النشوة التي اعتبروهـا « احلى منحة من أفروديت الذهبية » !

واشهر ما عرفت به « أفروديت » انها ربة الجمال الانثوي والحب . ومن ثم كان هم الشعراء والفنانين ، أن يؤثروها بكل حسن وفتنة .. ولم يقتصر بعض النحاتين ــ فيما نحتوا لها من تماثيل ــ على جمال الوجه والصدر والفخذين ، بل عنوا بجمال الظهر .. **وما عرف أن قوما غير الاغريق أقاموا معابد ، ورفعوا فيها تماثيل لربة من الربات ، ليمجدوا جزءا من جسم الانسان لم يحفل بتمجيده سواهم ، الا وهو : الردفين ! .. فكانت بلاد اليونان ــ باكملها ــ تعبـــد تمثـــال « أفروديت كاليبيجوس ــ ذات الردفين الجميلين » ! !**

وفي المتحف القومي بنابولي ، يتوسط حجرة صغيرة ــ في الجناح الشرقي ، من الطابق الأرضي ــ تمثـــال للربة وهي في أبهى صور العري ، وقد التفتت برأسها الى الخلف ، تتأمل مفاتن ردفيها ، في اغتباط وزهو !

وهكذا أبدع الفنانون الاغريق في تصوير العري المثير ، دون أن يتبذلوا فيصدموا الأعين المتأملة لتحفهم .. بل انهم في ابداعهم يذهبون الى الدرجة التي تجعل الحب متعة يهفو اليها البشر والآلهة ــ في معتقداتهم ــ بكل شوق وشغف !

« أفروديت » تشعل قلوب الرجال وتغوي النساء !

● **وتظهر** في مخلفات الاغريق الحضــــارية ، شخصية « **باريس** » .. الشاب ذو الجمال البـــاهر ، الذي أوثر بكل مفاتن الجمال والشباب ، فلم يكن رجل حرب ، وانما كان رجلا ناعما ، طريا ، منحته « أفروديت » سلطانا على كل النساء . ومن ثم فعندما نزل على « مينيلاوس » ــ ملك اسبارطه ــ

ضيفا ، فتن « هيلين » زوجة الملك ، فتبعته الى (طروادة) ، مما ادى الى حروب اليمة .. **واستخلص الاغريق من هـذه القصة ، ان المرأة اذا افتتنت ، لا تحفل بما قد تجره من ويلات وأحزان على أقوام بأسرها ، فى سبيل الظفر بفاتنها وارضاء غرورهـا !**

وتجمع الأساطير على أن « أفروديت » ـ عنـدما تفرض سيادتها على قلوب الرجال ـ توقد فيهم لهيب الحب المتأجج الى درجة لا يملكون معها من أمور أنفسهم شيئا .. واذ ذاك ، تتحول الربة الى شيطانة ، فتغوى النساء بحيث يعجزن عن مقاومة الانسياق للشهوات ، برغم ادراكهن ما فى ذلك من شر وخطيئة . وهذا ما فعلته بهيلين حين هامت وراء « باريس » .

والمهم فى الامر ، أن « أفروديت » لا تذكى رغبات الحب فحسب ، بل تعول على اشباعها ! .. ولم يكن الاغريق يخجلون من « نعم أفروديت العـذبة » ، كما وصف الشـعراء المتع الحسية للحب . ومن السـهل أن نفهم هذا ، اذا ما عرفنا أن الانغمـاس فى ارضاء الجنس ، بلغ عنـدهم مبلغ الطقوس الدينية ، حتى لقد قام عندهم نوع من « البغاء الدينى » !

التفاح والريحان رسولا الغرام منذ القدم !

● **ولقد كان** الريحان والتفاح من مقدسات « أفروديت » ، يحملهما العشاق الى حبيباتهم ، أو يقذفونهن بهما للاعراب عن عواطفهم .. ولقد ترك الرسـام الاغريقى « كاتالس » لوحـة فاتنة لفتاة أرسل اليها حبيبها تفاحة ، فلم تر ـ وهى موزعة بين الفرح والاضطراب ـ سوى أن تضعها بين نهديهـا ، واذ تفاجئها أمها ـ فى خلوتها بنفسها ـ تقفز الفتاة واقفة ، واذا التفاحة تسقط من مكمنها وتشى بسرها .. وقد أبدع الفنان فى رسم حمرة الخجل على وجنتى العذراء !

ومن ثم نرى أن التفاحة من الرموز الجنسية عند الاغريق ، وذلك قبل أن يرد ذكرها فى « التوراة » كسبب لخروج آدم وحواء من الجنـــة ! .. ويرجع ذلك لديهم الى قصة « أكونتيوس » ، الذى أحب « سيديبى » دون أن تبادله الحب ، فكتب على تفاحة : « قسما بأرتيميس لأتزوجن أكونتيوس » ! .. وألقى اليها بالتفاحة ، فى معبد الربة « أرتيميس » ، فقرأت القسم بصوت عال . **واذ أدركت الخدعة الماكرة ـ اذ أن ماكتبه « أكونتيوس » بدا ، حين قراته بصوت مرتفع ، كأنه قسم منها هى ـ ألقت بالتفاحة مغضبة . بيد أنها لم تلبث أن مرضت ، وقالت لها العرافة ـ فى المعبد ـ ان مرضها نشــأ عن غضب الربة ، لأنها أهانتها بمسلكها . ولم تجد « سيديبى » بدا من أن تقبل « أكونتيوس » زوجا !**

وهناك رواية أخرى ، ملخصها أن « اتلانتا » ـ الحسناء الحكيمة ـ أقسمت الا تتزوج الا ممن يستطيع أن يتفوق عليها فى السباق . ولما كان « ميلانيون » يهيم بها ، وقد توسل الى الربة « أفروديت » أن تساعده ، فان الربة أهدت اليه بتفاحات من الذهب ، نثرها فى طريق الســباق ، فكانت « اتلانتــا » تلتقطها ، وبذلك استطاع أن يسبقها .. وفاز بها !

حيوانات ذات طبيعة حسية لدى الاغريق !

● **وفى دنيـا الحيوان** : نجد أن العنز والكبش والأرنب الجبلى والحمامة والعصفور ـ المعروف باسم « أبى فصادة » ـ كانت ذات عــلاقة بأفروديت . ففى « ايليس » أبدعت يدا الفنان « سكوپاس » تمثالا لأفروديت تمتطى عنزا . وكان من العادة الاحتفاظ بالحمام فى كثير من معــابد « أفروديت » ، لاسيما فى قبرص وصقلية .. وكان الحمـام يعتبر من رموز التفاؤل للأزواج .

وبوجـه عام ، كانت هذه الحيوانات ـ العنز والكبش والأرنب والحمام والعصفور ـ تعتبر ذات طبيعة حسية .. أى شهوية ! وكان الاغريق يربطونها بالجنس دائما !

كذلك تأثر شكل الأله « هرمز » ـ كما صوره الاغريق ـ بأفكار جنسية ، وكثيرا ما توجد صورته مع « أفروديت » .. ولم يكن الفنانون يكفون عن تقديم صور تمثله فى أكمل نضج ، واقوى فتـوة .. على أن أبدع صـوره اطـلاقا ، هى تلك الموجودة فى (ڤيلا فارنيسينا) بروما ، اذ يبدو والحنان والرقة يفيضان من اساريره ، وقد مال نحو حورية عارية الا من غلالة رقيقة ، وقد أخذت احدى يديه تنضو الغلالة ، بينما راحت اليد الأخرى تداعب ثدى الحورية !

ربة القمر ترعى الحياة الجنسية للاناث !

● ومن ربات العشق ـ عنـد الاغريق ـ « ايوس » أو « اورورا » ، ربة الفجر ، التى تقول الأساطير ان يدها تمتـد فى الافق لتزيح الليل وتدفع الشمس .. ومن ثم فان الشفق الوردى ـ الذى يسبق الشروق ـ يبـدأ كأصابع رقيقة ، ثم ينتشر كراحة اليد !

كذلك تقول الأساطير ان ((ايوس)) جاءت نتيجة جمـاع بين ((افروديت)) والاله ((اريس)) ، فورثت طبيعتها العاشقة عن أمها .. فكانت تحب كل جميل ، لاسيما الشبان .. وكانت تستولى عنوة على من يثير مشاعرها من الشبان ، وقد اتخـذ هذا رمزا لاقتناص مباهج الحياة !

وللربة « سيلينى » أو « لونا » ـ ربة القمر ـ طبيعـة عاشقة هى الأخرى .. وقد نامت مرة فى أحضان « زيوس » ، فأنجبت منه « بانديا » الفاتنة ، التى هام بها الاله « بان » ، وظفر بحبها حين أهدى اليها قطيعا من الخراف البيضـاء

الصغيرة ! . . على أن أشهر غرامياتها ــ فى الأســاطير ــ هى مغامرتها مع الشاب الجميل « انديميون » ، الذى فاجاته الربة وهو نائم فى غابات التلال ــ فى (لاتموس) ــ وآثرته بعد ذلك بحبها ، فى كل ليلة . . وتفسر هذه الأسطورة بأنها رمز للنوم . . الموت المؤقت الذى يظــل نور الحب الرقيق يتغلغــل فى ظلمته !

ووفقا لافكار الاغريق القدامى ، ترتبط الحياة الجنسية للاناث بالقمر ((ارتباطا وثيقا)) . ومن ثم فان كل الربات ذوات العلاقة بالقمر ــ مثل « هيرا » و « أرتيميس » و « أفروديت » و « أثينا » ــ تعتبر حاميات وراعيات للنســـاء فى حياتهن الجنسية ، وفى الوضع والمخاض بالذات . وكانت للوضع ربة خاصة هى « ايليثيا » ــ ابنة « هيرا » ــ التى يعبر اسمها عن آلام المخاض .

((بان)) : الاله الذى لا يرتوى من الحب !

● **وعلى ذكر** « بــان » ، نضيف انه كان « روح الـــود والصداقة » فى الجبال ، وراعى القطعان وحاميهــــا ، ورمز الطبيعة الوادعة المسالمة . . وكان الاغريق يصورونه بأقــدام كأقدام العنز ، وراس ذى قرنين كبيرين ولحية طويلة . . ومن ثم فهو أكثر اشتهارا بأنه « رب الماعز » . . يقفز ويتواثب فى التــلال المكسوة بالغابات ، تحف به الحوريات وهن يرقصن ويغنين ويعزفن الألحان . . فى الأوقات التى لا يرتشفن خلالها رحيق الحب فى أحضانه !

وتصور الأساطير « بان » على أنه لا يشبع ولا يرتوى من الحب . . وهناك أسطورة تقول انه هام حبا بالحورية « ايكو » ولكنها فضلت عليــه « نارسيسس » الفــــاتن ، **حتى اذا لم تستطع أن تشبع رغبتها فيه ، أخذ جسمهــا يذوى رويدا ،**

حتى لم يعد يظهر منها سوى الصوت فقط .. ومن هنا اطلق اسمها على صدى الصوت ! أما « نارسيسس » فلم تستهوه سوى صورته على صفحة ماء جدول ، فظل يتأملهـا دون أن يملك لمسها أو اشباع غرامه بها ، فذوى جسمه هو الآخر ورق وشف ، حتى اتخذ شكل زهرة تنبت على ضفاف الجداول .. ومن هنا اطلق اسمه على زهرة « النرجس » !

● ●

هذه جولة سريعة لبيان العلاقة بين الجنس والدين ، فى الاساطير الاغريقية القديمة ــ وهى موجزة الى حد كبير ، لأن تناول هذا الموضوع بالاسهاب والتفصيل ، يتطلب كتبا عديدة المجلدات ..

على ان القدر الذى قدمناه ــ على ايجازه ــ كفيل بأن يبين للقراء مدى تشبع الدين والأساطير الدينية ــ لدى الاغريق القدامى ــ بالجنس .

وبهذا نختتم القسم الأول من البحث ، لنعنى فى القسم الثاني ــ بشيء من التفصيل ــ بعادات وطباع الاغريق الجنسية .. فنتناول حب الرجل للمرأة ، والعادة السرية ، والبغاء ، وعشق الذكر للذكر ، والشذوذ والانحرافات الجنسية ..

حب وصراع .. فى كمبوديا !

((بقية المنشور صفحة ٣٤))

((لقد دعوتكم سيداتي وسادتي ، لأن العالم بحاجة الى ما اهتدت اليه كمبوديا ، الا وهو : الحياد الايجابى))

وانطلق يتحدث عما فى تعـاليم بوذا من تعزيز للحيـاد الايجابى ، بين مقاطعات من الأمريكيين والانجليز و «مولتاني» ، ومحاولات من « مارى فاوست » و « داس » للتصدى لهم .. ففض « يولونج » الاجتماع حتى الساعة الرابعة والنصف.

● ●

● **قالت** سوميبون : « لعلنا جلبنا الحرب الباردة معنا ! » .. فقال چيون : « لعل هذا ما يعنيه يولونج سيرابه . فهل بوسع الكتاب أن يكونوا ــ فى عالم اليوم ــ غير منحازين ، وأن يحكموا على الموضوعات بمزاياها ، فيتحملوا مسئولية أدبية ؟ .. هذا معناه التزام شامل ، فكأن الحيـاد يعنى عكسـه ، لوجود المسئولية الأدبية ! » .. وكان المجلس يضم « داس » و « آدا تيمبرليك » و « أحمد فؤاد » و « جورج » ...

وقال « چيون » لسوميبون ، وقد لمح « مارى فاوست » ترمقه بنظرة ثاقبة : « انها ديكتاتورة بفطرتها ! » .. فردت قائلة : « ان ثقتها البالغـة بنفسها ، تفعل فى الناس فعـل التنويم المغناطيسى ، فكثيرون منا لا يثقون بأنفسهم ، ويتطلعون الى قيادة » ! .. ثم اردفت : « هل يستطيع أحدكم أن ينبئنى : لماذا يتحاشى معظم الكتاب ــ فى الشرق والغرب ــ المشكلات الحقيقية الكبرى ؟ .. مثـل غضـبة الشـباب فى فرنسـا وسواها ؟ » !. فأجاب داس : ((**انـنـا ــ معشر الكتاب فى**

آسيا ـ ندرك ضرورة الواقعية فى الكتابة ، لأننا نخوض غمار ثورة . وحيث تحدث الانتفاضات والانقلابات ، فان الكاتب المتعمق يعانى الكثير ، اذ ان كل القيم تنقلب ، وتتحول الكتابة الى « ريبورتاجات » وتحقيقات صحفية ! » .. وعقب أحمد فؤاد الباكستانى قائلا : « ان الكتاب ـ فى الغرب ـ لا يجرأون على مواجهة حتمية وجود ثورة مقبلة . أما فى الشرق ، فنحن فى خضم الثورة فعلا ، فلا نستطيع أن نرى وجهها الاجمالى ، بل نرى نواحى وقطاعات منها ! »

وعاد داس الى الحديث قائلا : « ان الزام الكاتب لا بد أن يخفق ، فلسنا نملك أن نلزمه بأن يكتب بوعى اجتماعى ومسئولية وواقعية ، اذا فرضنا عليه الأمر « يجب » .. **ان معظم كتاب الثورات فى الصين وروسيا ، كانوا فى فترات بورجوازية ، وكانوا ثائرين على النظم السائدة فى مجتمعاتهم . أما فى فترات الثورات ذاتها .. فالثورة سيل جارف من الأحداث ، سيل سريع عارم ، لا يستطيع وعى الفرد أن يستوعبه فى مجموعه ، بل لا بد من أن تمر سنوات ، قبل أن تثمر العملية نتائج** .. ان الكتاب فى الثورات يتحولون الى صحفيين ، ولا بد أن ينتجوا لأن هناك طلبا على انتاجهم .. هناك جوع ذهنى ملح ، يستلزم منهم أن يرهقوا أنفسهم بحثا عن غذاء للأذهان .. ولكنهم ـ فى الوقت ذاته ـ لا يظفرون من الأحداث الا بناحية جزئية ، لأنها لم تستكمل النضج ، ولأن تغير الصرح الاجمالى لحياتنا ـ خلال الثورة ـ يتطلب فرض نظام ورقابة على الكتاب ، من أناس يرتابون فى كل « نقد » ويسمونه « رجعية » .. وتردد الكتاب بين ما يتاح لهم وما هو مطلوب منهم ، قد يخلق منهم « كتبة » لا « كتابا » ، ويخلق تناقضات بين العملية غير المحسوسة التى تدور فى أعماق كيان كل كاتب ، وبين التوتر الناشىء عن

دفعه لأن يصف أو يشعر بما لم يعرفه بعد ، ولم يشعر به فى قرارة عظامه وعضلاته وأعصابه .. التوتر الناشىء عن اضطراره لأن يطرى ما لم يتبين بعد صحته وصدقه .. **تلك فترات محنة الكاتب . ثم تبدأ خطى الثورة فى التباطؤ ، وهى تسير نحو استكمال انتصارها ، فتعود الحكمة والتوازن والاستقرار ، ويباح النقد والسخرية ، ويتبخر المتطرفون والمتهوسون ، وتتسنى مناقشة الماضى .. وبعد الكفاح والدم ، والأخطاء ، يكون الانسان قد خطا خطوة الى الأمام ، فتتاح للأدب حياة جديدة .. غنية ! »)**

وصاحت مارى فاوست فى ضيق وغضب : « هروبية !.. ان الموضوع الرئيسى أمامنا هو « مؤتمر الكتاب » ، ووجوب توجيهه الى الطريق الصحيحة ! »

وقال « جيون » لنفسه وهو يتأملها : جميلة ، ولكنها ضحلة التفكير .. أكثر ضحالة من « شييلا » التى يقابل ابتذال أذواقهـا أنها جريئة فى الغوص فى أعماق نفسها فتكشفها دون ما خوف !.. والتفتت اليه « شييلا » ــ فى اللحظة ذاتها ــ وقالت : « ما كنت أعرف أن مهمة الكاتب معقدة بهذا الشكل ! » .. فقال : « انها ليست معقدة ، ولكننا نعقدها بالشرح والنقاش .. هيا بنا نسبح ! »

وصعد الدرجات معها ، ثم وقف أمام باب حجرتها ــ ريثما تتخذ عدتها ــ وهو يخشى أن يفقدها .. وأقبل تشارلز مانلى ــ فى تلك الأثناء ــ فخيل اليه أن نظراته تنفذ الى أعماقه .. وقال له فى نفسه : « لن أضاجع ابنتك ، فاطمئن ! » .. ثم خاطبه قائلا : « سأذهب ومس مانلى للسباحة ! » .. **وخطر له أن بوسعه أن يتزوج « شييلا » ، فاستهوته الفكرة .. الى أن أخرجته « شييلا » من أحلامه ، اذ أطلت من وراء الباب قائلة : « لن أستطيع مرافقتك ، فقد**

نسيت أمرا لابد من أدائه .. ولا أستطيع أن أحدثك به الآن ! » .. واغلقت الباب ، فظل برهة يحملق فيه ، وكأنما كان تصرفها رفضا منها لفكرة الزواج التى لم يصارحها بها !.. وتحول الى حجرته ، فارتمى على السرير !

ولا بد انه نام ، اذ تراءى له « البابون » ، والوجوه الأربعة التى تحملق فى الاتجاهات الأربعة .. وأخذت الوجوه تدور ، فاذا بها وجوه : مارى فاوست ، وسوميبون ، واليزا .. أما الوجه الرابع ، فلم يكن قد نحت بعد !

ووصل « چيون » الى قاعة المؤتمر متأخرا ، بعد الظهر ، فاستقبله تشارلز مانلى بنظراته الثاقبة ، بينما صاحت مارى فاوست : « لقد تأخرت !.. أين شييلا ؟ »

وشعر بوجهه يتضرج ببطء ، وهو يقول : « لست أدرى ، فلم أرها بعد الغداء » .. وساد القاعة نقاش غير منظم ولا مثمر ، فنهض « داس » مع « چيون » و « آدا » يجوسون القاعة ، ومعهم شاب مفرط النحول ، شاحب الوجه ، ذو عينين عربيتين .. وتطلعت « مارى فاوست » للشاب ، وقالت فى مزيج من المهاجمة والاغراء : « من أنت ؟ » .. فتأملها الشاب فى استغراق ، وكأنها شىء غريب . وقال داس : **« انها تجعلنى أشعر دائما كأننى لم أؤد ما ينبغى على ! » فقال العربى : « لعل مرجع هذا الى انك لم تتغلب بعد على عادة الانصياع للمستعمر ! » .. وهتفت « آدا » مقلدة صوت مارى : « انه الجنس ، ولا شىء غير الجنس يا بنى ! »** .

وقفزت « شييلا » اذ ذاك الى ذهن « چيون » . فساءل نفسه : لماذا أشعر نحوها بما أشعر ؟... انه ليس الجنس ، ولا كونها أوربية ؟.. اذن ، فلماذا ؟.. بينما كان العربى يقول لداس : **« انك تترجم الأحداث بتعبيرات الماضى ، أما أنا فلا ماضى لى ، وأجد الحاضر أصعب من أن أصوغه فى كلمات !.. لقد خضت حرب التحرير طيلة السنوات الثلاث**

الأخيرة ، ورأيت ما يجعل الكلمات جوفاء فارغة ، تقصر عن التعبير !)) .. وسأله ((داس)) عمن يكون ، فأجاب ((**انني جزائري .. واسمي ابراهيم مالك !))** .. فأشرقت أسارير داس ، وقال ((كان صراعكم مجيدا ..))

وفي المساء ، أعلن مسيو ((بوليه)) ـ مدير الفندق ـ أن سمو الأمير سيهانوك وجه الدعوة الى أعضاء المؤتمر ، ليشتركوا في ((العمل اليدوي)) لتمهيد طريق جديد للسكك الحديدية ، في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي .

وصعد ((چيون)) السلم ، فلما بلغ باب ((شييلا)) ، هم بأن يطرقه ، واذا به يسمع صوتا ـ خلف الباب ـ يقول : ((ليس هذا الرجل بالذات يا شييلا .. انني لم أعد أحتمل ، وسأضطر الى اجراء حاسم .. أي شخص سوى هذا المفكر الذي استهلكه التفكير !)) .. وارتفع صوت شييلا : ((**ولكني احبه يا أبي .. ما أحببت أحدا سواه)) !**

وسائل ((چيون)) نفسه : من الذي أحبته شييلا ؟ .. أهو ليدريه ؟ .. كلا ، لقد قال أبوها انه مفكر .. اذن فلهذا اعتذرت الفتاة عن السباحة ؟ واذن فهذه نهاية حنانه ، والرغبة التي ساورته للزواج منها ؟ .. كانت تحب غيره !

● ●

● **وقفت** ((اليزا)) طويلا ـ بعد ظهر ذلك اليوم ـ بين أعمدة (انجكور) ، ليلتقط لها ((بيتر)) صورا في مختلف الأوضاع .. وكان بينهما جو من التوتر ، فان علاقة ((بيتر)) بالفتى ((تينو)) تجاوزت كل ما يمكن أن تحتمله ..

وما ان اوصدت باب حجرتها ـ بعد عودتها الى الفندق ـ حتى برز لها من الشرفة شخص ، فصاحت فيه : ((ماذا تريد هذه المرة ؟.. ألم تاخذ علبة الشيكولاتة ؟.. الا تدعني في سلام ؟.. سأرحل غدا !))

ـ لقد تركتك في سلام بسنوات .. لن ترحلي قبل

أسبوع ، فقد أحتاج اليك !.. من الخير إلا تفهمى ، فان الفهم خطر عليك !

وكان الليل قد هبط .. وفى مطعم صينى بسوق البلدة ، جلست شيلا وچيون وسوميبون وجورج واستارتى واوريون ، بين فواح الأطعمة الشرقية .. وفجأة قالت اوريون : « أؤكد لك يا أماه أنه كان من المقرر حدوث انقلاب هنا بعد غد ! » .. وحاولت « سوميبون » أن تسفه كلام ابنتها ، بينما كانت « شيلا » تحتسى البيرة فى استعذاب .

وما لبثوا ان لمحوا « اليزا » تجوس خلال السوق ، تتأمل المعروضات ، فى صحبة « تشارلز » و « ريجيه » .. وهتفت شيلا : « تأملوها ! انها تحمل حقيبة اليد الكبيرة ، التى كانت معها فى المؤتمر صباح اليوم ! » .. فقالت استارتى : « ان تشبثها بالحقيبة يكاد يوحى بأنها تحمل فيها وليدا ميتا ! » .. فصاحت فيها سوميبون مؤنبة .. وفى اللحظة عينها ، وصل « داس » و « آدا تيمبرليك » والشاب الجزائرى « ابراهيم مالك » وظهر « كيلتون » فصاح بمرحه المعهود : « ها هو ذا مجتمع العقول .. أانضم اليكم ؟ » ثم تحول يدعو لجمعيته .. « جمعية الصداقة والثقة » ، التى تعمل لتوطيد الصداقة والسلام بين الشرق والغرب .. وكان يتكلم بلهجة المبشرين الأمريكيين ، غير مبال ببعض التعليقات الساخرة . وما لبث « ريجيه » أن وافاهم مع « اليزا » . و « تشارلز » .. وعاد كيلتون يقول : « هل أنتظركم جميعا فى جمعيتى ، فى الساعة الثامنة والنصف ؟ » .. ولكن الجميع كانوا يعتزمون حضوز حفلة فرقة « الباليه » بين أطلال (انجكور) .. فقال كيلتون : « تعالوا ، وسننطلق جميعا من هناك الى الحفلة ! »

وقالت اوريون لاليزا : ((عفوا يا سيدتى .. لماذا تحملين حقيبتك وكان فيها وليدا ميتا ؟!)) .. وصرخت ((سوميبون))

فى ابنتها ، بينما نهضت « اليزا » وانصرفت بسرعة ، دون ان تنظر خلفها .. وحاول زوجها أن يعتذر بتعب أعصابها . وما لبث « ريجيـــه » أن استأذن للانصراف لعمــل مهم . وضحكت « شـــيلا » فتطلع « تشـــارلز » اليها ، ثم الى « چيون » .. وعاد يشيح عنهما !

● ●

● **كان الأمير** « سيهانوك » ــ فى تلك الأثنـــاء ــ يتناول العشاء مع وفد اقتصادى أمريكى ، فى فندق (سوبريم) . وراح « مولتانى » يحوم حول المكان ، وهو يتحسس صـــدر ســترته وظهرها ــ من وقت لآخر ــ ويستشير ســاعته فى انتظار الثامنة والنصف .. فلما حانت ، غادر الفنــدق ، ووقف متسكعا للحظات ، واذا سيارة أجرة ــ لا تختلف عن مثيلاتها ــ تقف أمامه . فصعد اليها ، وقال بصوت مرتفع : « الى انجكور .. حفلة الباليه » !.. هكذا كانت تعليمات « كيلتون » !.. وانطلقت السيارة ، وحلقت به الأحلام عاليا !

وفجأة ، انحرفت الســيارة عن الطريق ، وأقبلت على « فيلا » متوارية بين أشجار حديقة تناثرت فى أرجائها أحواض الزهور .. وهبط « مولتــانى » ، فاقتيد الى بهو حجبت ستائر حريرية أضواءه عن الخارج .. وما لبث أن وجد نفسه يســاق الى حضرة الجنرال « ڤام بارونج » ، حاكم اقليم (سييمرياب) ، الذى حف به حرس مدججون بالاسلحة ..

ورحب به الجنرال ، فقال مولتانى : « بلغنى أن سعادتكم متوعك المزاج ! »

ــ بل اننى مريض .. فقــد ارتفعت نســبة الســكر فى البول ، وطار طبيبى الخاص من (فيينا) ليفحص حــالى ..

وبينما كان الجنرال يتحدث عن أهميته وامجاده ، أخــذ المحيطون به يتسللون منصرفين . ثم أقبل خادم ، فركع على ركبتيه يقدم الشمبانيا .. وبدأ « مولتانى » يتحسس صدر

سترته ، وعينا الجنرال لا تتحولان عنه . ومالبث هذا أن قال : « ان الجو حـــار ، فهات سترتك ! » .. وتقـــدم خادمان ليأخذاها . ولكن الجنرال نهض بنفسه ، وتناولها من ضيفه ، ثم غاب بها فى حجرة جانبية .. وعندما عاد ، قال له :

ـ قل لأصدقائك أن ثقتهم فى محلهـــا .. وانني أتوقع مزيدا من هذه الزيارات .. أتفهمنى ؟

وغادر مولتـــانى « الفيــلا » ، فاستقل السيـــارة ، التى انحرفت به يمينا ، نحو أطلال (انجكور) .. وفجأة ، رأى ـ على أضواء مقدمة السيـــارة ـ امرأة أشارت الى السـائق ، وسألته أن يرشدها الى « فيلا » الجنرال « فام بارونج » .. وأطل « مولتانى » ، فاذا بها « ميبل ديسبير » ..

وكانت « ميبل » ـ قبل إن تبرح الفندق ـ قد تسللت الى حجرة الطيـــار « ليـــدريه » ، الذى كان قد عـــاد من (بنوم بنه) ، تسأله ان يحمل منها رسالة الى زوجها ، عنـــد سفره الى (بانجكوك) فى اليوم التالى .

وما ان انصرفت « ميبــل » ، حتى اقبــل شخص كان يختبيء فى الحمام ، وقال للطيار : « إعطنى هذا الخطاب ! » .. وتناوله ففضه وقرأه ، ثم أعاده الى المظروف .. وقال ليدريه : « أى ضير فى رسالة من امرأة مسكينة الى زوجها ؟ »

ـ لا نستطيع المجازفة ، ونحن مضطرون لمراقبـة هذه المرأة وزوجها ، فقد نستغلهما فى شبكتنا دون أن يفطنا ..

● ●

● قال مسيو ديروليد : « لقد وصلت بطـائرة الساعة السابعة صباحا من بنوم بنه ، وأفرد لى « بوليه » حجرة .. كيف حال صديقى ريجيه ؟ » .. فقال لى ســوفان : « انه اصطحب مستر ومدام مانلى ليتناولوا الطعام فى السوق » .

وراقب الرجل « جان ديروليد » ، وهو يسير الى قاعـــة

الطعام .. كان مزارعا ، ومن اغنى أثرياء كمبوديا .. وكان قد أنقذ حياة « لي سوفان » مرة ، أثناء الاحتلال الياباني ..

وفي تلك الأثناء ، كان مطعم السوق قد خلا الا من « آدا تيمبرليك » ، و « ابراهيم مالك » و « داس » .. اذ ذهب الآخرون الى حفلة الرقص . فقالت السيدة :

ـ لنستعرض الموقف اجمالا .. أثناء جولة في الشرق الأوسط ـ منذ عامين ـ اكتشفت مصادفة حركة تهريب المخدرات ، من المنطقة الحرام ـ بين بورما وتايلاند ولاوس ـ الى بانجكوك ، وهونج كونج ، وسنغافورة ، والشرق الاوسط .. ثم الى اوربا وأمريكا . انها حركة لها طرق معينة ، ومصارف ، ومديرون ، وخط طيران « ايرافيون » .. انها اكبر احتكار على أحدث النظم ، في جنوب شرقي آسيا ، يعمل بأقل راس مال ، وأقل نفقات ، وأضخم أرباح .. **والعصابة ـ اقصد مديري الحركة ـ من الشخصيات الراقية المثقفة ، ويعيشون في برمودا ، والريفييرا ، ونيويورك ، ويعمل معهم بعض السياسيين الاسيويين الذين تساندهم الدول الغربية.. والدخل يستغل لتمويل اي شيء .. انه عصب الحروب المحلية ، كحرب لاوس .. انها حرب افيون يستغلها رجال ذوو نفوذ ؛ وجنرالات ـ في العصابة ـ لتمويل مطامعهم !**

« وهناك محطات تجميع ، وقرى تحت نفوذهم يتم فيها تصنيع الأفيون ونقله تحت ستار مشروعات « المعونة » الامريكية .. وهناك طائرات و « هليكوبترات » تهبط في أماكن من الوديان لتنقل الأفيون ، ويتقاضى طياروها مرتبات ضخمة ، ومكافآت سخية .. وهم من رجال سلاح الطيران الفرنسي السابقين ، الذين يعرفون كل شبر في المنطقة » .

وقاطعها ابراهيم مالك قائلا : « تماما كجماعة المقاومة الذين عارضوا استقلال الجزائر ، وحاولوا ارهاب ديجول ! »

ـ تماما . وان كانت هذه الجماعة الفرنسية لم تنشط

فى حـركة التهـريب الا مؤخرا ، مع أن معظم الطيـارين من انصـارها . ولعل ذلك كان راجعـا الى منافسـة المخابرات الأمريكية لها .. والى عهد قريب جدا ، كان الموكل بمكافحة المخدرات فى دولة أسيوية موالية للغرب ، عضوا بمجلس ادارة العصابة ، وعلى علاقة ودية بالمخابرات الأمريكية .. كما كان قريبا لمحافظ هذه المقاطعة ، الجنرال ڤام بارونج .

وعقب ابراهيم مالك قائلا : « هذا الكبير الذى تعنينـه مات أخيرا . كما أن كبار رجال المخابرات الامريكية هنا اقصوا عن مناصبهم ؛ فاختلت أعمـال العصـابة مؤقتا ، مما أتاح للمنظمـة الفرنسية دخول الميدان .. ولها أنصـار بين كبار رجال الأعمال الفرنسيين فيما كان يعرف بالهند الصينية . فان هؤلاء نزحـوا الى كمبوديا ــ بعد (ديان بيـان فو) ــ ومعظمهم من ڤيتنام ، لأنهم لم يقووا على مزاحمة الأمريكيين ، ولأن حرب العصـابات قامت . **والصراع حاد بين فرنسا وأمريكا من أجل المصالح . وكما حدث فى الجزائر انضم كثير من فرنسيى المستعمرات السابقة وضباط الجيش الفرنسى الى الشبكة الدولية التابعة لمنظمة المقاومة ضـد الديجولية ،** وقد استولت الشبكة على حركة تهريب المخدرات فى آسيا . وفى كمبوديا شخص يدير العملية فى الخفاء . وتستخدم الشبكة أناس أبرياء ، يحملون المخدرات دون أن يدروا » !

وقالت آدا : « مثل شييلا ! » .. فقال داس : « أجل . أعطاها شخص من بانجكوك ــ حين استقلت الطائرة الى هنا ــ علبة شيكولاتة » .. فقال الجزائرى : « **وكانت كل قطعـة تضم قرصا من الهيروين ، مما يجعل قيمـة العلبة ٢٥٠٠٠ جنيه استرلينى . ولم تصل العلبة الى الشخص المقصود ، الذى كان من عملاء الجنرال ڤام بارونج ، بل ان العلبة التى سلمتهـا « شـييلا » احتوت على شيكولاتة حقيقية .. فهل اكتشفت شييلا الهيروين ، أم ان شخصا من عملاء الشبكة**

الفرنسية بدل العلبة دون أن تدرى ؟.. أعتقد أن الافتراض الأخير هو الأصح ! »

قالت آدا : « أن شيلا فى خطر ، من العصابة ومن المنظمة .. من حسن الحظ انك اتصلت بنا فى وقت مناسب » .

● ●

● **استلقت** « اليزا » على فراشها مضطربة ، ثم طلبت « بيتر آمنستى » تليفونيا ، فقيل لها أنه فى حفلة الرقص ، وأن مسيو « ريجيه » ينتظرها فى بهو الفندق .. وغشيها خوف غريب ، ثم تمالكت نفسها وهبطت اليه .

وكان « ديروليد » قد لمح « ريجيه » فاقترب منه يحييه ويجاذبه الحديث حتى وصلت « اليزا » ، فقدمه اليها « ريجيه » . وما لبث « ديروليد » أن استأذن ، على موعد مع « ريجيه » فى الصباح التالى ، فى المتحف .

وقال ريجيه بعد انصرافه : « لقد أسرعت بالحضور حين رايت مدى استيائك » فقالت اليزا : **« الواقع أن كلمات الطفلة أثارت حزنى ، فانى فقدت طفلا وليدا !.. أرجو أن تنسى ما حدث . الواقع اننى احمل كل مجوهراتى فى هذه الحقيبة ، لأننى شديدة الخوف من السرقة ! »**

وكان الأصدقاء الآخرون قد انصاعوا لالحاح « كيلتون » فذهبوا الى حفلته .. كانت ثمة فتاة هزيلة القوام ، ذات نظارة ، تعزف على « البيانو » بيدين كيدى الرجل . وراحت « شيلا » تغنى وتصفق وتضحك كطفلة ، ففاض حنان « چيون » .. وكان ثمة عدد من الصينيين اليافعين ، وثلاثة من الكمبوديين مع زوجاتهم .. واحضرت « ميزى » ــ عازفة البيانو ــ علبة شيكولاتة ، قدمتها الى الحضور ، فهتفت شيلا : « أراك تحصل على الشيكولاتة من بانجكوك يا مستر كيلتون » .. فقال : « الواقع أن البريد حملها الينا اليوم ،

هدية من شخص مجهول ! » .. كانت العلبة تشبه تلك التى حملتها شييلا من (بانجكوك) !!

يوم الثلاثاء :

● دبت الحركة فى فندق (سوبريم) منذ ساعة مبكرة ، وقد تأهب النزلاء لتلبية دعوة الأمير « سيهانوك » للمشاركة فى تمهيد الأرض لمد السكك الحديدية ، فارتدوا أقدم ثيابهم .

واقبلت سوميبون وزوجها وابنتاها ، تصحبهم « شييلا » التى حملت الطفل الصغير ـ ابن سوميبون ـ فى ابتهاج الصبية بدمية جميلة .. واتجه اليها « چيون » وقد نسى كل من كانوا حولهما ، فقالت : « ان الصغير متوعك اليوم ، وسأبقى به قليلا ، ثم الحق بكم ! »

وفى منطقة المشروع ، احتشد أكثر من خمسة آلاف ، من رجال ونساء وأطفال ، ومن مواطنين وضيوف أجانب .. حتى راقصات فرقة « الباليه » الملكية ، وحتى الراهبات البوذيات .. وكان المرح يسود الجميع . وما لبث أن أقبل الأمير « سيهانوك » بنفسه ، فى طائرة « هليكوبتر » ، فلما هبط ، تدافع الكبار والصغار من أبناء شعبه حوله ، فأخذ يحييهم ويداعبهم ..

واقبل الجميع ـ رجالا ونساء ، وزراء وقادة ومغمورين ـ يخوضون حفاة فى حقول الأرز الموحلة ، يمهدون عرض الطريق الذى ستمد عليه القضبان الحديدية .. وأخذ الأمير يعمل معهم ، مما أذكى روح « چيون » وتشارلز وجورج ، وألهب حميتهم .. وارتفعت الموسيقى والأغانى فى الجو ، تتخللها الصيحات والضحكات .. وما لبثت « سوميبون » أن تعبت ، فجلست على حافة الطريق ، ولحق بها « چيون » ..

واقترب اذا ذاك قس من « الجيزويت » يسأل عن جورج ، فأرشدته سوميبون اليه ، ثم قالت بعد انصرافه : « انه الاب أودوديه .. ترى لماذا يريد جورج ؟ » .. وسرعان ما عاد القس برفقة جورج ، الذى ذكر لزوجته انه ذاهب لاحضار « شييلا » والطفل ، مصاحبا القس .

● ●

● سار « چيون » الى حيث كان « يولونج سيراب » ، فبادره هذا قائلا : « ان الماضى — فى يقينى — يعود فى أوقات .. ولقد التقيت واياك فى الماضى ! » .. والبوذيون يؤمنون بتناسخ الأرواح ، وقد أحس « چيون » فجأة بأنه شهد مثل هذا المنظر من قبل .. فقد رأى فى أحلامه انه كان بين العمال الذين شيدوا (انجكور) .. وجعله غناء الفلاحين — الذين كانوا يساهمون فى تمهيد الطريق — يتمثل مرأى العمل فى (انجكور) ، فشعر كأنه يحيا فى أفقين مختلفين فى آن واحد .. وكان صوت « يولونج سيراب » ينبعث عذبا ، مغريا : **« كنت راهبا فى انجكور ، قبل اكتمال بنيان (البايون) .. أسبح على أجنحة الزمن الى الماضى .. كنا متعارفين منذ سبعمائة سنة ، واعتقد اننا التقينا الآن لغرض ، فهناك شر يدبر .. ان « شييلا » فى خطر ، وعليك حمايتها .. لا لأنك تحبها ، وانما لتكفر عن الماضى .. فهى قد ماتت منذ قرون بسببى وبسببى ، فعلينا حمايتها الآن ، لنصلح الماضى ! »**

وكان « چيون » يصغى مشدوها ، ثم تساءل عن الخطر الذى يهدد شييلا .. وجاءه الجواب : « لست أعرفه بعد . تذكر أن الحافز الصائب والنية السليمة ، هما أهم الأمور . لا تنس هذا ! » .. ولمح « چيون » الفتاة تهبط من سيارة مع جورج . ولمحته هى فلوحت له . وسبقه قلبه اليها .. ظل « چيون » ممسكا بيد « شييلا » طيلة طريق

العودة . . ووجدا « اليزا » تجلس فى ــ بهو الفنــدق ــ مع « ليدريه » ؛ ورجل مليح ؛ عريض الكتفين ؛ نحيل الخصر ؛ لم يكن « چيون » قد رآه من قبل ؛ فقدمته « اليزا » اليه . . ذلك كان مسيو « ديروليد » . واتجه « چيون » والفتاة نحو السلم ؛ ليصعدا الى حجرتيهما فيغتسلا ويستبدلا ثيابهما . .
وقالت شيبيلا : « هل لاحظت أن اليزا مكفهرة المحيا ؟! »
وراح الجميع يرقصون ــ فى ذلك المساء ــ فى الفندق ؛ الا « چيون » ؛ فقد أخذ يرقب « شيبيلا » وهى تراقص « ديروليد » ــ معظم الوقت ــ فشعر بأنه يكرهها ؛ ويكره نفسه ؛ ويكره « ديروليد » . . وأسرف فى تناول الويسكى ؛ كأسا بعد كأس ؛ وهو يدرك أن سنه لم تعد تسمح له بالافراط فى الخمر . . **ولكنه كان يشعر بأنه قد ضـاع ؛ اذ ثقل عليه الاحســاس بالعمــر ؛ وادرك انه لم يعد يستطيع ان يتقــدم فينتزع « شيبيلا » من ذراعى « ديروليد » ويدور بها المكان رقصا دون كلل !**
واقبلت مارى فاوست تقول : « لا اثر لسكرتيرتى . لقد تركت حقيبتها ؛ ولكن جواز سفرها وحقيبة يدها غير موجودين ؛ فلابد أنها رحلت . . لقد أوفدتها مساء أمس للقاء شخصية كبيرة ؛ فاما أنها سافرت دون اذن منى ؛ واما أن حادثا أصابها ! » . . وسألها داس : « الى من أوفدتها ؟ » .
ــ الى الجنرال ڤام بارونج ؛ محافظ الاقليم . ولقــد اتصلت بقصره تليفونيا ؛ فقيل انه لا يقابل أحدا لأنه مريض . . وقال ياوره انه لم يسمع قط بسكرتيرتى . . لابد أنها عادت لزوجها . . بالسيارة ان لم تكن بالطائرة !
وانسحب « چيون » الى حجرته ؛ وهو يشعر بسخط على « شيبيلا » ؛ فاطفأ النور ؛ وارتمى على فراشه . . ونام !

● قال ريجيـــه لكيلتون : « لا بد من أن أجد الشيء المفقود ! » .. فالتفت الرجل الى ليدى آدا ، قائلا : « انه يعتقد أنني سرقت احدى تحفه الأثرية .. انهم دائما يلقون اللوم على الامريكيين ! » .. وهز « ريجيه » كتفيه ، ونهض مبتعدا . وفى اللحظة عينها ، اقبل « مولتاني » على كيلتون ، وصاح : « اسمع ، لقد ضاع ! » .. والتفت « ريجيه » ، فراى كيلتون ينقض على مولتاني . وبسرعة دس اصبعين فى فمه ، وارسل صفيرا حـادا .. وانقض رجال من الكمبوديين ، من كافة ارجـاء القاعة .. وسرعان ما كانت الأغلال حول معصمى كيلتون ، ومعصمى مولتاني !

وقالت مارى فاوست : « ماذا فى الأمر ؟ » .. فقال ليدريه : « اظن ان ريجيه يرتاب فى ان كيلتون سرق تحفة أثرية .. ولعل لمولتاني يدا ! »

ودعاها « ديروليد » للرقص ، ولكنها اعرضت فى خشونة .. وكانت « شيبلا » تقول : « سرقها كيلتون واعطاها لمولتاني ، الذى اخفاها فى حقيبة آلة التصوير .. وها هى ذى سرقت منه ! » .. فقال ديروليد : « انك بارعة فى الأبحاث الجنائية » !.. فصاحت : « بل لى عينان تلاحظان .. كما حدث لعلب الشيكولاتة ! »

وتحول « ديروليد » الى مارى فاوست مرة اخرى .. وفى هذه المرة ، نهضت تراقصه فى شمم وتعال !

● ●

● استيقظ « چيون » فاذا ضوء القمر يغمر الحجرة ، و « شيبلا » تقف بجـــوار سريره . ورفع الكلة (الناموسية) ، وقال : « ما كان ينبغى ... »

كانت الساعة الثانية صباحا ، والموسيقى لا تزال تنبعث فى الفندق .. وجلست امامه نضرة ، متالقة ، وفى يدها الكأس التى قدمها لها .. وقالت : « جئت أخبرك ان اليزا متورطة فى امر ، ولا بد ان أعرفه !.. هل تتذكر قول اوريون انها تتشبث بحقيبتها وكان فيها وليدا ميتا !.. هناك أمور كثيرة تجرى هنا فى الخفاء . ولست غبية كما يظننى الكثيرون !.. كان عبير اليزا فى حجرتى .. »

لكم لام « چيون » نفسه ـ فيما بعد ـ لانه لم يصغ الى حديثها .. فقد تولاه شبق غريب ، لا عهد له به !.. انها ضاجعت ليدريه ، وربمـا ديروليـد ، وكثيرين غيرهما ، فلم لا يكون له نصيب ؟.. وكانت ماضية فى حديثها : « لقد نسفت اليزا شبابى .. كانت أمى اختها .. لو اننى اهتديت لخيط واحد ، لتجلى كل شيء .. اننى اتمنى احيانا ان اغدو

راهبة ، ولكنى — فى كل مرة — اذهب الى فراش رجل .. غير اننى اعرف كل ما يجرى .. كموضـــوع علبة الشـيكولاتة ! .. ولكنك تضيق بى ، ولا تصغى الى ... » !

وانخرطت فجاة فى البكاء .. وحاول أن يواسيها ، فصاحت : « انك عديم الانسانية .. كل ما تهتم به هو عفتك واستقامتك ! »

وكان يدرك ان قولها صحيح ، فزاده هذا هياجا .. ودفعهـــا الى السرير ، وفى اعماقه صوت يهتف داعيا الله الا يدعه يحقق ما كان يبغى .. وكانت « شيبلا » تئن ، وهى موزعة بين محاولة صده عنها ، وبين اشتهاء ما كان يعتزم .. وخيل اليه انه استرد فحولته ، ولكن صوتا كان يهمس فى أذنيه بالرثاء .. وكانما فى اعماقه نفس أخرى أدركت ان شرا يرتكب !

يوم الأربعاء :

● استيقظ « چيون » والشعور بالاثم يثقل ضميره ، وعبير « شيبلا » على يديه .. وكانت الشمس قد اشرقت ، والساعة تجاوزت الثامنة . وشعر للقهوة بمرارة فى حلقه .. كل شىء اصبح يتعبه ، حتى عضلاته كانت متيبسة ، فقد نسى حكم السن على الجسم .. واخذ طيف « شـــبيلا » يتراءى له كفهد اسود يريد أن يمزقه !.. ما اقسى نهوضها فى صمت بارد ، بعد تصرفه ، وخروجها دون أن تنظر اليه !

وكانت امتعة الراحلين تملا بهو الفندق .. وسار چيون وتشارلز الى خارج المبنى ، فاذا الأب يلقى نظرة قلقة نحو النـــوافذ .. كانت نافذة « شبيلا » هى الثالثة الى اليسار ، وكانت لا تزال مغلقة !.. وسارا الى حديقة المتحف — الذى كان يقع فى مواجهة الفندق — فلمحهما « ريجيه » من نافذة مسكنه الملحق بالتحف ، ودعاهما الى تناول القهوة معه .. وقال : « لعلكما سمعتما بالفضيحة . لقد افرجوا عن كيلتون ومولتانى فى الحال .. سأسافر الى (بنوم بنه) لاثير المسالة !.. ان محرك الطائرة — الذاهبـــة الى هناك — اصيب بعطب ، وقد تبقى يوما ريثما تصل قطعة غيـــار من بانجكوك . لذلك سأسافر بالســـيارة .. انها تستغرق خمس ساعات أو ستا ! »

وساله تشارلز عن جلية الأمر ، فقال : « لقد عثرنا فى حفائرنا اخيرا على حزام نادر من الذهب الرقيق ، المنقوش بالحفر ، طوله حوالى خمس وثلاثين بوصة .. وهو يحمل أجمل النقوش المنحوتة فى الذهب ، ويرجع

عهده الي القرن التاسع ، وتساوى قيمته رقما خياليا !.. وانى لموقن من ان كيلتون سرقه . فعندنا شاب وقع فى هوى احدى فتيات جمعية كيلتون .. وكيلتون اغرى الشباب بسرقة الحزام الثمين ، وحمله اليه .. ولقد تزوج الفتى والفتاة ـ بعد ذلك ـ وافضيا لى بالقصة .. وانتهزت الفرصة ليلة امس ، ولكن لكيلتون أصدقاء فى مراكز رفيعة .. ولكن لى اصدقائى أنا الآخر ، وساصطحب العروسين الى (بنوم بنه) لكى لا يصابا بسوء اذا شهدا بما جرى ! »

وود « چيون » ـ فى طريق العودة ـ أن يقول لتشارلز : « انني أحب ابنتك واريد ان أتزوجها ! » .. ولكنه ظل صامتا . حتى اذا بلغا الفندق ، انتظر حتى غاب تشارلز فى حجرته ، ثم أخذ يطرق باب « شبيلا » .. ولكنه لم يتلق ردا ..

● ●

● قال ليدريه لريجيه : « أتذهب الى بنوم بنه لتبلغ عن السرقة ؟.. اسمع ، كلانا فرنسيان ووطنيان ، وقد رأينا اسم فرنسا ومجدها يمرغان فى الوحل .. »

وكان ريجيه يصغى فى تكلف وحذر ، فقال : « لقد كنا اغبياء .. اهذا حوار سياسى ؟ » .. فأجاب ليدريه : « كلا . انما اريد أن اعرف آراءك وما تؤمن به » .. وكان جواب ريجيه : « لست اؤمن بالمجد ، انما اؤمن بالبشر .. وبالمساواة والأخوة والحرية للغير ولنفسى .. ان الحرية لم تكن من الأشياء التى اعطيناها للاسيويين ! »

ـ وفرنسا ؟.. فرنسا الغد ؟.. اننا لسنا وحدنا ، وقد آن أن نضع حدا لهوانها فى كل مكان ..

فأجاب ريجيه : « اننى مع العدالة . فلنكف عن أن ننظر الى الخلف ! » .. وفى بطء ، راح ليدريه يقول : « اننا أقوياء .. وهنا فى كمبوديا نحن أقوياء ، ولن نسمح بان تمرغ فرنسا فى الوحل ثانية !.. واذا لم تفكر كما نفكر ، فاحرص على أن تفعل ما نسالك فعله ! »

ـ اننى ارفض .. ماذا غيرك فجاة يا ليدريه ؟.. ما عهدتك هكذا ! هل تسلط عليك شخص ما ، ووعدك بوعود ؟.. انها لعبة خطرة !

ـ اننى وجدت نفسي ، وقدرى .. قدر فرنسا !.. هل ترفض ان تساعدنا ؟.. ان لنا أسلوبا مع الخائنين ! .

● ●

● كان « چيون » يجلس شارد البال ، يتامل الوجوه حوله ، بينما كان « يولونج سيراب » يلقى خطابه فى مؤتمر الكتاب ، عن البوذية

والجياد . وما لبث « جيون » أن تسلل الى حجرة « شيلا » .
كانت الحجرة مظلمة حارة ، و « شيلا » فى كامل ثيابها ..
وهتف : « لا احتمل أن تكون العلاقة بيننا هكذا يا شيلا .. أرجوك ، اننى اريد أن اتبين الحقيقة » .. فصاحت بصوت مرتفع : « لماذا ؟.. انت تحبنى ؟ » .. وقلبت شفتها اشمئزازا عند ذكر الحب ، ثم ضحكت قائلة : « ارجوك أن تنصرف ، ولا تزعجنى ! »
وكان الاجتماع قد انفض ، فانطلقت : « آدا » و « داس » يبحثان عن « جيون » .. ووجداه يغادر حجرة « شيلا » ، فاصطحباه الى قاعة الجلوس .. وبينما كانوا فى انتظار اقداح الشاى ، قال داس : « حان الوقت للحديث اليك .. بصدد شيلا ! » . فقال فى أسى : « انها تابى أن تكون بيننا اية علاقة ! »
وقالت آدا : « اهذا بسبب ليلة امس ؟ » .. فتطلع بقنوط ، وقال : « كل امرىء فى هذا الفندق يعرف كل ما يجرى ! »
قال داس : « اصغ الى .. هناك مؤامرة سياسة ، ولا بد انك تعرف ان جياد كمبوديا يثير اعصاب فريق من الناس .. هناك عملاء يتكسبون عيشهم من اثارة القلاقل .. انظر الى لاوس ! هناك حرب حقيقية ، ولكن الذى يهمنا ـ ويهم صديقنا الجزائرى بالذات ـ هى الناحية المتعلقة بالمخدرات . وقد كان على « شيلا » أن تنقل صندوق شيكولاتة .. به ما قيمته خمسة وعشرون الف جنيه استرلينى من الهيروين ، من بانجكوك الى هنا . ولكن الصندوق اختفى . ونعتقد أن منظمة الفرنسيين السرية استولت عليه . فحيث يوجد فرنسيون ، يوجد انصار لها !.. ورأينا ان ننبه شيلا .. ونحميها ! » .
وبدأت الكلمات تنتظم صورة فى ذهن « جيون » .. أجل ، تحدثت « شيلا » عن صندوق شيكولاتة .. وفى جمعية كيلتون . ولقد انذره « يولونج » بأنها مهددة . وحاولت هى أن تكلمه ـ ليلة أمس ـ فلم يصغ لقولها !
وقالت آدا : « انها فتاة جميلة ، بريئة .. لم يعتن أحد بها ، فضلت الطريق .. ولكن تورطها الآن جريمة ، قد تودى بحياتها ! »
وقال جيون لنفسه : « انا الآخر قتلتها ! » .. واندفع الى حجرتها ، وراح يناديها .. ولكن الباب كان مفتوحا ، ولم تكن بداخل الحجرة ..

● ●

● كانت القرية صغيرة ، تقوم فى نهاية طريق متعرج .. وفى طرفها الأقصى معبد صغير ، على منصة حجرية ، بجوار أطلال معبد قديم ..

وعلى مقربة ، قام بيت « يولونج سيراب » المشيد من الخشب . وامام المعبد ، جلس تشـــارلز مانلى مع الأمير الكاهن ، الذى كان يقول له : « ستاتى ابنتك الى هنا .. لا بد ان نشفيها . كلاكما مريضان ، ينخركما الحقد والألم !.. هناك خطر ، وچيون يحب الفتاة ! » .. فقال تشارلز : « انه آذاها ، كما فعل سواه .. بل ان ايذاءه اشد ، لأنها تحبه .. وهو فى الاربعين ، وهى فى الحادية والعشرين ! »

ـ وا اسفاه ، اذ يكرر الماضى نفسه !.. لقد خلط چيون حركة الجسم بشعور الحب . ان ابنتك ستاتى ، فلننتظرها !

فى تلك الأثناء ، كان « ديروليد » يلج حديقة المتحف .. ووجد ريجيه يجلس الى عجلة قيادة سيارته ، فصاح : « يبدو اننى لحقت بك فى اللحظة المناسبة يا صديقى .. ما من طائرة اليوم الى (بنوم بنه) ، كما ان الخط التليفونى مختل ، فهل تحمل رسالة منى الى زوجتى ؟ »

وكانت « سوميبون » ـ فى تلك اللحظة ـ تبدى لزوجها دهشتها من التآلف الذى دب بين « مارى فاوست » و « ديروليد » .. وقال جورج : « هناك امر واحد لم نشغل به .. ميبل ديسبير . ماذا جرى لها ؟ »

وكان « يولونج » يحدث « تشارلز » عن عودة الماضى .. ثم قال : « لا يقوى على انقاذ شييلا سوى چيون ، فكف عن كراهيتك اياه !.. اننى وچيون قتلنا « شييلا » فى الماضى ، عندما لم تكن « شييلا » .. چيون قتلها غيرة ، وانا قتلتها من حب .. كنت اخا غير شقيق لها ـ اذ ذاك ـ وقد احببتها اكثر من حب الاخوة ، ولكن كتمت شعورى ، حتى عن نفسى .. وكانت متزوجة من رجل يفوق اباها سنا ، واتخذت من « چيون » عشيقا .. وقد قتلناها باسم الفضيلة ! »

واقبل ـ فى تلك اللحظة ـ « چيون » ، فقال الكمبودى : « لا شك فى ان شييلا قادمة ! » .. وصاح چيون : « شييلا رحلت .. مع ريجيه ! »

والتفت « چيون » الى تشارلز ، فاذا وجهه مكفهر ، ويده على صدره . فقال له : « هل كنت تعلم بان ابنتك فى خطر ؟.. وانها متورطة فى تهريب المخـدرات ؟ »

ولم يجب تشارلز .. بل ترنح وانكفا على وجهه !

وكان « چيون » قد ذهب للمتحف يسال عن « ريجيه » ، فقيل له انه مسافر الى (بنوم بنه) بالسيارة . وقاده خادم الى المكتب الخاص لأمين الآثار ، ليطلعه على عناوين الأماكن التى يستطيع العثور على « ريجيه » فيها ، حين يكون فى العاصمة . ولاحظ « چيون » مظروفا على الأرض ، فالتقطه ـ بحركة تلقائية ـ ووضعه على صفحة النشاف ، على المكتب ..

وانصرف الى الفندق ، وهو ساخط على « شيبيلا » ، اذ اوحى اليها الجنون أن ترحل مع « ريجيه » .. اذن ، فهو الرجل الذى كانت تحبه ؟.. وما ان بلغ الفندق ، حتى سأل « لى سوفان » أن يستدعى سيارة اجرة لنقله الى (بنوم بنه) !

وكانت « اليزا » ـ فى تلك الأثنـــاء ـ تستحث « بيتر آنستى » ان يتعجل التقاط صور لها عند (البايون) ، وتحت الوجوه الأربعة ، فى مختلف الأوضاع والأزياء ..

● ●

● أخلد نزلاء الفندق الى القيلولة ـ بعد الغداء ـ اللهم الا « مارى فاوست » التى وقفت فى مخدعها ، تتأمل صورتها فى المرآة ، وتبدل ثيابها ، وهى تشم عبير سيجار الرجل ـ الذى كان ينتظرها فى حجرة الجلوس الملحقة بالمخدع ـ ممتزجا بالعطر الذى سكبته بين ثدييها .. ذلك لأن الانفعال الجنسى ـ الذى كان ينتحل مظهر الجاذبية الثقافية والفكرية ـ أوحى اليها باستعدادات غريزية !.. وما كان « جان ديروليـــد » ـ الجالس فى انتظارها ـ يتصور ان له جاذبية استجابت لها « مارى » .. وكان جهله هذا بمفاتنه ، يزيدها انبهارا ، ويذكى من رغبتها فى أن تسيطر عليه ، وتجعله شخصا آخر . فقد كانت غايتهما واحدة ، وان تعارض طريقاهما .. كانت غايتهما السلطان ، والنفوذ الشخصى !

وسارت فى خطوات تكشف عن رشاقتها الى الشرفة ، فنهض وأمســك برسغها ، وقال : « لسوف أنالك ! » .. قالت : « لا تكن سخيفا ! »

ودفعها الى الأريكة ، وانقض عليها . وصرخت ، ولكنه لم يكن صراخا عاليا . وحاولت أن تعضه ، فجذب شعرها .. لم يكن من سبيل لصـد الرجل الذى اثارته فى هذه المرة . لقد اعتادت ان تنتصر وتسيطر على الرجل وتتركه يتحرق شهوة ، متظاهرة بالعفة والفضيلة .. ولكنها ـ فى هذه المرة ـ كانت مضطرة الى الانصياع ، وهى تتظاهر بالمقاومة ، فاذا حركات العنف تزيدها غواية .. وصفعها الرجل مرة ، ثم أخرى .. وشرعت تبكى ـ بكاء حقيقيا ـ وهى كسيرة الجناح مهينة .. ومع الألم سرت اللذة ، واخذت تقوى حتى اضطرتها للصراخ .. ولكنه كان صراخا من نوع آخر !

● ●

● قالت آدا : « انا فى حال أشبه بالتوتر الناعس ! » .. وكانت تجلس فى حجرة « داس » مع ابراهيم مالك .. وقال داس : « من المفنى الا يجرؤ المرء على عمل شىء ، خشية أن يسبق عملا آخر فيفسده ! » ..

وقال ابراهيم : « صديقنا داس يهيم بمارى فاوست ، واحسبه حاول ان يضاجعها فصدته ، وثبت فى نفسه الشعور بالذنب !.. ما اقوى مفعول الجنس فى السياسة ! »

وما لبث أن قال : « اننا ذاهبون الى الفلكى الآن .. هكذا تسير الامور هنا .. لا عمل بدون استشارة النجوم ، فما بالك اذا كان العمل حربا ! »

فى ذلك الأصيل ـ وفى الساعة الرابعة والنصف ـ تم اصلاح الطائرة الذاهبة الى (بنوم بنه) ، وتقرر اقلاعها بقيادة مساعد الطيار ، اذ آثر « ليغريه » البقاء فى فندق (سوبريم) لانحراف صحته .. واعتذر « يولونج سيراب » عن تخلفه عن جلسة مؤتمر الكتاب ، لأنه كان الى جوار سرير صديقه « تشارلز مانلى » فى المستشفى ، فانفض اجتماع المؤتمر ..

وفيما كانت « مارى فاوست » منصرفة ، استوقفها شاب أسمر ، يحمل حقيبة وسترة جلدية ، فهتفت : « توماس ! ؟ » .. وبادرها الرجل قائلا : « اين ميبل ؟ أين زوجتى ؟.. لو اصابها سوء فسأقتلك .. يقينا ! »

وسار « داس » و « آدا تيمبرليك » مع توماس ديسسر الى مكتب استعلامات الفندق ، وقالا لمستر لى سوفان : « أليس من الممكن أن نقابل المحافظ ، فان زوجة هذا الرجل اختفت ، وهى فى طريقها الى قصره ؟ .. اتصل به ، وقل أن وفدا من الكتاب يبغى مقابلته ! »

وغاب « لى سوفان » برهة ، ثم عاد يقول : « ان السيد الجنرال مريض ، ولكنه سيستقبل الوفد لعشر دقائق ، استجابة لالحاحكما ، ولأن النجوم موالية ! »

وعندما وصل وفد الكتاب الى قصر المحافظ ، اقتيدوا الى الداخل ما عدا مسز فوميكارو ، التى قررت أن تبقى بالخارج لتصور جوانب القصر .. وفحصت المكان ، ثم عبرت الى جانب الطريق المواجه للقصر ، لتختار زاوية لالتقاط صورة شاملة ، واذا غلامان صغيران ، فى أسمال بالية ، يتابعانها .. وقال أحدهما بلهجة غامضة : « هناك امرأة تبكى .. امرأة من الفندق ! »

وانزعجت مسز فوميكارو ، وتساءلت عن مكانها ، فقال غلام : « فى قبو تحت القصر ! » .. وجمدت اليابانية برهة ، ثم سارت الى السيارة التى اقلت الوفد ، ووقفت ترمق القصر مهمومة ، ترتقب عودة زوجها ، الذى كان ـ فى تلك الأثناء ـ قد ولج مخدع المحافظ مع زملائه .. وكان الجنرال يرقد فى سرير هائل ، موشى بنقوش ذهبية ، فى حجرة بادية البذخ !

وبينما كانت « مارى فاوست » تروى قصة سكرتيرتها ، اقبل الخدم بأقداح الشمبانيا .. وقال المحافظ : « ان واجبى ومسئوليتى أن أرد

السيدة اليك والى زوجها . لم تقع عندنا جريمة قتل واحدة منذ ثلاث سنوات ! » .. ثم ضغط زرا بجوار الفـــراش ، وقال : « حان موعد الدواء .. لقد انهكت نفسى فى خدمة بلادى ! »

● ●

● قال سائق سيارة الأجرة لچيون ، وهو ينطلق به : « لـماذا تريد الذهاب الى بنوم بنه .. الأجل الشقراء التى كانت معك فى اول يوم ، وكانت تبكى وأنتما عائدان من معبد انجكور ؟ » .. وأردف ردا على دهشة چيون : « كل سائقى السيارات يتبادلون الاحاديث ، فنحن اخوة !.. ونحن الخميريين نحب مســـاعدة الناس فى الضائقات .. هل هربت الحسناء مع احد ؟ »

ـ انها ذهبت الى (بنوم بنه) مع مسيو ريجيه .. لم تهرب معه !

ـ هناك نقطة مراقبة على الطريق ، تسجل ارقام السيارات واسماء ركابها ، لحصر عمليات تهريب الأفيون .. فلنسـال هناك !

وفى نقطة المراقبة ، كانت فى انتظارهما مفاجاة .. فقد آكد الشرطى أن مسيو « برنار ريجيه » لم يمر فى الطريق اطلاقا ..

وقال « بوك » ، سـائق « التـاكسى » الذى أولى « چيون » صداقته واعتبره اخا : « لعله اخذ السيدة عن طريق أطلال بانتياى سراى .. انها طريق وعرة . ارى يا أخى چيون أن نعود منها ، ونحشد جهود القوم .. اقصد اخوتى سائقى السيارات ، ليعاونونا فى البحث ! »

وسرعان ما كان كل سائق قد جعل من نفسه رقيبا ، يبحث عن « برنار ريجيه » و « شييلا مانلى » ..

وعاد « چيون » الى الفندق ، فرأى « ديروليد » يجلس فى المشرب .. وجلس هو الآخر ، وطلب كأسا وشطيرة .. واقترب منه « لى سوفان » ، وقال : « ان مسيو ديروليد صديق حميم لمسيو برنار ، فلعله يساعدك » .. ونظر اليـه « ديروليـــد » فى ود ، وقال : « لقــد كان ذاهبـــا الى (بنوم بنه) فى الصباح .. وقد أعطيته رسالة لزوجتى ! »

● ●

● كان « ابراهيم مالك » يعرف أن الفلكى ـ ككل زمـــلائه فى الشرق الأقصى ـ يتجسس أنباء الناس ، ويبيع معلوماته ، فاصغى للرجل :

ـ ان فلكى الجنرال تنبأ باليوم المناسب .. انه الغد ، ولن يحول دون الجنرال وتنفيذ ما يعتزم ، سوى كارثة .. ولهذا ، فقد زايل المرض الجنرال !

وأجزل ابراهيم العطاء للرجل ، ثم غادره متبعا أساليب رجال المقاومة وحرب العصابات .. اذ تعمد أن يراه الناس فى عدة أماكن . وما لبث أن لمح « اليزا » تسير وحيدة ، وكأنما أثقلتها أعوام العمر فجاة .. فلما تأكد من أن احدا لا يتعقبها ، انطلق فى اثرها ..

وكانت السهرة فى الفندق غير موفقة ، فى ذلك المساء ، اذ كان معظم النزلاء قد رحلوا .. فانفضت فى الحادية عشرة ..

واخذت مسز فوكيمارو تروى لزوجها همسا ـ فى مخدعهما ـ ما سمعته عن السيد التى تبكى ، فى قبو قصر المحافظ .. وحاول الرجل فى البداية تجاهل الامر ، ثم غلبته العاطفة .. واخذا يستعرضان أسماء الاشخاص الذين يمكن اللجوء اليهم ، فاجمعا على الوثوق بالاميرة « سوميبون » ، ونهضا لفورهما يسعيان اليها .. فاذا هى وأسرتها قد اختفوا !

وكان « ديروليد » ـ فى تلك الاونة ـ شبه عار ، فى حجرة « مارى فاوست » . وكانت تقول له : « انت وانا خلقنا لنحكم الاخرين ! .. ليس اقتناعا بافضلية عنصرية ، وانما ايمانا بافضلية فردية ! »

● ●

● فتح « داس » باب حجرته ، على اثر طرقات ايقظته ، فاذا « جوان واربرتون » ـ سكرتيرة الشلى بازيلدون ـ تقع بين ذراعيه عارية .. وحملها الى احد سريرى حجرته ، وهى تبكى وتشهق بانفعال ، فغطى جسدها العارى .. ومن بين تهنهتها ، فهم أن « بازيلدون » اصطحب فتاة كمبودية الى مخدعه ، وقابل احتجاج سكرتيرته ـ وخليلته ـ بأن مزق ثيابها ، وطردها !

وكان الليل قد انتصف .. وكان « چيون » قد عثر على « شيلا » .. فبمعونة « بوك » ـ وزملائه سائقى سيارات الأجرة ـ عثر « چيون » على « ريجيه » ميتا فى سيارته التى اصطدمت بشجرة ، فى طريق شبه مهجور .. وكان أعظم ما حير « چيون » و « بوك » ، أن « شيلا » لم تكن فى السيارة ، وان آثار العجلات فى الطريق لم تكن متتابعة فى خطين متوازيين ، بل كانت ثلاثة خطوط ، تتعارض احيانا ، وتتفرق احيانا ..

واقترح « بوك » أن يتتبعا آثار العجلات ، فاذا بها تقودهما الى (البايون) .. وكانت تبدأ من وراء المعبد .. وفى الطريق ، سلط « بوك » الاضواء الأمامية على العلامات ، ثم قال : « انها لسيارة نقل مقفولة ، وسيارة عادية صغيرة .. اثنتان ! »

وواصلا البحث .. وقبيل المعبد بقليل ، صاح بوك : « يا للغباء ! .. كيف

فاتنا هذا من قبل ؟ .. من هنا اقبلت سيارة النقل ، ولعلها من سيارات عمال المتحف ، فهم يشتغلون هنا ، وراء شرفة الفيلة .. وهم يحتفظون بسيارات هنا ، لنقل ما يعثرون عليه الى المتحف ! »

وعند المعبد ، سار « بوك » الى شرفة الفيلة .. وسار « چيون » الى شرفة « ملك الجذام » .. وحول عنق تمثال الملك ، راى وشاحا « ايشارب » معقودا . وفك الوشاح ، وحاول ان يسوى اطرافه ـ وهو شارد الذهن ـ فاذا به ملفوف كالحبل .. وبحركة لا شعورية ، دسه فى جيبه ، ومشى شبه مذهول ـ حتى بلغ « ردهة النساء » ، فاطل على نفق متعرج ، قامت على طول جدرانه تماثيل لنساء جميلات .. والفى قدميه تحملانه نحو النفق ، وقد قام بنفسه يقين بان « شيبيلا » هناك ..

وكانت هناك فعلا ! .. وادرك انه كان يشعر طيلة الوقت ـ بطريقة ما ، وبدون وعى منه ـ بانها هناك .. وبانها ميتة !

وحملها بين ذراعيه .. وعندما بلغ شرفة « ملك الجذام » ، اخرج الوشاح من جيبه ، وستر عينيها المفتوحتين ، الجامدتين ، ولسانها البارز ، وعنقها المغطى بالسحجات !

يوم الخميس :

● فى الساعة الخامسة صباحا ، فوجىء نزلاء فندق (سوبريم) بأنباء انقلاب قام به المحافظ الجنرال ڤام بارونج « وطائفة من السياسيين صادقى الوطنية ، لتحرير الشعب الكمبودى من الطغيان ، ومن خطر الشيوعية » .. واعتبر جميع النزلاء أسرى ، فسيقوا من حجراتهم الى سيارة نقل ..

وفوجىء النزلاء بأن « چيون » كان يقبع جامدا فى ركن من السيارة ، وعلى ركبتيه جسد مغطى الوجه .. جسد « شيبيلا » !

وحملتهم السيارة الى مبنى مدرسة ابتدائية ، فى مشارف (سييمرياب) .. ولم يكن غائبا عنهم سوى « سوميبون » وأسرتها ، وتشارلز الراقد فى المستشفى .. وقال ديروليد :

« هنـــاك غائب آخـــر ! » .. فصاح صـــوت : « أتقصـــد شييلا ؟.. انها ميتة ! »

وما لبثوا ان فوجئوا بيولونج سيراب بمسوحه البوذى ، يدخل فيسير الى « چيون » مباشرة ، وهو يقول : « وا أسفاه ! .. انا المســئول مرة اخـــرى عن وفاتها ! » .. وتســـاءل « ليدريه » ـ اذ ذاك ـ عن القاتل ، قائلا : « ان بيننا قاتل ، فاسألوا چيون مباشرة ، والا ... »

فقال ديروليد ليولونج سيراب : « هناك رغبة اجماعيـــة يا صاحب النيافة ، فى اجراء تحقيق » .. واجاب الراهب البوذى : « **لماذا ونحن نعرف سبب موتها ؟.. انه الماضى ! ؟** »

ثم تنهد واردف : « ولكنى مضطر الى تحقيق رغبتكم ، على ان نبدا بحرق الجثة ، لتتحرر روحها ! »

وبينما كانت الجثة تحرق فى خارج المبنى ، فتح الباب وزج خـــلاله كيلتون ومولتانى ، فصـــاح آشلى بازيلدون : « كنت اظنكما زميلين للجنرال ڤام بارونج ! »

وقال يولونج سيراب ، وهو يتصـــدر الجميع : « ان بيننا افرادا كان بوسعهم أن ينقذوها ، ولكنهم اخفقوا .. كما اخفقوا منذ قرون ، وأنا منهم !.. وبيننا أيضا روح قاتلها وجسده .. روح تحوم فى ضباب الشر والخوف .. فلنستمع الى اقوال كل واحد منكم ! » .. والتفت الى « چيون » ليتكلم .

وروى « چيون » لقاءاته معها ، حتى يوم العمل اليدوى ، والسهرة الراقصة فى الفندق .. واخذ العرق يتصبب منه ، وهو يقول : « وانسحبت فى تلك الليلة ، وآويت الى فراشى .. الى فراشى .. » وصمت لحظـــة ، وهو يقـــاوم انفعالا جامحا ، ثم استرسل يقول : « حاولت أن أكلمها فى صباح الأربعاء ، فرفضت أن تكلمنى .. ثم سمعت من شخص ما انها كانت فى خطر .. بســـبب صندوق شيكولاتة !.. وقالت

شيبلا ان كيلتون قـدم لها قطعـة شيكولاتة من صنـدوق مشابه له ، وصل من (بانجكوك) ، ولا يدرى مرسله ! »

وتساءل « ديروليد » عما كان فى الشيكولاتة ، فقال : « چيون » انها كانت محشوة بالهيرويين .. وذكر كيف بحث عن شـيبلا يوم الأربعـاء ، فعلم أنها رافقت « ريجيه » الى (بنوم بنه) . ووصف كيف تبين أن « ريجيه » لم يغادر منطقة (سييمرياب) ، فشرع يبحث عن « شيبلا » بمعونة سائقى سيارات الأجرة ..

وصاح ليدريه : ((لقد زنى بهـا ريجيه ، ثم قتلها !)) .. فعارضـه ديروليد فى حزم ، وقال : ((لعل ريجيه وشيبلا قتلا فى كمين أعده قام بارونج !)) .. وتكلمت اليزا فجأة : ((ريجيه هو القاتل . فقد رأيته فى صباح الأربعاء يحوم حول شرفة الفيلة ، وكنت عند (البايون) وبيتر يلتقط صورى)) ..

فأخرج « چيون » الوشاح من جيبه ، واذا بيتر يقول : « هذا وشاحى ! » .. وهتفت اليزا : « لا تكن غبيا يا بيتر ! » .. والحت فى معارضته ، فدعاه « بولونج سيراب » للكلام ، فقال : **((هذا الوشاح هدية قدمتها لى اليزا فى عيد ميلادى . . و . . ستعاره منى ((تيو)) . وعندما رحل مع عمته الى سنغافورة ، قال انه وضعه مع الاقمشة التى رافق اليزا لشرائها من السوق ..)) واعترضته اليزا قائلة : ((لم أر الوشاح قط !))**

وحان دور « ليدريه » ، فذكـر ما كان بينـه وبين « شيبلا » ، حتى تناولا كأسا فى مشرب الفندق ، قبل رحيله الى (بنوم بنـه) ، يوم الأحـد ..

وتكلم كيلتون عما اتهمه به « ريجيه » من سرقة تحفـة ثمينـة ، وصـاح : « انى لم أسرق . الزب استأمننى على تحفة ، فاحتفظت بها ! » .. وأخذ يهرف كمتهوس دينى ، فصـاح داس : « الزم الموضـوع .. انك سرقت التحفة ،

ودفعت بها الى مولتاني ، المتآمر معك ، فما شأن هذا بالمخدرات وبشييلا ؟ »

وقال كيلتون : « كنت احاول رد التحفة لصاحبها الشرعي ، محافظ سيبمرپاب ، فقد سرقها ريجيه الفرنسي ، الموالي للشيوعية .. ولكن اعداء الرب كثيرون ، فاذا الذي ظننته صديقا .. » واشار نحو مولتاني ، واستطرد : « اذا به يغشني .. واختفت التحفة ! » .. وصاح مولتاني يكذبه، ولكن كيلتون اشار الى ديروليد ، ثم الى ليدريه قائلا : « اختفت على يدى هذين . انكما فرنسيان تكرهاننا معشر الامريكيين ، وتواليان الشيوعية .. ليدريه سرق التحفة من مولتاني ، وديروليد سرق الشيكولاتة المحشوة بالهيروين من شييلا ، واراد توريطي فارسل لي بالبريد صندوقا مشابها » .

● ●

● وبهدوء اشعل ديروليد سيجارة ، ثم ضحك وقال : « لست أعرف السيدين كيلتون ومولتاني . وقد وصلت من (بنوم بنه) مساء الاثنين ، وعقدت محادثات تجارية مع مستر فوميكارو ، استأنفناها بعد عودته من « العمل اليدوي » في اليوم التالي .. فلم يكن بوسعي تبديل صندوقي الشيكولاتة، وارسال صندوق لكيلتون يصل اليه بالبريد في صباح الاثنين، وانا لم اصل الا في مساء هذا اليوم ! »

وقال يولونج لاشلي بازيلدون : « عندما دخل السيدان كيلتون ومولتاني قلت انهما صديقان للجنرال فام بارونج ، فكيف عرفت ؟ » .. ورفض الانجليزي - في باديء الأمر - ان يتكلم ، ثم قال : « لا باس .. لم اكن اعرف عنهما شيئا حتى مساء الأربعاء ، اذ عدت للفندق مع فتاة كمبودية لطيفة، وقابلت هذين الرجلين ، فدعوتهما الى سهرة مشتركة في غرفتي ، ولكن جوان - سكرتيرتي - رفضت ... »

وصاح بوليه ، مدير الفندق : « هذه اساءة لا تغتفر لفندقى ! » .. فهتف ليدريه ساخرا : « وهذا أحد جنودك القدامى يا ديروليد ! » .. فقال ديروليد : « ليس هذا الكلام فى صالحك ! » .. وتابع آشلى حديثه : « بعد خروج جوان ، شربنا ، وتحدثنا عن التحفة المسروقة ، فاقسم مولتانى بانه احتفظ بها فى حقيبة آلة التصوير التى لم يتركها الا لعشر دقائق ، راقص خلالها احدى السيدات .. لقد ثمل الاثنان ، وكررا القصة لشييلا حين وافتنا . ثم هرب كيلتون بفتاتى الكمبودية ، وبقى مولتانى مع شييلا .. ولم أرها بعد ذلك » !

● ●

● وفى الساعة الرابعة ، أحضر الجنود للأسرى بعض الطعام : فأقبل هؤلاء عليه ، وهم يتبادلون أحاديث تنم عن توتر أعصابهم . وقال داس : « ما زلنا لم نحصل على تفسير لوجود صديقين للجنرال ڤام بارونج معنا ! » فقال ليدريه : **« ومازلت لم تفسر لى اقتحامك غرفتى من الشرفة ، بعد ظهر يوم الأحد .. لست اصدق القصة التى قلتها . انك شيوعى وقد دسست « ميكروفون » فى حجرتى .. ولحسن الحظ ، وجدته مثبتا فى قاع المقعد الذى جلست عليه ! »**

واشتدت الريح ، ثم هطل المطر غزيرا فى الخارج .. ولكن انصباب الماء لم يحل دون أن يسمع الأسرى قعقعة سلاح ، وطلقات مدفع رشاش ، ثم اقتحم الحجرة جنديان طلبا اليهم الخروج .. وتبعهما جنود آخرون ، وضابط صاح فى الأسرى : « سننقلكم الى مكان آمن ، فسيروا والا أطلقنا عليكم الرصاص ! » .. وحاولوا أن يستبقوا يولونج سيراب ، ولكنه أصر على أن يسير مع الأسرى .. وبلغوا الطريق العام ، وقد اغرق المطر ثيابهم .. ومرت بهم سيارات نقل

عديدة ، ولكنها كانت مليئة بالجنود ، ولم تشأ أن تقف .. واقترب « ديروليد » من مارى فاوست ـ اثناء السير ـ وقال : ((**بادرى الى الجرى ، حين اصدر الاشارة .. اختبئى فى أول خندق . الا ترين أن الانقلاب فشل ، وانهم يسوقوننا كرهائن ؟**)) .. ثم اقترب من داس ، وهمس : « عند أول منحنى فى الطريق ، بادر بالفرار .. ستجد مساكن الى اليمين ، واشجارا الى اليسار » .. ونقل داس الكلمات الى « چيون » .. حتى صادفوا سيارة تعطل محركها ، فاعترضت الطريق وسدته . وكانت فرصة .. واذ صدرت الاشارة ، انطلق « داس » يجرى .. وانطلقت رصاصة ، فلم تصبه .. وهرعت آدا فى أثره . ولاحقتها طلقات ، واذا بطلقات مضادة تنبعث من بين المساكن .. واقبل جنود امسكوا بالمرأة ، وهم يرددون : « أصدقاء ! » .. فبكت لفرط غبطتها !

وانطلق « توماس » ـ مع فوميكارو ـ نحو قصر الجنرال ليبحث عن زوجته .. فاذا جنود الأمير سيهانوك سبقوهما .

وفى مخدع ثام بارونج ـ الذى فقد كثيرا من روائه ـ كانت « ميبل » بين فتاتين من « المليشيا » تعنيان بها !

● ●

● وقال داس لجيون ، فى مشرب الفندق : « هكذا المؤامرات السياسية فى الشرق الأقصى ، تبدو أشبه بمسرحيات قصيرة الأجل ! » .. وكانت « ميبل » تهمس لزوجها سعيدة ، ثم أقبلت نحوهما مارى . فأشارت ميبل نحو مولتانى قائلة : « هذا الرجل كان يعرف مكانى .. فقد صادفته خارجا من القصر فى تلك الليلة ! »

وحاول مولتانى ان يكذبها ، فانقض عليه توماس ، وكاد يفتك به ، لولا أن حال بعض الحضور بينهما .. وصاح كيلتون : ((ان مولتانى هو الذى احضر الأموال من بانجكوك

للانقلاب .. وهو الذى قتل شـــيبيلا ، لأنها عرفت أكثر مما ينبغي ! »

وقال آشــلى بازيلدون لســـكرتيرته : « ســـنتزوج يا حبيبتي .. وسأعكف على كتابة مسرحية .. ســتكون عن شيبلا ، التى منحت نفسها لجيون ، وهى تحسب أنها تحبه ، فاذا به ينام ويتركها فى خيبة ويأس اضطراها الى البحث عن رجل آخر ، فجاءت لحجرتى ، ووقعت فى أيدى كيلتــون ومولتانى !.. وطلب منها مولتانى عملا بشعا فوافقت محرجة .. انه يحب أن يحيط عنقه بطوق له سلسلة ، فتجره المرأة فى الحجرة ، ويتبعها وهو ينبح كالكلب .. وبقيت وحيدا ، فخرجت أجول على غير هدى ، واذا بى أصادف شيبيلا .. كانت قد غاصت الى أعماق الاحداث ، وادركت دورها ، كما ادركت مدى ترديها : فلم تعد تؤمن بأن شيئا يطهرها سوى الموت .. حتى أنها سألتنى ان أخنقها .. وفعلت ! »

● ●

● **قالت** مارى فاوست لديروليد : « وماذا يجرى لى بعد أن تفارقنى يا حبيبى ؟ » .. فقال : « كفى عن محاولة تدبير المستقبل ، فهذه عادة مدمرة » .. فقالت تحــاوره : « هذا ما كانت شيبيلا تقول ! »

ــ دعينا من سيرتها .. لست أدرى من خنقها .. قد يكون ريجيه ، أو جيون .. وربما أنا .. !

وضحكت مارى قائلة : « لا تهزأ بى .. اعتقد انه الشاعر الجزائرى » ! .. فصاح ديروليد : « الشاعر الجزائرى ؟ .. لقد أرهقت ذهنى ونحن اسرى ، اذ كنت أشعر بان شخصا منا غائب .. ولكنى نسيته ! »

وكان « مولتانى » ــ فى تلك الأثناء ــ يغلى كالمرجل ويلعن كيلتون ، واصدقاءه فى (بانجكوك) لعدم دقتهم فى تخطيط

الانقلاب ، حتى أصبحوا أضحوكة العالم .. ما كان ينبغى أن يضعوا ثقتهم فى « ڤام بارونج » .. ولابد انه هرب بالأموال : وترك المتآمرين معه معرضين للخطر ، وسيظل يبتز الأموال من مدبرى المؤامرة الرئيسيين ، مهددا بنشر مذكراته !

ولم يكن « يولونج سيراب » فى الفندق ، فقد نقله العسكريون ـ فى احترام وتكريم ـ الى قريته ، حيث كانت سوميبون واسرتها ..

واستعصى النوم على « ليدريه » فى تلك الليلة .. كان يفكر فى « شيبيلا » وشرع يقول فى نفسه : « اغفرى لى يا شيبيلا ، لقد اثمت فى حقك ، ولكنى احبك ! » .. واثارت الكلمات غضبه ، فصاح : « لا لم آثم .. اننى لم افعل شيئا لم تكن هى تبغيه ! .. كل ما أملكه هو اننى سأثأر لها ! .. سأعثر على القاتل ! »

● ●

● **كان** تشارلز جامدا على فراشه ـ فى المستشفى ـ يعانى آلام قلبه .. وراح يتمثل « شيبيلا » ويستعرض أفعالها .. وتذكر أمها ، وكيف فاجأها فى الفراش مع رجل آخر .. لكم كان ذلك مؤلما !.. وتذكر أول ليلة نام فيها مع « اليزا » ، لقد أغمض عينيه وأوحى الى نفسه بأنها امرأة أخرى .. امرأة نسى اسمها !

وانتبه الى أن الطبيب كان يقف الى جوار فراشه ، ومعه الشاب الجزائرى .. لابد انه ممن ضاجعوا شيبيلا ! .. وسمعه يسأل الطبيب برفق : « أهو يعلم ؟ » .. يعلم ماذا ؟ انه يحتضر ؟.. وحاول أن يتكلم ، ولكن الدكتور قال له : « لا تزعج نفسك ! » .. وحقنه بمادة مخدرة .. وقبل أن يغيب عن الوعى ، تذكر اسم المرأة .. **« چاكلين » ، اخت « اليزا » التى أحبها ، ولكنها كانت تمنح نفسها للرجال ..**

ولم يجد من يتشبث به سوى ((شيبيلا)) ، ولكنها كانت .. كامها !

وكان « چيون » فى حجرته بالفندق ــ فى ذلك الوقت ــ وقد راح يجوس فى أرجائهــا على غير هدى ، ويفتح الأدراج ويحملق فيها .. ووجد فى احداها أوراقا تحمل اسم (فندق سوبريم) .. واذ ذاك شعر بالدوامة تهدأ ، وبالأفكار المتطايرة تستقر وتتناسق فى صورة مجسدة ، قائمــة كما يقـــوم (البابون) بوجوهه الأربعة .. ولكن الوجوه كانت تتبــدل بوجوه أولئك المحيطين به .. وبينها وجه القاتل .. لقــد عرفه ! عرفه دون أى تعقل أو منطق أو حجة .. عرف وجه القاتل !

يوم الجمعة :

● كانت الساعة الواحدة صباحا ، عندما هبط « چيون » الى « لى سوڤان » ــ فى بهو الفندق ــ وأعلنه بأنه اهتــدى الى ما يكشف سر الجريمة ، وأن هذا يتطلب أن يذهب الى مكتب « برنار ريجيه » .. وقال لى سوڤان :

ــ أحسبك تعلم عن .. المخدرات ، والمنظمة الفرنسية ! فيمن ترتاب ؟

وهمس « چيون » فى أذنه ..

وكانت « آدا » تنام مع « داس » ، فلما سمعا وقــع قدمى « چيون » فى الردهة ، فتح « داس » باب الحجرة قليلا ، وأطل .. ولكن الظلام كان دامسا . فعاد الى « آدا » ، التى قالت : « لقد سمعت وقع قدمى شخص يغادر الفندق ! » .. فقال لها عاجزا : « لننم ، وسيكشف الغد ما يجرى ! » .

ورافق أحد الجنود « چيون » . فاجتــاز الطريق الى المتحف . وصعد « چيون » السلم الى مكتب « ريجيه » ،

فاشعل شمعة كان « لى سوفان » قد نصحه بأخذها .. ولم يبد ان بدا ما عبثت بشيء فى المكتب .. **ووضع « جيون » الشمعة على المكتب ، ثم رفع صفحة النشاف التى تعلوه ، واذ ذاك سمع صوتا يقول : « اهذا الذى تبحث عنه ؟ » .. والتفت ، فاذا « ابراهيم مالك » يشهر مسدسه بيمناه ، ويمسك بيسراه مظروفا يحمل اسم « فندق سوبريم » .. المظروف الذى كان على ارض الحجرة والتقطه ووضعه على المكتب ، حين جاء يسأل عن عنوان « ريجيه » فى « بنوم بنه » !.. وأعاد الجزائرى سؤاله ، فرد « جيون » بالايجاب .**

عندئذ دس « ابراهيم » مسدسه فى حزامه ، وجلس على مقعد « ريجيه » ، واشار لجيون كى يجلس أمامه .. وشرع الجزائرى يقول : « ياله من سيرك ! .. أبشع عيوب الحرب والجريمة والعنف ، هو عدم الكفاية بدرجة تثير الاشمئزاز ! .. غباء ، واهمال ، ونقص كفاءة .. دائما يخطئون من ينبغى قتله فيقتلون سواه .. دائما يخطئون ، كما حدث فى الانقلاب الذى اوقن أنه كلف ملايين الدولارات ، واشترك فيه عناصر عالية من راسمى الخطط فى الخارج .. ما بالك تلوذ بالصمت ؟ »

فقال جيون: « قل لى كل ما لا أعرف ! » .. فهز الجزائرى رأسه قائلا : **« لنقر العدالة أولا .. انت وانا ، فلو اننا تركنا الأمر للكمبوديين لغلبهم لطفهم ومقتهم للدماء ، واحالوا الأمر ليتعثر فى اروقة القضاء ! .. وسيكون هناك محامون ومستشارون ، ولكن .. لا عدالة حقيقية .. فعلينا الحكم والتنفيذ ! »**

ورمقه جيون طويلا ، وهو يقول لنفسه : انه على صواب . وعاد ابراهيم يقول : « انما صنع التاريخ اولئك الذين لم ينتظروا أجهزة العدالة ، وتولوا القصاص بأيديهم .. وكذلك

الأمر فى الثورات ! .. وتذكر انك واياى نعمل طواعية ، معتمدين على نفسينا .. ولن يعرقلنا الكمبوديون ، ولكنهم لن يساعدونا كذلك ! » .. وأطفأ الشمعة وهو ينهض قائلا : « قد نظفر ببضعة متطوعين ، ولكن .. يجب أن يبقوا نكرات مجهولين ! »

وعندما بلغا الفندق ، تطلع « چيون » نحو واجهة الحجرة التى كانت تشغلها « شيلا » .. **كان ثمة شبح صغير الجسم نحيله ، لم يستطع الظلام أن يحجبه .. وفطن « ابراهيم مالك » لوجوده ، فرفع مصباحا جيبيا كاشفا .. ثم قال : « انه ليدريه !.. سنتولى امره فيما بعد ! »**

وفى البهو ، كان « لى سوثان » ينتظرهما وقد أعد لهما شابين من الكمبوديين ، فقال ابراهيم : « هذان متطوعان لمساعدتنا ! » .. وصعد الأربعة السلم ، وساروا مباشرة الى باب ، القى عليه الكمبوديان بثقلهما فتداعى .. وصرخت « مارى فاوست » من الداخل : « من هذا ؟ .. جان ؟ جان ! » .. وعلى ضوء مصباح ابراهيم ، بدا الفراش خاليا بجوار مارى ، فقال ابراهيم : « لقد هرب !.. قفز من الشرفة ! »

والتفت الى مارى ـ التى كانت تحتج ـ وسألها : « متى هرب جان ديروليد ؟ »

ـ لقد كنت نائمة . ماذا هناك ؟ لماذا ..؟

ولم يجبها أحد ، اذ هبط الرجال الأربعة الى « لى سوثان » ، الذى قال : « لا يمكن له أن يذهب للمطار . وهو سيفضل ان يتغلغل فى الريف بطريق البر .. انه يعرف كل شبر فى البلاد » .. **وانتفضت ذاكرة چيون ، فقال : « هناك مركبات نقل مغلقة الجوانب ، فى حفائر (انجكور) ، يستخدمها المنقبون عن الآثار ! »** .. فهتف مالك : « حقا !.. لنذهب الى هناك !.. لقد انطلق على قدميه ، ولابد

انه يستتر بالغابة التي على حافة الطريق ، ولو ذهبنا بسيارة فسيفطن الينا . لنذهب بالدراجة ! » ..

وعلى دراجتين ، انطلق ابراهيم وچيون .. وقد دفع « لى سوڤان » الى الأخير بمسدس !

● ●

● وعند شرفة الفيلة ، وضعا دراجتيهما . وانضم اليهما أربعة من الكمبوديين ، عراة الصدور .. واقتدى بهما ابراهيم وچيون ، فخلعا قميصيهما .. وكانت الظلمة دامسة ، والسماء مكفهرة .. واذ بلغوا « ردهة النساء » ، همس ابراهيم لچيون : « اهبط هنا ، وسنحاول أن نسد عليه الطرق ليأتي اليك .. فليكن مسدسك مشهرا ! »

وحوالى الفجر ، سمع « چيون » جسما يقفز من الطرف الأقصى للردهة الى داخلها .. والتصق بالجدار مشهرا مسدسه .. **وفجاة ، رأى « ديروليد » أمامه ، بجسمه وقد تعرى الى الصدر ، بينما كان قميصه في يده ، ملتفا حول شيء ما .. وسد « چيون » الطريق عليه ، فارتسمت على وجه « ديروليد » ابتسامة حلوة ، لا خوف فيها ، ورفع القميص عاليا ، وهو يقول : « ستصاب بضرر بالغ ! »** ..

وحاول « چيون » أن يضغط زناد مسدسه ، ولكن أصبعه لم تطعه .. وعندما انطلقت الرصاصة ، طاشت في الهواء ، اذ كان « ديروليد » قد انهال بقبضته على وجه « چيون » ، فهوى هذا على الأرض .. وقفز « ديروليد » نحو السلم ، ولكن « چيون » أحاط ساقه بذراعيه ، وراح يشده بكل ما انبثق في صدره من غيظ وحقد .. وهوت قبضة ديروليد على أذنه ، فصرخ ألما ، ثم انشب أسنانه في كعب قدم غريمه .. وانهالت قبضة ديروليد مرات ، ثم .. رأى « چيون » قدمين اخريين ، وسمع صوتا ، ثم صرخة ، ثم انهمر على وجهه

سائل ساخن ، فأغمض عينيه .. **وعندما مسح السائل عنهما وفتحهما ثانية ، كان جسـد ديروليـد ملقى على الأرض ، وابراهيم مالك واقفا وفى يده خنجر يقطر منه الدم .. وشعر « چيون » بغثيان ، وأغمض عينيه وقد أدرك ما حدث ، فأثار العنف نفسه المطبوعة على حب السلام .**

واقبل المتطوعون فحملوا جثة « ديروليد » الى الخارج ليحرقوها .

يوم السبت :

● **قال** داس : « ان الحقيقـــة رواغة ، ولكنى بذلت قصارى جهدى لجمع الحقائق من مصادر مختلفة عديدة » .

وكانوا يجلسـون فى بيت « يولونج سيراب » : سوميبون ، وجورج ، وآدا ، ويولونج نفسـه .. وقالت آدا : « تكلم يا داس ، ولا تنتظر حضور الباقين .. »

قال : « ان قصتنا تبدأ فى بانجكوك .. بل فى أكثر من مكان ، فللقصة أكثر من عقدة : **هنـاك أولا انقلاب سـياسى ، فان الجنرال قام بارونج رجل طموح ، مفسود ، من النوع الذى تستغله الدول الاستعمارية باسم الديمقراطية ، دون ان تقتنع بعدم نفعه ، رغم خيبة سينجمان رى ، وشيانج كاى شيك .. دائما تنتهى العملية بفشل ، ودماء ، واموال مبددة** .. ولقـد تسلم قام بارونج أموالا ومســاعدة لقلب حكومة كمبوديا . ولم تكن له شعبية ولا أنصار ، سوى جيش صغير من المرتزقة ، ولكن الغرب كان يظنه قويا ، واسع النفوذ ، فاعتمد عليه .. وفى كل شهر ، كان يرسل له نقودا مع أحد السائحين الذين يفدون لمشاهدة (انجكور) .. وكان آخر هؤلاء صاحبنا مونى مولتانى ، الذى جاء لحضـور مؤتمر

الكتاب ، والذى كان طموحه اكبر من أن يهرب بالمبلغ ، كما فعل الرسول السابق مباشرة ..

« وقام بارونج متعدد النشاط .. فكان يهرب الأفيون كذلك . وبرغم شغفه بالمظاهر الحديثة ، فانه كان يعتمد اعتمادا مطلقا على الفلكى الذى يستشير له النجوم ، فلا يتحرك الا باذنه .. وفى آسيا لا توجد اسرار ، فكانت الحكومة على دراية بمطامع قام بارونج ، وبانه يتلقى اموالا للقيام بما يسمى « انقلاب مضاد للشيوعية » .. ولكنها لم تشأ ان ينقلب الأمر الى حرب كالتى يصلاها شعب (لاوس) دون ان يكون له فيها شىء .. لذلك آثرت الحكومة الانتظار الى الوقت المناسب ، وتركته يبدأ انقلابه لتخفيف تأثيره ، وللاحاطة بجنوده المرتزقة .. وما كان بوسع الانقلاب أن ينجح ، لأن الفلكى كان ينقل المعلومات ـ عن طريق صديق له ـ الى الحكومة .. ولم يكن بوسع هذا الصديق الاتصال بالفلكى مباشرة ، خشية جواسيس الجنرال ، فاستغل صديقنا الجزائرى هذا الموقف ، وذهب بنفسه الى الفلكى .. وهو ماهر مدرب على فنون الحرب السياسية .. »

قال يولونج سيراب : « ولماذا تعمل أنت وليدى آدا فى مقاومة المخدرات ؟ » .. فأجابت آدا : « لأننى أكره الشر ! » .. وقال داس : « لأننى اريد أن أكتسب نقودا نظيفة ، فلست أملك ان أعيش على التأليف ! » .. ثم استطرد يقول :

ـ وصلت من (بانجكوك) فى اثر حركة المخدرات ، بينما وصلت « آدا » من (هونج كونج) ، والتقينا هنا فى مؤتمر الكتاب ، اذ قيل لنا ان مركزا جديدا للتهريب انشىء هنا ، وان « قام بارونج » عضو فى العصابة الدولية ... ووجدنا ان « شيبيلا » كانت حاملة للمخدرات بريئة .. اسلمها راهب ـ موفد من أمير سيامى ـ صندوق « شيكولاتة » فى المطار ،

لتسلمه لقريب له فى (انجكور) .. ولقد شهدت العملية مصادفة ، ولكن نصف مهمتنا يعتمد على المصادفة .. فلما وصلت الى حجرتها فى فندق (سوبريم) ، تركت حقيبتها ، وذهبت الى حجرة « چيون » بدافع خفى .. كانت قد فطنت الى نظراته اليها فى الطائرة .. ولكن « چيون » لم يغازلها ، بل اصطحبها الى الآثار .. واعتقد أنها أحبته ، اذ رأته مختلفا عن سواه . وفى غيابها معه ، دخل حجرتها شخص ما ، وبدل صندوق الشيكولاتة بصندوق به شيكولاتة حقيقية .. ولقد سلمت « شيبلا » هذا الصندوق لشخص ما ، فى موعد الغداء من يوم الأحد ..

قال جورج : « انتهت العقدة الثانية .. الينا بالثالثة ! »

ـ كانت هناك منظمة اخرى تمارس تهريب المخدرات منذ فترة ، وتتالف من الفرنسيين الاستعماريين المحاربين للديجولية ، والذين لم ينسوا بعد مرارة (ديان بيان فو) والجزائر .. وقد وجدوا فى « جان ديروليد » ـ الغنى ، ذى الشعبية والنفوذ ـ رئيسا لمنظمتهم هنا .. فشرع يفكر فى تهريب المخدرات ، ولكنه كان شديد الحذر والتكتم .. وأخذ أعوانه يتسللون الى العصابة الأصلية ببطء وحيطة .. وكان يستغل الفرنسيين الصادقى الوطنية ، دون أن يشعروا .. وكان مسيو « بوليه » ـ مدير الفندق ـ من حلفائه .

« ولم يصل ديروليد يوم الاثنين كما عرفنا ، بل وصل مساء السبت قبلنا ، [illegible] فى سيارة النقل المغلقة التى يستخدمها فى رحلاته [illegible] . ولا تزال هذه السيارة مخبأة بين الاطلال ، خلف شرفة الفيلة ، فى (انجكور) ، حيث توجد سيارات مشابهة أعدت للعاملين فى الحفريات .. وكان « ريجيه » هو الوحيد الذى أدرك أنها ليست من سياراتهم ، ولكنه غفل عنها وسط مشاغله .. المهم هو أن « ديروليد »

اتصل ببوليه ، وأفهمه أنه فى مهمة من أجل مجد فرنسا ، فخف اليه « بوليه » فى سيارة صغيرة ، وأحضره الى الفندق بالليل ، خلال الباب الخلفى ، وانزله فى جناحه الخاص بالطابق الأعلى .. وهناك ، مكث فى انتظار « اليزا » ــ وشييلا كذلك ــ صباح الأحد .. فان عميله فى (بانجكوك) كان قد اخبره بأنه سيعهد بصندوق الشيكولاتة الى شييلا كما احضر له صندوقا مشابها تماما ، **ولكن « ديروليد » ما كان ينتظر شييلا فى الفندق ، او لم يكن قد عرف « اليزا » منذ كانت عارضة ازياء ، وكان هو ضابطا فى جيش فرنسا الحرة فى لندن .. وكانت اختها « جاكلين » على علاقة بضابط فرنسى من اصدقاء « ديروليد » .. وكانت « اليزا » هى التى دبرت كشف هذه العلاقة لتشارلز .. ثم كان الطلاق ، وزواج تشارلز من « اليزا » ، وانتحار جاكلين ..**

« وعندما علم ديروليد ــ من الصحف ــ بأن « اليزا » قادمة من (بانجكوك) ، مع زوجها العالم الاقتصادى ، قرر ان يهددها ليضمها الى منظمته ، فمن أقدر منها ــ بشهرتها ومهنتها ــ على نقل المخدرات ؟ !.. وساعده الحظ عن طريق علاقة « اليزا » بشييلا .. ومن ثم رأى « اليزا » فى الصباح ، واوعز اليها بالتسلل الى حجرة « شييلا » وتبديل صندوق الشيكولاتة ، **وأعطى الصندوق ــ المحتوى على الهيروين ــ الى « بوليه » ، لينقله الى « ليدريه » ، الذى كان راحلا الى (بنوم بنه) بعد الظهر .. ولم يكن ليدريه يعرف حقيقة الصندوق ، ولا ان « بوليه » كان يعمل باوامر من ديروليد .. لم يعرف هذا الا بعد الانقلاب !**

« وكان على « ليدريه » أن يرحل الى (بنوم بنه) ثم سايجون ، بعد ظهر الأحد ، ويعود الى سييمرياب يوم الاثنين ، ثم يطير الى بانجكوك يوم الثلاثاء ، والى سايجون

يوم الأربعاء .. فاختار « ديروليد » يوم الاثنين موعدا يدعى أنه وصل فيه .. وكان قد أتم مهمته الخاصة بالهيروين . ولكنه آثر البقاء لأنه علم بالانقلاب المهيأ ، وأراد أن يتبين حقيقة أمر كيلتون ومولتانى » !

● ●

● بقيت « العقدة الرابعة » فى القصة .. فقد سرق « كيلتون » الحزام الذهبى الأثرى من المتحف ؛ فاشتبه فيه « ريجيه » ، ومن ثم اسلمه لمولتانى .. وفى مساء الاثنين ، ذهب مولتانى ليسلم النقود للجنرال ، فحاولت اليزا التسلل الى حجرته (بمفتاح أخذه ديروليد من بوليه) ، ولكنها جبنت .. **وخشيت ان يعاقبها ديروليد بسرقة مجوهراتها ، فجمعتها كلها فى حقيبة يدها . ولكن ملاحظة من ابنة سوميبون اثارت جزعها ، فعادت الى الفندق ، وجاء فى اثرها ((ريجيه)) ، اشفاقا عليها** .. ولم يستطع ديروليد الحصول على الحزام ، لأن مولتانى وضعه فى حقيبة آلة التصوير التى كان يحملها معه دائما . وأدرك « ديروليد » هذا السر . فأخذ يتحين الفرص ..

وتساءل داس : « أتحدسون من الذى تسلم صندوق الشيكولاتة من شيلا ، بعد ظهر يوم الأحد ؟ .. انها « ميزى » عازفة البيانو العجفاء فى جمعية كيلتون .. ولا أدرى كيف عملت فى نقل المخدرات ، ولعل أحدا أوحى اليها بأن هذا عمل مقدس ضد الشيوعية !.. **المهم أن الجنرال قام بارونج رد اليها الشيكولاتة ــ فى مساء الأحد ــ لأنها حقيقية ، وأنذرها بوجوب الحصول على الشيكولاتة المحشوة بالهيروين .. ولكى تبرر وجود الصندوق ، زعمت أنه وصل بالبريد لكيلتون** .. ولكن الفزع دفعها الى أن تذهب الى « شيلا » ــ بعد ظهر الاثنين ــ فاعتذرت هذه لجيون عن عدم مرافقتها

اياه للسباحة . واستقبلت « ميزى » التى صارحتها بأن الصندوق الأصلي كان محشوا بالهيروين وقد استبدل به غيره فى حجرتها .. ولكنها لم تذكر لها شيئا عن الخطر الذى كان يتهددها لاختفاء هذا الصندوق ..

« وبدات شيلا تفكر .. كانت قد شمت عطر « اليزا » فى حجرتها ، عندما عادت اليها فى مساء الأحد .. وعندما رات « اليزا » تحمل حقيبة يدها المنتفخة ، وسمعت ملاحظة الصبية ــ فى مساء الاثنين ــ ورات « اليزا » تبادر بالانصراف ، ازداد ريبها فيها .. وعندما ادلت بملاحظتها عن الشيكولاتة ــ فى حفلة كيلتون ــ اشتد فزع « ميزى » ، فازدادت شيلا يقينا من استنتاجاتها ..

« ولعلكم تذكرون أن « شيلا » تأخرت فى الفندق ، حين ذهبنا للعمل اليدوى ، فى صباح الثلاثاء .. **وقد انتهزت الفرصة فواجهت « اليزا » بشكوكها .. وبدات تعاود ذاكرتها أمور لم تستلفت انتباهها ــ من قبل ــ متعلقة بليسدريه ، وديروليد .. ولقد رأتهما ــ فى مساء الثلاثاء ــ مع « اليزا » ، بعد العودة من العمل اليدوى .. »**

قالت سوميبون : « هنا كان غباء چيون !.. فقد ظن أن شيلا افتتنت بديروليد ، وصعد الى حجرته مغضبا ، مثقلا بالشراب ! »

فقال داس : « لو أنه تحدث اليها بدلا من أن يغار .. ولو أنه أصغى لحديثها ــ عندما أيقظته من نومه بعد ذلك ــ بدلا من أن يستسلم لنزوته الجنسية !.. ولكنه كان غافلا عن كل هذه الأمور .. كانت تحبه ، وقد أرادت أن تحدثه بشكوكها وتلوذ بحمايته . فلما فعل فعلته ، كانت الصدمة قاسية ، فذهبت الى حجرة مولتاني .. **وكان « ريجيه » قد تهور فى اتهامه مولتانى وكيلتون ، قبل أن تتوفر له الأدلة ،**

فلما تم القبض عليهما ، أمر الجنرال باطلاق سراحهما .. وادرك « ريجيه » العلاقة بين الاثنين والجنرال ، فتوقع خطرا يهدده ، وعزم على الذهاب الى (بنوم بنه) ، ومعه الفتى والفتاة الكمبوديان كشاهدين ..

« وكانت شييلا ـ أثناء مرافقتها لديروليد ـ قد ذكرت له شيئا عن الشيكولاتة ، اقنعه بأنها على علم بأموره ، فقرر ازالتها من الطريق بسرعة .. وراح يفكر فى خطة وهو يراقص « مارى فاوست » ، كما راح يفكر ـ كذلك ـ فى أن يتخذ « مارى » حاملة للمخدرات دون أن تدرى ، وأن يستغلها فى أغراض اخرى .. وخطر له أن يحاول ضم « ريجيه » الى المنظمة ، والا فليكن تدبير مقتل شييلا ، بحيث يعزى الى « ريجيه » .. فلو اجتمعت شييلا وريجيه لكانا مصدر خطر كبير ! ..

« وعلى هذا ، اوفد ليدريه فى صباح الأربعاء الى « ريجيه » ، بعد أن ازال الطيار جزءا من محرك الطائرة ليبرر عدم سفره .. وكان « ريجيه » صريحا فى رفضه التعاون مع ذوى العقلية الاستعمارية من الفرنسيين ، فقرر ديروليد القضاء عليه .. وذهب اليه زاعما أن لديه رسالة رجاه أن يحملها لزوجته .. **وبعد انصرافه ، تسلل عائدا ، واختبأ فى شرفة مسكن « ريجيه » .. وكان « ريجيه » قد ازداد شكا فيه ، ففض الرسالة .. وفى تلك الأثناء ، كان ديروليد قد راقبه من الشرفة ، فتحرك فى هدوء وحذر ، حتى عاد الى مكتب الرجل ، وضربه على مؤخرة رأسه ضربة قضت عليه .. وعندما ذهب « جيون » الى المكتب ، لم يجد أحدا ، ووجد مظروفا على الأرض ـ هو مظروف رسالة ديروليد ـ وصفحة نشاف مكرمشة على المكتب ..**

« ولمح ديروليد — من نافذة ريجيه — شيبلا تغادر الفندق ، فخطرت له خطة مكتملة .. ارتدى القلنسوة والسترة والنظارة الداكنة — التي اعتاد ريجيه ارتداءها في رحلاته بالسيارة — ووضع الجثة في الحقيبة الخلفية لسيارة ريجيه الصغيرة ، وانطلق بها فلحق بالفتاة .. ولعله دعاها الى نزهة فقالت انها تبحث عن « ريجيه » ، فتطوع لاصطحابها اليه .. المهم ان الذين رأوهما ، ظنوا أنه « ريجيه » نفسه .. »

● ●

● وهنا قال جورج : « ولكنها كانت ترتاب فيه ؟ »

فقالت آدا : « ولكنها لم تتوقع ان يقدم على القتل .. وكانت معتدة بذكائها ، مصممة على كشف جلية الأمر ، فارادت أن تستدرجه » .

واضاف داس : « وكان چيون قد صدمها في حبها ، كما صدمها مولتاني في انسانيته ، اذ سالها أن تجره في حجرته كالكلب ، فتولتها خيبة ، وشقاء ، ويأس .. ولم تعد تحفل بشيء !.. **قصارى القول ان ديروليد اقلها الى الاطلال ، وخنقها بوشاح بيتر المصور ، ليقحم ((اليزا)) في الجريمة . وكان ((تيو)) قد ترك الوشاح بين الاقمشة التي اشترتها هذه ، فسرقه ديروليد منها . ولقد أدركت ((اليزا)) أنه القاتل ، ولكنها كانت في ذعر منه ، فزعمت انها رأت ((ريجيه)) بين الاطلال ، لتبين لديروليد أنها تساتده !**

« وبعد ان قتل شيبلا ، دفنها في (بهو النساء) ، ثم ربط الوشاح حول عنق تمثال « ملك الجذام » ، لفرط غروره واعتداده ... وانطلق بسيارة « ريجيه » الى سيارته الكبيرة — التي كان يخفيها بين الخرائب — فوضع سيارة « ريجيه » الصغيرة الحجم بداخل سيارته ، وسار على الآثار التي كانت

الأولى قد تركتها فى الطريق خلف الأطلال .. ولذلك بدت ثلاثة خطوط من آثار العجلات حتى بلغ الطريق المهجور .. اذن ان محور عجلات سيارته أعرض من محور عجلات السيارة الصغيرة ؛ فلما سار بعجلات أحد جانبى سيارته على خط من الأثر ، لم تنطبق عجلات الجانب الآخر على الخط الثانى ، بل أحدثت خطا جديدا موازيا له .. ولعله تعمد هذا للتضليل .. **وبعد نصف ميل ، أنزل سيارة ((ريجيه)) ، ووضع الجثة أمام عجلة القيادة ، ودفع السيارة بسيارته حتى اصطدمت بالشجرة ، ثم عاد فى سيارته حتى بلغ الطريق الرئيسى ، وانطلق الى المطار** . وكان النهار قد انتصف ، والمطار شبه خال ، فترك سيارته هناك ، واتصل ببوليه الذى وافاه وأقله الى الفندق ..

« وحدث الانقلاب فى صباح الخميس .. وهنا تدخلت العناية الالهية ، والقدر ، والعدالة ، لتثبت وجودها .. ممثلة فى الشاعر الجزائرى !! .. أتذكرون كيف أن « ديروليد » ارتاب فى غياب واحد من النزلاء ، عندما احصانا فى المدرسة التى حبسونا فيها ؟.. لقد غاب عن الجميع أن يذكروا ابراهيم مالك ، ولم تتكلم آدا ولا أنا .. »

● ●

● **وصمت** « داس » وقد تجلى الألم على وجهه ، ثم عاود الحديث بمشقة : « هكذا كان صديقنا الجزائرى مشغولا ، بينما كان ديروليد فى مخدع مارى فارست ، فى مساء يوم الخميس .. كان ابراهيم موضع ثقة لدى الكمبوديين ، وقد علم من « يولونج » برحيل شيلا مع ريجيه ، وبأن جيون انطلق وراءهما .. ثم ذهب الى الفلكى فأخبره بأن ثام بارونج اعتزم القيام بالانقلاب فى اليوم التالى .. **وفيما كان يغادر دار الفلكى ، لمح ((اليزا))**

فتعقبها ، وحاصرها .. وكانت أعصابها على شفا الانهيار ، فتظاهر بانه يعرف كل شيء ، وطمانها الى سلامتها ، فتكلمت عن علاقتها بديروليد ، وعن صندوق الشيكولاته !

« .. ولقد عثر ابراهيم على جثة ريجيه ، وعاد الى مكتب الرجل ، فوجد مظروف رسالة ديروليد .. والتقى بچيون » .

واقبل ــ عند هــذه النقطة ــ ابراهيم مالك ، والأب « اودوديه » .

وتساءل داس : « ماذا جرى ؟ .. اقصد لولتانى وكيلتون وليدريه وبوليه ؟ » .. فقال الجزائرى : « سيرحلون الى خارج البلاد غدا » ..

وتاملت سوميبون الشاعر الجزائرى .. كان بالغ القوة، وبالغ الرشاقة ، وبالغ الاتزان والرزانة . وقد قتل ديروليد بمهارة واحكام .

وسألته : « هل ستحطم عصـــــابة الاستعماريين من الفرنسيين ؟ » .. فأجابهـــا وهو ينفث دخان سيجارته : « أود أن انسفها ، ولكن .. بعد أن أعرف اين يختزنون الافيون .. »

● ●

● **وجلست** « اليزا » الى جوار سرير « تشارلز » فى المستشفى .. وفتح الرجل عينيه ، ثم هتف بصوت ضعيف : « شيبلا لا » .. فتطلعت المرأة الى يولونج سيرب ، الذى كان يقف فى الجانب الآخر ، فقال هذا : « ان ابنتك ستولد من جديد .. »

واغمض « تشارلز » عينيه ، وغاب عن الوجود .. اسلم الروح !

وفى تلك الأثنـاء ، كان « چيـون » يزور سـوميبون ، وأسرتها .. وقالت رفيقة صباه مواسية : « لكم أنا آسفة ! » .. فابتسم فى اسي وقال : **« ان أسوأ غلطتين ارتكبتهما ، هو اننى لم أسـألها عن سبب بكائها ، ونحن عائدان من (انجكور) فى اليوم الأوفى .. واننى اغتصبتها بدون حب ، فى نوبة شبق ! »**

وتردد فى أذنيه صدى صوت شيلا ، وهى تتشاجر مع ابيها وتقول : « ولكنى احبه ! » .. وقال لسوميبون : « لا تاسفى !.. ما كان بوسعى أن اغير القدر ، بل اننى عاجز عن تغيير اى شيء .. انما جئت أودعك قبل الرحيل .. وداعا ! »

يوم الاحـد :

● **كان** كيلتون ومولتانى وليدريه وبوليه تحت الحراسة ـ فى المطار ـ ليساقوا الى الطائرة التى أزمع « چيون » ومارى فاوست الرحيل عليها . وكانت سوميبون وابراهيم مالك وداس وآدا فى وداع چيون ..

وقالت آدا : « ما زلت أتساءل : لماذا سجنوا مولتانى وكيلتون معنا ، وهما صديقان للجنرال ڤام بارونج ؟ » .. فأجاب داس : **« لأن شيلا قد اغتيلت .. والجريمة ـ فى اليوم الذى يحدده الفلكيون كيوم سعد ـ تفرض النحس والفشل . ولقد علم ڤام بارونج بأن چيون وجد وهو يحمل جثة الفتاة ، فتولاه الغضب واعتقد ان لمولتانى وكيلتون يدا فى اغتيالها ، بسبب صندوق الشيكولاتة ! »**

وكان كيلتون ومولتانى وبوليه متجهمين ، يلوذون بالصمت .. لم يكن . يتكلم ويضحك سوى « ليدريه » . واقترب منه مساعد الطيـار . فقال له مازحا : « لا تحزن على فرانسوا

ليدريه .. فمثل هذه الأمور البسيطة لا تقضى عليه ! » .. وضحك مساعد الطيار .. كان يدرك أنه لن يتاح لليدريه عمل في جنوب شرقى آسيا .. اللهم الا فى « اير افيون » ، خط نقل المخدرات ، ومن ثم أدرك المصير الذى رسمه « ليدريه » لنفسه .

وعندما هبطت الطائرة فى (بانجكوك) أغار على ركابها حشد من الصحفيين والمصورين .. ودفع أحدهم الى « چيون » صحيفة حملت عناوين كبيرة : « الشيوعيون يستولون على كمبوديا » .. « الجنود الكمبوديون يذبحون السائحين » .. « الجنرال ڤام بارونج ـ نصير الديموقراطية وصديق الغرب ـ ينجو بحياته من الشيوعيين » !.. وصاحت « مارى فاوست » فى الصحفيين : « ان الجنرال ڤام بارونج هو الذى قام بالانقلاب ، ولا شأن للشيوعيين .. وڤام بارونج هو الذى سجن السائحين .. » ! وأعرض عنها الصحفيون ، واحاطوا بكيلتون .. وفجأة ، لمح « چيون » أحدهم يقترب من كيلتون ، وعرف فيه أحد الأمريكيين الذين حضروا المؤتمر .. وسمعه يقول له : « لا تنبس بكلمة ، وتعال معنا لتشرح موقفك » !.. وصاح أحمد فؤاد الباكستانى : « أهو من عملائكم ؟ » .. فرد الأمريكى : « انه يعمل مستقلا ، ولكن تصرفاته عرقلت سياستنا ! »

● ●

● **وكانت** « مارى فاوست » على الطائرة التى حملت « چيون » من بانجكوك الى سنغافورة ، وان لم يجلسا متجاورين .. وأخذ « چيون » يطلع على الصحف ، فاذا بها تصور « ڤام بارونج » بصورة الزعيم الشعبى ، ونصير الديموقراطية ، الذى تعرض لمؤامرة شيوعية ، فهرب من بلاده ليطوف بالعالم الحر ويشرح قضية كمبوديا !..

وكان هنـــاك نبأ عن أن وزارة الخارجية الأمريكية أنكرت كل علاقة لها بالانقلاب .. ونبأ عن دعوة « فام بارونج » رسميا الى الولايات المتحدة !

وأغمض « چيون » عينيه ، فتمثل « شيبيلا » .. لقد احب الفتاة ، ولهذا فهو يشعر بالأسى والضياع !.. وتمثل وجه « ابراهيم مالك » الذى أباح لنفسه أن يتولى العدالة والقصاص بنفسه ، ثم تمثل الحقول التى يزرع فيها الافيون .. السم الذى ينفق على الحرب . لن يستبعد أن يسعى ابراهيم الى حرق حقول الخشخاش يوما !.. وشعر بأنه لم يعد بوسعه أن يقف بمعزل ..

وكان « تيو » فى انتظار « مارى فاوست » فى المطار .. فاقترب « چيون » منها ، وقال : « تعالى فى رعايتى برهة ، فانى أعتقد أن كلا منا سيحتاج الى الآخر ! » .. وحدجته بنظراتها المتعجرفة . وقالت : « ماذا تقصد ؟ .. اذا كنت تعنى .. » فصرخ فيها : « أخرسى !.. لست أريد منـــك شيئا ، ولكنى سأستضيفك فى فندق .. وسنتكلم فيما بعد فى أشياء كثيرة ، وهذا كل ما أنشد منك ! » .. وارتجفت شفتاها ، وانسابت الدموع من عينيها ، وهى تتبعه فى صمت !

ودوى فى أذنى چيون صدى صوت سومبيون : « تول رعاية مارى ! »

اللحظات الأخيرة لأهل (بومبى)

لعالم الآثار الايطالى ((اميديو مايورى))

استكمالا لتصوير مأساة (پومپيى) ، ننقل — فى الصفحات التالية — قصة مؤثرة جاءت فى تقرير وضعه ((اميديو مايورى)) ، مدير الآثار بمنطقة (كامبانيا) — فى ايطاليا — منذ سنوات قلائل ، عن اعمال الحفر التى يشرف عليها فى (پومپيى) ..

● **ليست** قصة موت (پومپيى) المفجعة ، بالأمر الجديد . وقد يتساءل الكثيرون عما يدعونى الى اعادة روايتها . وجوابى عن هذا ، هو **أن سبعا وثلاثين سنة من الخدمة — كرئيس لأعمال الحفر فى الأطلال — علمتنى ان قصة (پومپيى) لا تزال أبعد من ان تكون قد اكتملت ، فهناك فصول جديدة تنكشف فى كل وقت !..** ذلك لأن (پومپيى) — على غير المألوف فى كثير من ضحايا الثورانات البركانية — لم تمت ((**محترقة**)) ، وانما ماتت ((**مختنقة**)) !.. فقد قدر لركامات الصخر والرماد — التى سلبت المدينة حياتها — أن تكون هى بالذات التى صانت آثارها بأبدع مما كان فى وسع أمهر أمناء المتاحف ان يفعلوا .. **وهذا هو السر فى أننا نتعرف** — فى كل يوم — على مزيد من المعلومات . اذ أننا لا ننقب فى اطلال ، بل نكشف عن متحف رائع لم يمس !

لنأخذ — مثلا — حالة ثلاثة عشر شخصا من أبناء (پومپيى) ، عثرنا عليهم من عهد قريب .. انهم يمثلون صورة مؤثرة للذعر والمجالدة !

ولقد استطعنا أن ندرك أنهم كانوا ثلاث عائلات : اثنتين منهما من المزارعين ، والثالثة أسرة تاجر . وقد كانوا يقيمون فى الطرف الجنوبى للمدينة ، وهو أبعد أطرافها عن البركان . .

ومن الطبيعى أنهم تجمعوا معا ، عند أولى نذر الخطر ، وتداولوا الأمر بسرعة ، ثم بدا أنهم قرروا أن يعتصموا بأشد بيوتهم الثلاثة متانة ، الى أن ينقطع انهمار الأحجار والحمم . على أن هذا السبيل لم يكد يخف ، حتى فوجئوا بخطر أشد رهبة ، وما من سبيل الى صده . **اذ خيمت على المدينة سحابة سوداء كثيفة ، يخالطها بخار الماء ، وأخذت تشيع فى الهواء ، فتملأ العيون والأنوف والحلوق ، وتتسرب الى الصدور فتترسب وتخنق الأنفاس !**

ولم يجد أفراد العائلات الثلاث بدا من أن ينشدوا الفرار من البيت ، وقد تماسكت أيدى أفرادها فى تعاطف لم يبدده خطر الموت . . وراحوا يهيمون مذعورين ، والأرض قد استحالت الى مزالق ، والظلام يسد المسالك ، والرماد الممتزج بالبخار يهطل مدرارا عليهم ، فلا يلبثون أن يختنقوا ، واحدا بعد آخر . . ويستمر الرماد اللزج فى الهبوط ، ليلفهم !

ولم يكونوا قد ابتعدوا عن البيت ــ الذى اعتصموا فيه أول الأمر ــ بأكثر من ثلاثين ياردة ، عندما عثرنا عليهم ، بعد حوالى ألف وتسعمائة عام ! . . ولعل أغرب ما فى الأمر ، أننا لم نعثر على عظام متفحمة ، ولا آثار لحروق . . فكأنهم ثلاثة عشر قالبا مصبوبا ، تصور أصدق تصوير ما كان عليه أصحابها : أساليب تصفيف الشعر ، وأطرزة الثياب ، ومعالم الرعب ، وكل اختلاجات الموت !

ثلاثة عشر وضعا صانتها قوالب الرماد

● **ونحن** نعثر — فى الحفائر — على نوعين من الضحايا : الأغنيـاء الذين اعتصموا ببيوتهم ، فتحولت الى سجون قاسية ، ثم الى قبور ارتموا فى أرجائها ، وكل مقتنياتهم معهم لم تمس .. وهؤلاء نجـدهم هياكل عظيمـة سليمة ، لأن الركامات البركانية غطت البيوت ، فكفلت جفافا أبقى على العظام .. **أما النوع الآخر ، فهم أولئك الذين حاولوا الهرب من الأهوال . ونعثر عليهم فى الطبقات العليا من الركامات ، وقد لفهم الرماد اللزج برفق ، ثم تجمد عليهم ، فكأنه قوالب من الجص صـانت كل معـالم الأجسـام .. حتى توترات العضلات ، وطيات الثياب . ولقد تحللت لحومهم — على مر الزمن — ولكن القوالب سجلت كل التفصيلات .**

ومع ان هذه القـوالب كانت من أول ما تسنى العثور عليه ، فاننا لم نعثر قط على أكمل من أشكال هؤلاء الثلاثة عشر ، ولا على أسلم من قوالبهم . وهذا ما جعلهم مادة مثيرة للدراسة ، فاستطعنا أن نتوصل الى تفصيل دقيق للحظات الأخيرة الرهيبة فى حياتهم .. فعندما قرروا الهرب ، انطلقت احدى أسرتى المزارعين فى المقدمة : فى الطليعة خادم يحمل على منكبيه كيسا مليء — فى عجل — بالمؤن .. وقد سقط بجوار سور بستان للخضر ، ووجدناه فى وضـع الزاحف ، بشكل ينم على أن الكيس لم يكن يثقله ، ولكن الظـلام كان يعوقه ، وهو يقاوم الحمم المتساقطة والرياح اللاهبة !.. ووراء الخادم صـبيان امسك كل منهما بيد أخيه .. ولعلهما — وسط هذا الجحيم المظلم — راحا يصرخان فى فزع ، ثم استلقيا على ظهريهما ، وكأنهما يستسلمان للنوم بعـد بكاء طويل !.. **وخلفهما رب الأسرة وزوجته ، وقد انكفأ كل منهما على وجهه ، وماتا والرجل يعاون زوجته المرتعشة الأوصال !**

وخلف هــذه الأسرة ، أسرة المزارع الثــانى : زوجان شابان ، وابنة صغيرة .. وقد رفع الرجل الى رأسه عباءة ــ أو لعلها وسادة ــ اتقاء للحمم .. وعلى مقربة منه ، جثت زوجته على ركبتيها ، وماتت وهى تسد فمها بطرف ثوبها ، فى مجهود يائس لصــــد الرماد عن التسرب الى حلقها .. أما الابنة ، فقد أخفق القالب فى أن يبين أكثر من أنها كانت عجفاء ، هزيلة !

وأخيرا أسرة التاجر : فتيان دون العشرين ، وقد التفت اطرافهما ، مما يدل على أنهما كانا متماسكين وسقطا معا .. ثم الأم ، وكانت ضعيفة ، تحاول أن تجر نفسها ، وتنشغل ــ فى الوقت ذاته ــ بابنة صغيرة لها .. والتاجر فى المؤخرة .. وقد وجدناه جالسا ، يرتكز بيمناه على أحجار ، وقد احنى ظهره ، وكأنه يحاول النهوض ليناضل الاختناق ويساعد أسرته ..

هذه الأشكال الثلاثة عشر شهود صامتة للواعج الألم والعذاب التى عاناها أهل (پومپيى) .. ولا تزال القصــة بعيدة عن الاكتمال !

مطبوعات كتابى

قدمت اليك « مطبوعات كتابى » حتى الآن ٧٦ كتابا من أروع نماذج الادب العالمى ، فى مختلف العهود ، بينها عدد من الشوامخ الخالدة ، نذكر منهـــا :

حياة امراة (جزءان)	جى دى موباسان
مدام بوفارى (جزءان)	جوستاف فلوبير
قاوب ضالة	رابندرانات طاغور
الظمأ للحب (قصة فنلندية)	ميكا والتـــارى
جين اير (٣ أجزاء)	شارلوت برونتى
فرنسا الجريحة على ضفاف النيل	ادوين جون ديفز
الابن الضال (أسرة روكفيلر)	هنـــرى بوردو
بيلا دونا (سائحة فى الاقصر) ٣ اجزاء	روبرت هتشـــنز
اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء)	
الالياذة (٣ أجزاء)	هـــــوميروس
قصص من روما	البرتو مورافيـــا
ارواح هائمة	ســـومرست موم
هل تحبين « برامس »	فرانسواز ساجان
مرتفعات ويذرنج (٣ اجزاء)	اميـــلى برونتى
ضحكة فى الظلام	فلاديمير نابوكوف
ماريا ايفانوفنا	الكســندر بوشكين
كلهم ابنائى ، ومن فوق الجسر	آرثـــر ميـــلر
نيتوتشكا (جزءان)	دســـتويفسكى
الآلهة عطشى (جزءان)	اناتول فـــرانس
انا كارنينـــا	تولســـــتوى

ومن الآداب القومية للشعوب :

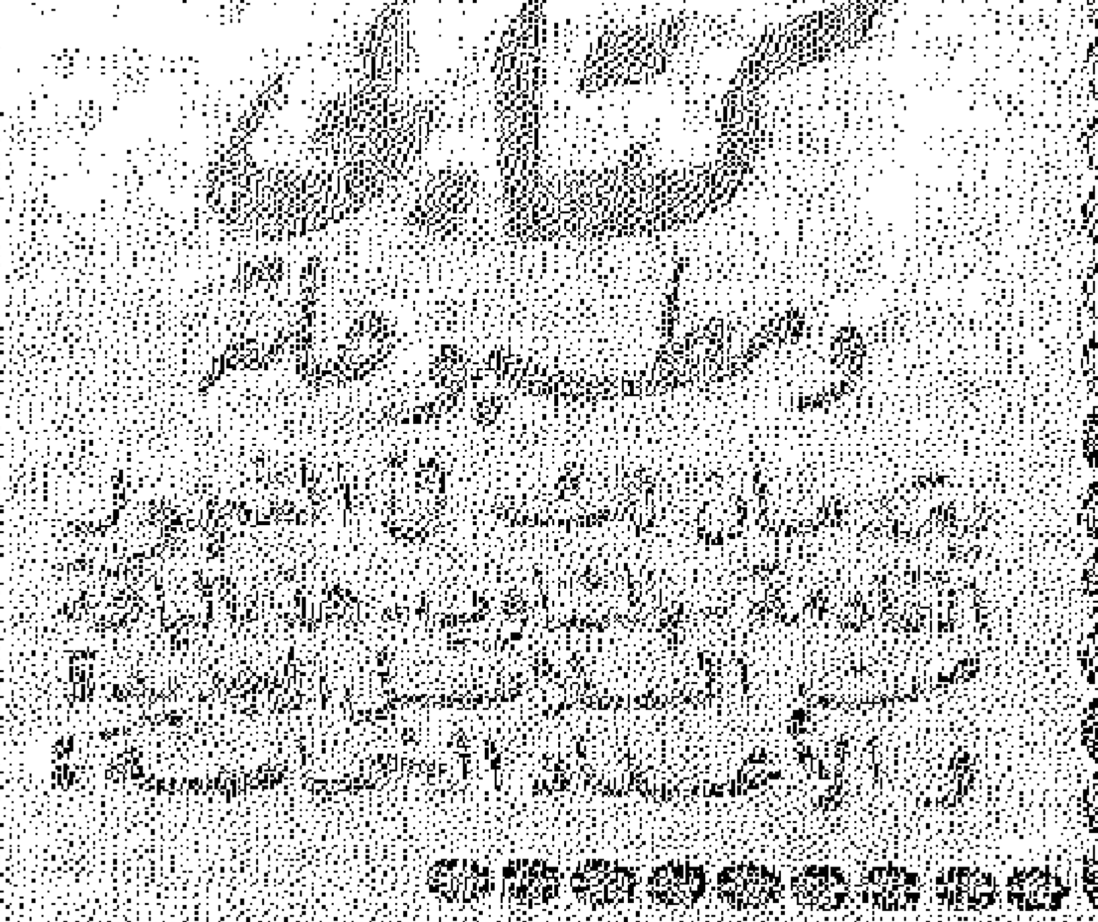
ديكاميرون (الف ليلة وليلة الايطالية)	بوكاشـــــيو
قصص من الصين	لطائفة من المؤلفين
ليالى بلزاك (الف ليلة وليلة الفرنسية)	أونوريه دى بلزاك
الف ليلة وليلة الهندية	لطائفة من المؤلفين

محتويات الكتاب

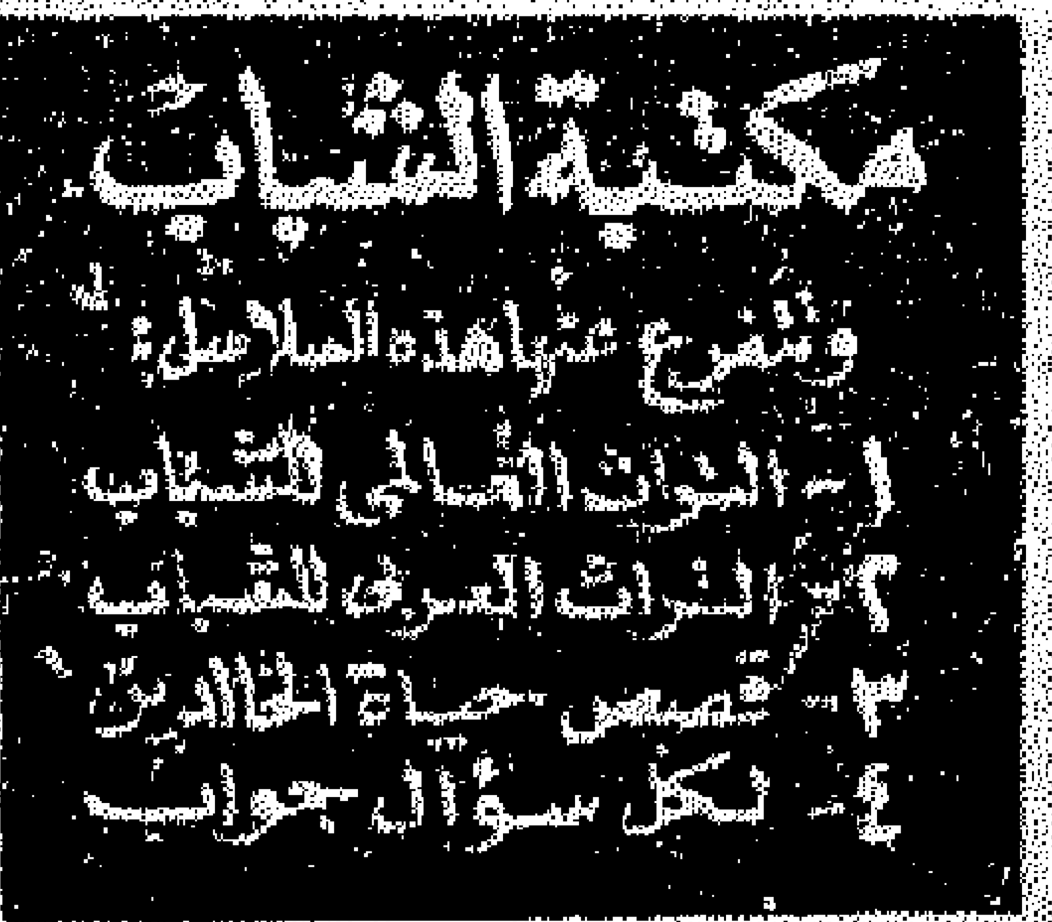
مجلة الصـــغار

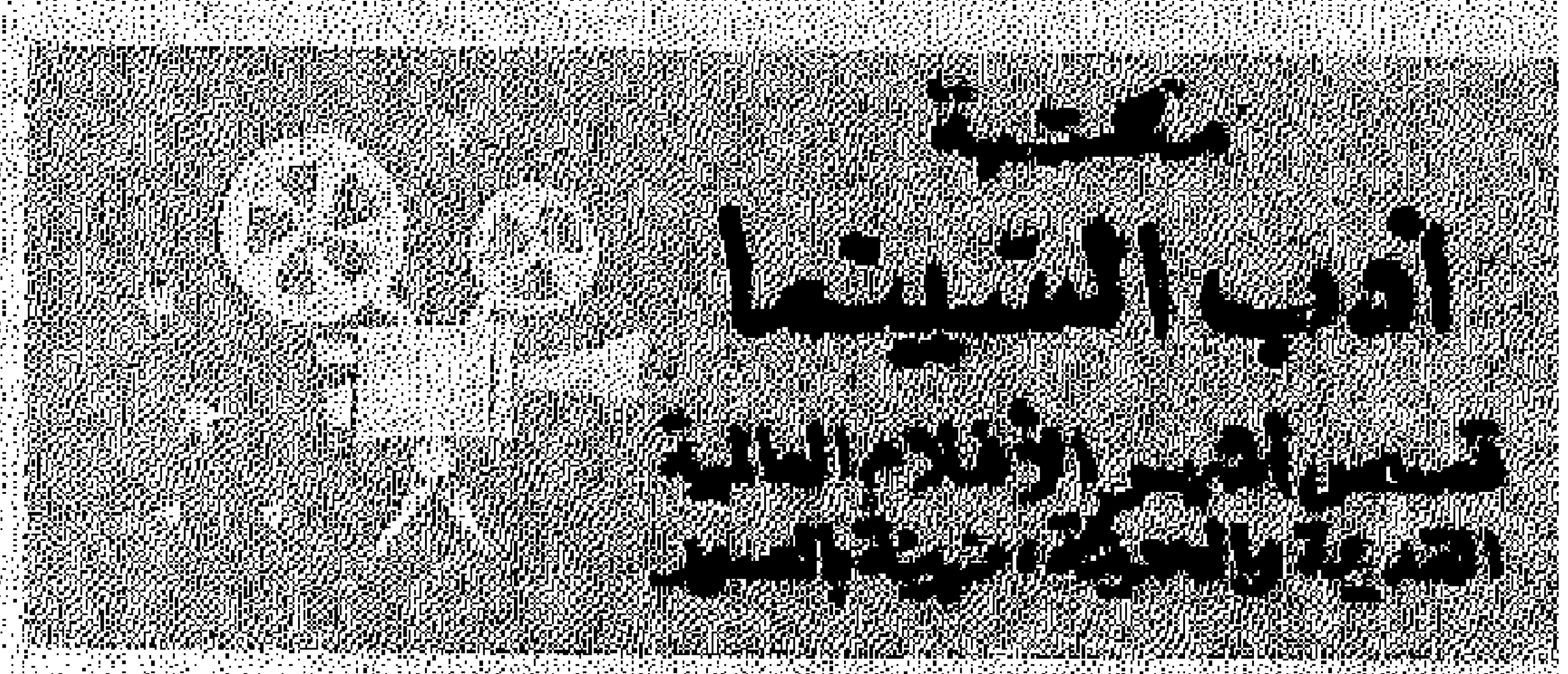
كيف نقرأ القصة ؟ ـ أنصفه القدر بعد ٥٥ عاما ! ـ هل ســألت نفسك ؟ ـ جهاز تكييف الحرارة داخل جسمك ـ ٣٣٨٦ ميلا على دراجة بعجلة واحدة ـ لغز اليد المرتعشة ! ـ الحرب فى القدس من أجل نجمة ! ـ معبد على شكل افعى ـ يرفض الحياة لينجو من الزواج ! ـ ألعاب والغاز طريفة .. الخ





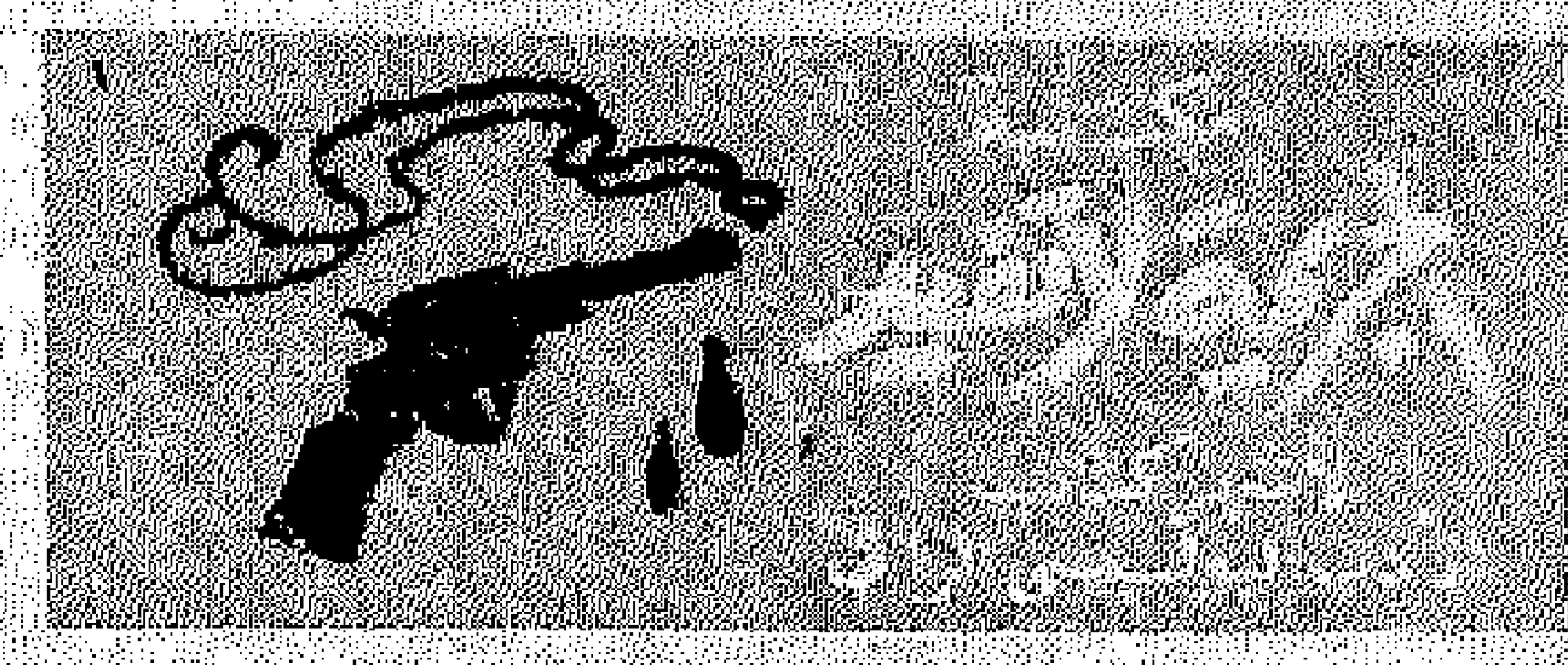






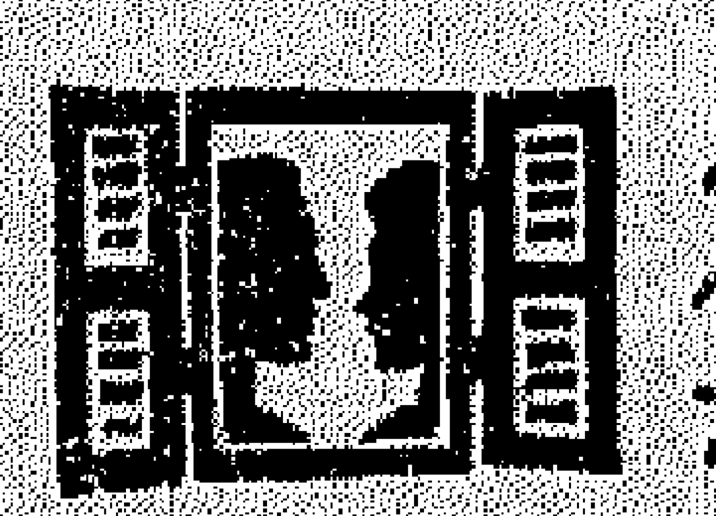








مكتبة
القصص الواقعي



مكتبة
الحياة الخاصة
لعباقرة الإنسانية



